التسجيل الدولي ISSN 2305-591X

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

٧١

Yanabee'a
ينابيع

مَجلّةٌ ثَقافيّةٌ تُعنى بِنَشرِ فِكرِ أَهلِ البيْتِ عليهم السلام/ السّنة ١٢/ العَدد ٧١ ذو القعدة - ذو الحجة ١٤٣٧هـ/ آب - أيلول ٢٠١٦م

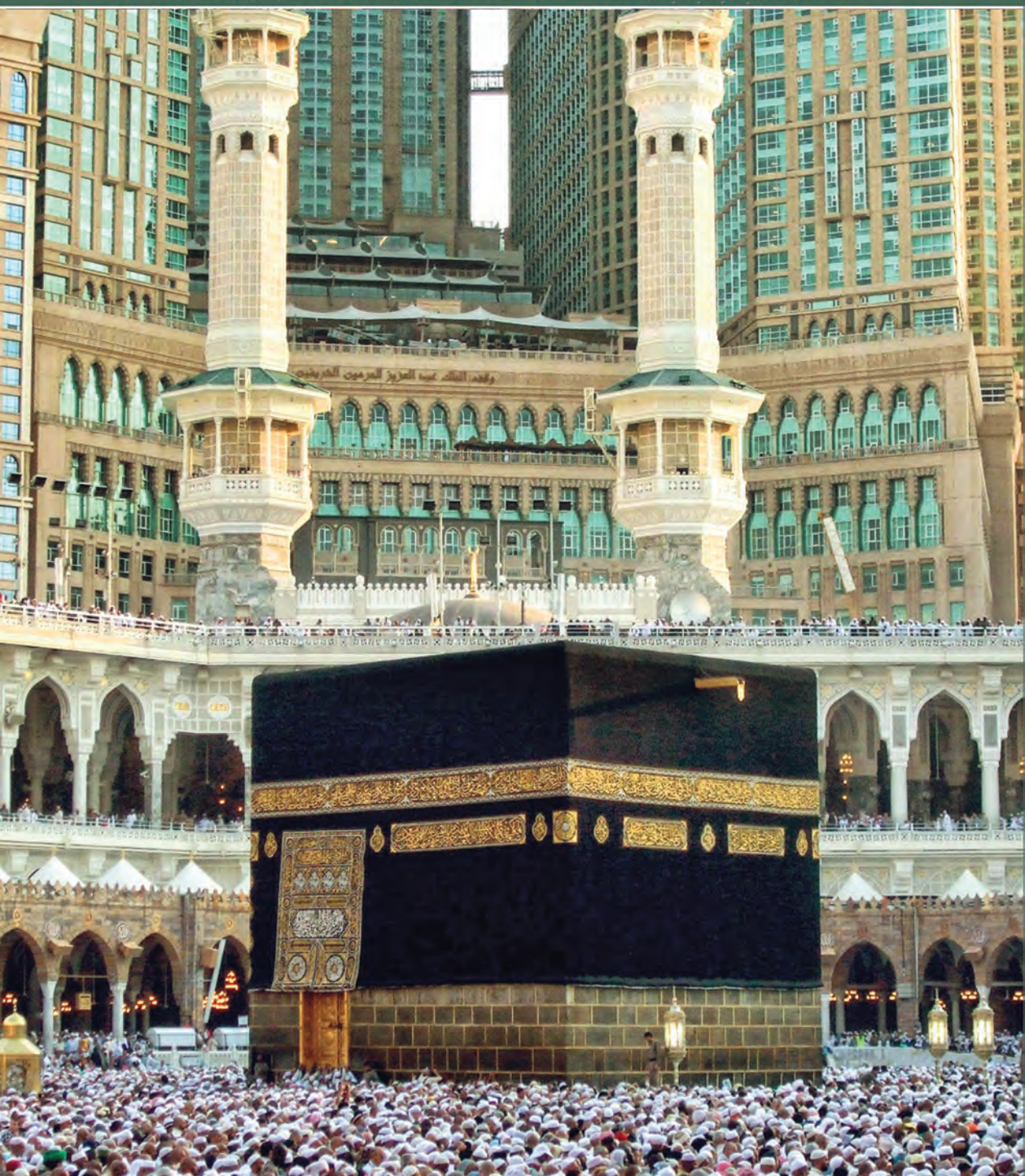

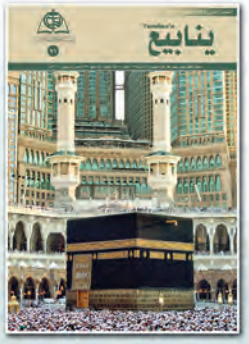

ينابيع ٧١

مجلة ثقافية تعنى بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام

تصدر كل شهرين عن

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

1Z30959

المشرف العام
السيد عبد الحسين القاضي

رئيس التحرير
الحاج فلاح حسن علي العلي

مدير التحرير
حيدر الجد

سكرتير التحرير
حسين جودي الجبوري

التدقيق ومراجعة النصوص
سعد فخر الدين

التصميم والإخراج الفني
وسام مسلم المظفر
مسلم شاكر مالك

كرافيك
عباس رفيعي

التنضيد الإلكتروني
ميثم عبد علي الزاملي

العراق ـ النجف الاشرف ـ حي السعد

العنوان الإلكتروني: www.Yanabee.org

البريد الإلكتروني: Yanabee_Mag@Ymail.com

ص.ب (٥٥٠) **موبايل:** ٠٧٨٠٣١٧١٥٠٥

أسعار المجلة: العراق ١٠٠٠ دينار. الكويت ٣٥٠ فلساً. الأردن ٧٥٠ فلساً. المملكة العربية السعودية ٣ ر.س. سوريا ٧٥ ل.س. وباقي الدول ١,٥ دولار أو ما يعادله.

قيمة الاشتراك السنوي لستة أعداد: في العراق للمؤسسات ١٢٠٠٠ دينار وللأفراد ٨٠٠٠ دينار وخارج العراق ١٠ دولار أو ما يعادلها.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٨٨٠ لسنة ٢٠٠٦

مسجلة في نقابة الصحفيين العراقيين برقم ١٣٩ في ١٦/ ١١/ ٢٠٠٥م

- المقالات تعبّر عن رأي أصحابها.
- يخضع ترتيب المقالات إلى ضوابط فنية.
- لا تعاد المقالات إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

في رثاء الإمام الجواد عليه السلام

الشيخ محمد رضا المظفر

حيّي قلباً تذيبه الحسرات ... إنّما الموت في التصابي حياةُ
إنّ من عاش في الحياة خلياً ... ميت عاش فارتمته الحياةُ
كل ما في الوجود عندي لولا ... فئة تجتني الغرام جناةُ
كل ما تعرف الورى عن حياة الـ ... ـنفس في غير حبها منكراتُ

* * * * * * * * * * * * * * *

أنا فارقت في هوى الألف صحبي ... وكذا الناس في الهوى أشتاتُ
أترى القلب يستقيم سبيلًا ... وحنايا الضلوع منحنياتُ

إنّما الماء بالإناء فلا تُطبع ... إلاّ بظرفه الهيئاتُ
أوقدوا لي من نور حبي مصبا ... حاً فقد أظلمت بي الطرقاتُ
ظلمات هذي الحياة ولا مصبا ... ح إلاّ ما أوقدته الهداةُ
عنصر في الوجود كوّنه الله ... فكانت بنوره النيّراتُ
مثل النور والزجاجة والمصـ ... ـباح أنتم وأنتم المشكاةُ
أنتم النور للكليم على الطور ... وأنتم لآدم الكلماتُ
أنتم باب حطة من أتاه ... كان أدنى الجزاء فيه النجاةُ
وكفى مفخراً بغير ولاكم ... لا يتم الصيام والصلواتُ

* * * * * * * * * * * * * *

بالإمام الجواد منكم تمسّكت ... وحسبي من قدسه النفحاتُ
حدث قُلّد الإمامة فانقا ... دت لعلياء حكمه الحادثاتُ
ابن سبع ويا بروحي قد قا ... م إماماً تُجلى به الكرباتُ
إنّ هذا السر الخفي وما أجـ ... ـلاه ضاح تجلى به الظلماتُ
لا تخل ويك وهو في المهد طفل ... هذّبته بدرّها المرضعاتُ
هو نور من قبل أن تتجلى ... بسنا الحق هذه الكائناتُ
جاء للأرض هادياً ونذيراً ... فتنزلن بالهنا المرسلاتُ
طاب في شهر طاعة الله مو ... لوداً فنيطت بحبه الطاعاتُ
واصطفاه الإله للخلق قوا ... ماً فقامت لفضله المعجزاتُ

* * * * * * * * * * * * * *

عن علاه قاضي القضاة فسله ... ولَكَم ضلّت السبيل القضاةُ
سله لما خانته نجواه غياً ... كيف دارت بجهله الدائراتُ
زعم الغضّ من معاليه حتى ... فضحته المزاعم الفاسداتُ

* * * * * * * * * * * * * *

وسل السدرة التي قد حباها ... بطهور فاضت به البركاتُ

أورقـــت غبطة فـبـاهـت فـخـاراً ... ســدرة المنتهى وهــذي الهباتُ
أثمرت حين أثمرت بالجني الغضّ ... ومـــا فـيـه كـالـثـمـار الـنـــواةُ
وسـل الجعفري مـذ جـاء مغتماً ... لـــه والـــرقـــاع مـشـتـبـهـاتُ
وأبـــا سـلـمـة الأصـــم فـشـافـاه ... هـنـيـئـاً فـهـذه الـخـطـواتُ
مـعـجـزات تفنى الـنـجـوم حساباً ... كـيـف تحصي أنـوارهـا هيهاتُ
أتـــرانـــي أسـطـيـع مـــدح إمـــام ... نـزلـت فـي مـديـحـه الآيـــاتُ
إنّ بيتاً لـه انثنى الـعـرش طوعاً ... قـصـرت عـن بـنـائـه الأبـيـاتُ
يـا أبـا جعفر ومـا أنـت إلاّ البحـ ... ـــر جـــوداً لـه الـهـدى مـرسـاةُ
أنـا عـبـد قـد مـسّـنـي الـضّـرُّ وافيـ ... ـــت وهـــذي بضاعتي الـمـزجـاةُ
أتـرانـي أعـود فـي صفقة الخسر ... وأنـتـم لـلـمـسـتـجـيـر الـحـمـاةُ
صمتُ عن حـبِّ ما سواكم لأزكو ... وكـــذا الـصـوم لـلأنـام زكـــاةُ
عـذب الـلـه أمـة جعجعت فيـ ... ـكم مقاماً قـامـت بـه الكائناتُ
قـد تصابوا إلـى لظى غضب الـ ... ـجبار صـبّـت عليهم اللعناتُ
عنكم حـادت الـعـبـيـد فـسـارت ... أأبـــى الـدهـر أن تـسـود الأبـــاةُ
ولا مـا تـقـولـت عـن هـواهـا ... فانتظر مـا تـقـول عنها الـغـداةُ
يا ولـي الأقـدار كيف جـرى المقـ ... ـــدور حتى عـدت عليك الـعـداةُ
كيف تقضي سماً غريباً وباسم ... الله تجري ولاسـمـك الحادثاتُ
أنـت أدرى بـمـا أتـت فـيـه أم ... الفضل لكن شـاءت لك النازلاتُ
يـالـه حـادث تـزعـزع مـنـه الـ ... ـعرش حـزنـاً ومـادت الـراسـيـاتُ
يقصر المقول الأبـي عـن التصـ ... ـريـح لـولا مـا تـبـرز الـزفـراتُ
يا لها النقص ما استفادت سوى ... الـعـار بـيـوم لا تنفع الـحـسـراتُ
قـد كفاها فـي الـعـار عـاجـل داء ... عـزّ فيها الأسـى وخـاب الأُسـاةُ
قـد حباه المأمون فـي زعمه ألفا ... سـد فيها مـا هـكـذا الـحـبـواتُ

(شعراء الغري/ ج٨ص٤٧٤)

أهم المواضيع

من ألفاظ الحج في القرآن الكريم
حسن جميل الربيعي

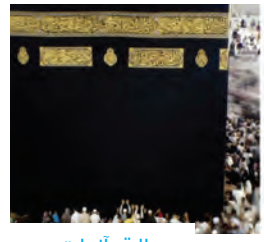

القرآنيات
ص (١٠)

عصمة إبراهيم عليه السلام من سوء الأدب
د. سيروان عبد الزهرة الجنابي

القرآنيات
ص (١٨)

دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام دراسة دلالية
أ.م.د: خليل خلف بشير

القرآنيات
ص (٣٦)

ملف العدد
ص (٤٤)

بيعة الغدير
محمد علي جعفر

السلطة القضائية في الدولة عند أمير المؤمنين عليه السلام
نصير علي موسى

إضاءات السيرة
ص (٨٢)

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)

مع الفقيه
ص (٨٨)

سلمان المحمدي رضي الله عنه وسابقته إلى الإسلام
د. حسين لفته حافظ

في النفس والمجتمع
ص (١١٦)

المصاحف المنسوبة لأمير المؤمنين عليه السلام
د. علي عبد الزهرة الفحام

طروحات عامة
ص (١٢٨)

كلمة العدد

الدفاع عن الطائفة والطائفية.. الفرق والمعطيات
المشرف العام..... ٨

قرآنيات

من ألفاظ الحج في القرآن الكريم
حسن جميل الربيعي..... ١٠
عصمة إبراهيم عليه السلام من سوء الأدب في النص القرآني
د. سيروان عبد الزهرة الجنابي... ١٨
القصص في التعبير القرآني
د. زهير غازي زاهد..... ٢٤

آمن الرسول

من وحي الحج
سماحة الشيخ جميل الربيعي..... ٣٠
دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام دراسة دلالية
أ.م.د: خليل خلف بشير..... ٣٦

ملف العدد (يوم الغدير)

بيعة الغدير
محمد علي جعفر..... ٤٤
أعياد الشعوب وعيد الغدير
مسلم عقيل الشاوي..... ٥٢
الأثر العقائدي لبيعة الغدير
سماحة الشيخ محمد آل حيدر..... ٥٧
عيد الغدير عيد الله الأكبر
ساجد صباح ميس العسكري.... ٦٤
غديرُ خُمٍّ : جُوديُّ النَّجاة
أ.م.د. علي مجيد البديري..... ٧٠

إضاءات السيرة

الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام والرسالة الخاتمة
د: أحمد جاسم الخيّال..... ٧٦
السلطة القضائية في الدولة عند أمير المؤمنين عليه السلام
نصير علي موسى..... ٨٢

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى
سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)..... ٨٨

في النفس والمجتمع

الخصومة
فارس رزاق علوان الحريزي..... ٩٤

قراءات

قراءة في مفهوم الإرهاب
أ.م.د.مرتضى عبدالنبي الشاوي... ١٠٠

للفضيلة نجومها

سلمان المحمدي رضي الله عنه وسابقته إلى الإسلام
د. حسين لفته حافظ ١١٦
علي بن يقطين
زهراء كاظم التميمي..... ١٢٢

طروحات عامة

المصاحف المنسوبة لأمير المؤمنين عليه السلام
د. علي عبد الزهرة الفحام..... ١٢٨
السبق الحضاري ورسالة الخاتم صلى الله عليه وآله
السيد معد البطاط..... ١٣٤

واحة الأدب

تداخل الأساليب في دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام
أ.م.د. هاشم جعفر الموسوي..... ١٤٠

حكاية مستبصر..... ١٠٤
في الذاكرة..... ١١٠
وقفة مع الذكرى:..... ١١٤
أجوبة مسابقة العدد (٦٩) وأسماء الفائزين.... ١٤٤
مسابقة العدد (٧١)..... ١٤٥

الدفاع عن الطائفة والطائفية.. الفرق والمعطيات

بسم الله الرحمن الرحيم

في معترك النزاع السلطوي المقيت الذي يعيشه العالم اليوم، وفي خضم التجاذبات السياسية من أجل الاستيلاء على المناصب، والاستحواذ على مقدرات الشعوب.. ووسط الصيحات الشكلية بالديمقراطية والحرية الفردية التي ينادي بها معظم المتسلطين على رقاب الشعوب يتساقط المئات من الأبرياء بدم بارد.. لا ينظر إليهم أحد.. ولا يتحمل مسؤوليتهم أي طرف من أطراف النزاع، وكأن الديمقراطية المعنية بتقديم رأي الأكثرية تحتم سحق الأقلية بل إلغاءها.. وكأن دعوى الحرية الفردية توجب فسح المجال للكل بالاعتداء، وهضم الحقوق، وإن أدى إلى سفك الدماء وهتك الأعراض المحترمة.. وما تعيشه الطائفة اليوم واحد من المعالم الحضارية التي أنتجها العالم وربما قبل اليوم.. من إلغاء الطرف الآخر.. والاعتداء عليه مادام لا يمتلك من القوة المانعة القدر الكافي لصد الهجمات الشرسة التي تتعرض لها الأقليات العالمية، وإن كانت أكثرية بحسب مدينة أو إقليم.. ومما يقلق غاية القلق ما نراه بوضوح من تناسي الجرائم البشعة التي حلت بهذه الطائفة، ولا زالت تحل بها.. حتى ممن هم محسوبون عليها ومنتسبون إليها، والأخطر من ذلك محاولة عدم التصريح بالهوية الرسمية لأبناء هذه الطائفة، خشية إثارة الفتنة، وزعزعة الاستقراء النسبي بين أبناء المسلمين.. حتى دبَّ ذلك في تصاريح، وكتابات، وتداولات عديدة، وقد أصبحت جزءاً من ثقافة الفرد الشيعي لئلا ينادي بحقوق هذه الطائفة، ويستنكر ما يلقاه الشيعة من الظلم والحيف من أعدائهم.. خشية إثارة الآخرين، وخدش عواطفهم مما يعكس حالة من تمييع الحقائق، وإذابة الفروق الأساسية، عازياً ذلك إلى الميل الطائفي، أو المذهبي، أو ما يسمى (بالطائفية) اليوم من دون معرفة الفرق الأساس بين الأمرين.

وتكمن حقيقة الفرق بين الطائفية التي هي مخالفة لأصول الدين الإسلامي وبين المطالبة بحقوق أبناء المذهب والدعوة له بالحكمة والموعظة الحسنة، واستنكار الحيف والظلم في نقطتين رئيستين.

الأولى: أن الطائفية هي إلغاء الآخر والتعدي عليه المؤدي لسلبه حق الحياة والعيش بسلام من أجل طائفة ينتمي إليها، مما يجري في نهاية المطاف إلى الاستعباد المبطن

الذي ينافي كل القيم الإسلامية السماوية، ولا تؤيده شريعة من الشرائع، لأن الاشتراك في الدين يضمن حفظ أبسط الحقوق فضلاً عن أهمها، وهي الحياة، وتقاسم الثروات الطبيعية بما ينسجم مع الاستحقاق البيئي والجغرافي من دون دخل لعرق أو قومية أو نحو ذلك.

الثانية: تكمن (الطائفية) أيضاً في التعرض لطقوس الآخر الدينية، ومصادمة حريته الفكرية، والعقيدية ولكل من أبناء المدينة الواحدة أو الوطن الواحد إبداء تلك الطقوس بما لا يتنافى وحقوق الآخرين، ويحفظ لكل ذي حق حقه في التعبير عن المشاعر الدينية، ويكفل الحرية التامة في ذلك.

أما الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، بالبرهان والدليل، وإقامة المنتديات الفكرية، والثقافية، وعرض المفردات الدينية، ثم تأثر الآخرين بذلك، ومحاولة الانتماء لهذا الدين فليس من الطائفية في شيء، بل هو من الانتماء للطائفة الحقة الذي ساعد ذلك في ديمومتها وبقائها لتناسبها مع المعطيات البشرية الفكرية. فضلاً عن التألم والتوجع لما نال هذه الطائفة من الحيف والظلم سواء أكان ذلك عبر تاريخها المجيد، وما تعرضت له الرموز الدينية والعقائدية من حكام الجور والمتسلطين. أم كان تألماً وتوجعاً وتنديداً وتحميلاً للمسؤولية لما يتعرض له أبناء المذهب الحق اليوم من مختلف أنواع الظلم والحيف، وما يكتنف ذلك من سلب الحقوق، وهضم المؤمنين، وما يؤديه من إلغاء وتهميش وتعطيل وغير ذلك من أنواع الانتهازية السياسية التي ذكرها علماء الاجتماع. بل العكس من ذلك هو المسمى (بالطائفية).

إن تكريس الطائفية المشار إليها آنفاً ينتج من ساسة ليس لديهم التزام ديني أو مذهبي، بل هو موقف انتهازي للحصول على مآرب متعددة لتحقيق الوصول إلى السلطة.

وليس مجرد الانتماء إلى دين أو مذهب يجعل الإنسان طائفياً ما دام محافظاً على القيم الإنسانية العامة، ومتأدباً بأدب الدين الحنيف في المحافظة على الحقوق.

ومجمل القول: إن (الطائفي) هو من يرفض الطوائف الأخرى، ويحاول إلغاءها بشتى الوسائل سواء أكان مالكاً لفكر ديني أو مذهبي، أو كان انتهازياً سياسياً كما عرّفناه.

أما من يدعو إلى مذهبه بالموعظة والهدي الرفيع، ومن يتألم ويتوجع لما ينال طائفته من الظلم والحيف فليس طائفياً.

لذا لابد من زرع ثقافة الطائفة الحقة والانتماء الحقيقي في نفوس أبنائها وعدم تمييع الحقائق التي راحت بسببها أنهر من دماء أبنائنا وجنينا بسببها آلافاً من الأيتام والأرامل على طول تاريخنا المجيد. والله حسبنا ونعم الوكيل.

■ **المشرف العام**

قرآنيات

من ألفاظ الحج في القرآن الكريم

حسن جميل الربيعي

ينابيع

للّفظة والمفردة الواحدة في السّياق القرآني معانٍ ودلالات تتعدّد بتعدّد مواردها وسياقاتها، فلكلّ لفظة أو مفردة معنى في سياقٍ ما لا تدلّ عليه في سياق آخر، فأيّ تقديمٍ، أو تأخير، أو زيادة، أو حذف، بل أي تغيير في حركة، أو سكون، أو غيرها... كلّ هذه تؤثر في المعنى الذي تخرج إليه اللفظة أو المفردة القرآنية، ولو تبدّل أقل قليل من هذا النظم الذي أبهر أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان لذهبت صفة الإعجاز عنه، وهذه المزية امتاز بها النص القرآني دون أي نص سواه وبأيّة لغة كان، ولذلك كان معجزًا، وتحدى اللّه تعالى أرباب اللغة بأن يأتوا بمثله، ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة، ولما لم يستطيعوا ذلك كله قال تعالى: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ (الإسراء: ٨٨).

ولذا نستطيع القول: لا وجود لترادف حقيقي بمعنى توافق اللّفظين في معنى واحد من جميع الخصوصيات في القرآن الكريم، ولكل من اللفظة والمفردة المتشابهة والمتقاربة في المعنى العام لها خصوصية يمتاز بها عن نظائرها[1].

وبعد إذ تبين هذا ننتقل إلى موردين من موارد القرآن الكريم فيما يخص الحجّ وبيت اللّه الحرام لبيان الفرق الدقيق بين ألفاظ ومفردات تقاربت في معناها العام، واختلفت في معناها الدقيق.

المورد الأول: مكة وبكة:

قال تعالى في سورة آل عمران: (**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ**) (آل عمران: ٩٦).

وقال تعالى في سورة الفتح: (**وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا**) (الفتح: ٢٤).

الفرق بين الآيتين هو تبدل حرف واحد عند الإشارة إلى البلد الذي فيه بيت الله الحرام، فقال في الآية الأولى: (بكّة)، وفي الآية الثانية (مكّة).

وإذا رجعنا إلى معجم البلدان نجد أن اللفظين يطلقان على هذا البلد[٢]، وقد ذكر المفسرون وأرباب المعاجم أسبابًا كثيرة للتسمية بهذين الاسمين وفروقًا بينهما[٣]، مثل:

١- بكة موضع البيت، ومكة ما وراءه.

٢- وقيل البيت مكة، وما ولاه بكة.

٣- بكة اسم لبطن مكة.

٤- بكة موضع البيت، ومكة الحرم كله.

٥- بكة الكعبة والمسجد، ومكة ذو طوى، وهو بطن مكة.

٦- مكة هي بكة، والميم بدل من الباء، كما قالوا: ما هذا بضربة لازم ولازب، ومثل: سبد وسمد.

٧- وذهب أبو حيان الأندلسي: إلى أنه يضعف أن يكون بكة هي المسجد؛ لأن الباء الداخلة عليها ظرفية، وهذا يلزم أن يكون الشيء ظرفًا لنفسه، وهو لا يصح[٤].

٨- قال ابن عاشور: (الظاهر عندي أن بكة اسم بمعنى البلدة وضعه إبراهيم علمًا على المكان الذي عينه لسكنى ولده بنية أن يكون بلدًا، فيكون أصله من اللغة الكلدانية، لغة إبراهيم، ألا ترى أنهم سمّوا مدينة (بلعبك) أي بلد بعل، وهو معبود الكلدانيين، ومن إعجاز القرآن اختيار هذا اللفظ عند ذكر كونه أول بيت، فلاحظ أيضًا الاسم الأول)[٥].

وغيرها كثير من الآراء توسّع المفسرون واللغويون في الكلام فيها، وقد ذكر المفسرون بعضًا منها عند مرورهم بالآيات الكريمة، وبعد الاطّلاع عليها لا نستطيع التسليم والقبول بأحدها بسهولة ويسر؛ بل نذهب إلى أن هناك تقاربًا في المعنى العام حيث إن كليهما يدل على تلك البقعة المباركة، ولكن لا بد من وجود فرق دقيق بينهما في المعنى القرآني لهما؛ ولذلك جاءت بهذين الشكلين المختلفين؛ ونستطيع استخراج هذا المعنى من السياق، وإن لم يكن القول بمعنى معين قطعيًا إذ الله هو العالم، ولكن من باب التقريب فقط.

يرى العلامة المصطفوي أن بين الكلمتين اشتقاقًا أكبر، والبكة فيها دقّ ودك زائد بوجود حرف الباء، وهو من حروف الجهر والشدة بخلاف الميم فإنه من الحروف المتوسطة بين الشدة والرخاوة، فحين عبر بـ (بكة) فهذا في مقام المقابلة بالكفار والمشركين، وفي مورد إظهار القدرة والعظمة ودفع المخالفين، وحين عبر بـ (مكة) فهذا بعد مغلوبية المخالفين وفي مقام التسليم والإطاعة والانقياد منهم حيث إن البلد فتحت للمسلمين وصارت أمنًا لهم[٦].

أي إن العلامة المصطفوي يرى أن الناحية الصوتية أثرت في معنى النص، هذا من ناحية، وأضيف عليه: إن الموضع الأول لما كان عن الحج عبر عنه بـ (بكة)؛ لأن البك هو الزحام الشديد، وبالتالي عبّر

عنه بحرف شديد، وعبّر في الثاني بـ (مكّة) إذ الموسم ليس موسم الحج، ولا زحام ولا دكّ فيها وحياتهم تسير بصورتها الطبيعية دون وجود ضيوف الرحمن، وخصوصًا أن الآية الثانية تتحدث بعد أن كف الله أيدي المشركين عن المسلمين، وليس المقصود فيها البيت الحرام فقط بل الظاهر هو سائر المدينة المباركة، وهذا ما يقربنا إلى الرأي القائل أن بكة هو خصوص البيت الحرام، ومكة هي المدينة.

وقريب إلى ما تقدم ما ذهب إليه الدكتور فاضل السامرائي فيرى أن مكة هو الاسم المشهور لهذا البلد، وقد عبر عنه باسمه المشهور في سورة الفتح، وفي سورة آل عمران لما كان السياق عن الحجّ وما فيه من زحام وشدة بين الناس الذي قصدوا البيت الحرام جاء بلفظة (بكة)؛ لأن معناها اللغوي هو الشّدّة والزحام، وقيل: إنّها سميت (بكّة) لأنهم يزدحمون فيها للطواف والصلاة وأداء سائر مناسك الحج[٧].

وبالنظر إلى المعنى اللغوي لـ(بكّة) من حيث الشدة والزحام قد يدل مجيء لفظ (بكّة) في سياق الحج على أن الله تعالى يريد أن يوجهنا إلى السّعي الدائم والدؤوب للذهاب إلى الحج، وأداء المناسك مع وجود هذا الزحام والمشقة والصعوبة البالغة فيها، مع أن المطلوب من المسلم والواجب عليه هو مرّة واحدة في عمره عند وجود الاستطاعة، وإن كان من المحبّب أن يحج المسلم أكثر ما استطاع، فقد روي عن أئمتنا عليهم السلام أنهم حجوا عشرات المرات، كما أن الأدعية التي وردتنا عنهم صلوات الله عليهم تدعو الله أن يرزق الداعي الحج في كل عام كما في

أدعية ليالي شهر رمضان المبارك.

ومن الجميل هنا أن نستشهد بحديث روي عن رسول الله ﷺ فقد روى المحدث المجلسي: (خطب رسول الله ﷺ فقال: (إن الله كتب عليكم الحج) فقام عكاشة بن محصن ويروى سراقة بن مالك، فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فأعرض عنه حتى عاد مرتين أو ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: ويحك وما يؤمنك أن أقول: نعم؟ والله ولو قلت: نعم لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم، ولو تركتم كفرتم، فاتركوني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه)[٨].

ومن وحي هذا الحديث الشريف (نلمس أن جواب رسول الله ﷺ للسائل قد ينم على أن فريضة الحج قد فرضها سبحانه لكل عام لمن استطاع، بيد أنه خفّف على عباده في هذا الأمر كذلك، فحتى المستطيع يرعاه سبحانه برحمته فلا يفرض عليه الحج كل عام، وهو من حقه تعالى على عباده كافة)، ورسول الله ﷺ بجوابه هذا خفف على الناس، (فامتنع الحج لكل عام لامتناع قوله (نعم)، فكأن الحج كان لكل عام لكن الله تعالى يسر الحال وهون الأمر)[٩] بوضعه شرط الاستطاعة، وهذا يدل أيضًا على المحاولة للذهاب إلى الحج مع وجود الصعوبات والمشقة والشّدّة والزحام، وهو ما يتوافق مع المعنى اللغوي لكلمة (بكّة)، والله العالم.

المورد الثاني: الحَج بالفتح، والحِج بالكسر:

وردت مفردة (الحج) تسع مرات في القرآن الكريم، ثمان منها كانت مفتوحة الحاء، وآخر مفرد كان مكسور الحاء، وهو قوله تعالى: (**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**) (آل عمران: ٩٧).

نقل ابن منظور عن الكسائي: (الحَج والحِج ليس عند الكسائي بينهما فرقان)[١٠].

وقال الفخر الرازي: (قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بكسر الحاء، والباقون بفتحها، قيل: الفتح لغة الحجاز، والكسر لغة نجد، وهما واحد في المعنى، وقيل هما جائزان مطلقاً في اللغة، مثل رَطل ورِطل، وبَزر وبِزر)[١١].

وذهب ابن عادل الحنبلي في تفسير اللباب إلى ما ذهب إليه العلامة الفخر الرازي نفسه من أنهما لغتان بمعنى واحد[١٢].

أقول: لابد لهذا الاختلاف في الحركة من وجود اختلاف في المعنى، بسبب القصدية الدقيقة في النص القرآني، والإعجاز الموجود فيه، وأن كل حركة مقصودة بذاتها كما تقدم في بداية هذا المقال؛ ولذا لا يمكن القول أنهما بمعنى واحد، والخلاف في القراءة فقط لأنهما بلهجتين مختلفتين؛ فاللفظتان وإن كانتا لهجتين عند قبيلتين من قبائل العرب، ولكن هذا القول مردود لأن القرآن نزل بلغة موحدة، ولم ينزل حتى بلهجة قريش التي نزل بينهم على الرسول الأكرم القرشي، بل القرآن الكريم وحّد لغات العرب ولهجاتهم بلغة واحدة ولذلك حفظ الله اللغة العربية بالقرآن الكريم المعجزة الكبرى.

وتأسيساً على ما تقدم فهناك فرق، قال الشيخ الطوسي: (قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر (حِج البيت) بكسر الحاء والباقون بفتحها، فمن فتح أراد المصدر الجاري

على فعله، ومن كسر أراد الاسم)[١٣].

ونقل الفخر الرازي وابن عادل الحنبلي أن المفتوحة هي المصدر والمكسورة هي اسم[١٤]؛ ومما يؤيد هذا القول أن الفعل الثلاثي المتعدي مثل (حَجَّ) يكون مصدره على وزن (فَعْل) بفتح فسكون إلا ما شَذَّ منه[١٥]، ولا نستطيع أن نصف المفردة القرآنية بالشذوذ، فالمصدر هو (الحَجُّ) بفتح الحاء؛ ومما يؤيد هذا ما ورد في المعاجم العربية أن مصدر الفعل (حَجَّ) هو (حَجٌّ) فقالوا: (حَجّ يَحجُّ حَجّاً)[١٦].

وممن خالف الرأي المتقدم سيبويه إذ قال: (قالوا: حج حجّاً، كما قالوا: ذكر ذكراً)[١٧]، ووافقه في رأيه الطبرسي إذ قال: (قال سيبويه: حج حجّاً مثل ذكر ذكراً، فحج على هذا مصدر...)[١٨].

واستند العلامة المصطفوي على رأي سيبويه، فقال: (الظاهر أن الحَج بالفتح اسم مصدر، وإنما المصدر هو الحِج بالكسر كما عن سيبويه، وتدل عليه آية: (وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ...)، فإن الواجب عليهم إقامة الحج، والقصد إليه مع العمل، ولا يصح أن يقال للّٰه عليهم نفس المناسك، أي ما يحصل من المصدر)[١٩].

إذن فالفرق هو أن أحدهما مصدر والآخر اسم المصدر، على اختلاف بين القوم أيهما مصدر، وأيهما اسم المصدر؟

وأما الفرق بين اسم المصدر والمصدر، قال ابن النحّاس: (الفرق بينهما أن المصدر في الحقيقة هو الفعل الصادر عن الإنسان وغيره... واسم المصدر اسم للمعنى الصادر عن الإنسان وغيره)[٢٠].

وقال عباس حسن: (إن اسم المصدر يدل مباشرة على لفظ المصدر لا على الحدث المجرد، وأن دلالته على لفظ المصدر تؤدي- تبعًا- إلى الدلالة على معنى المصدر، وبذا تكون دلالته الحدث المجرد دلالة غير مباشرة، وإنما هي بالواسطة، إذ هي من طريق المصدر)[٢١].

وقال الدكتور فاضل السامرائي: (وقيل أيضاً: إن المصدر يدل على الحدث، واسم المصدر يدل على الشيء أو الذات، ونحو ذلك العطاء والإعطاء، فالإعطاء هو الحدث، والعطاء اسم لما يعطى، والغَسل فعل الغاسل أي الحدث، والغُسل الماء يغتسل به، والتقبيل هو فعل المقبل، والقبلة اسم لذاك... والذي يترجح عندي أن الأصل في اسم المصدر أن لا يدل على الحدث بل وضع للدلالة على الاسم، فالقرض ما سلّفت، وأما الإقراض فمصدر أقرض وهو الحدث)[٢٢].

إذن إذا قلنا: إن الحج بالكسر اسم مصدر، فهذا يدل على أن المراد بالحَج بالفتح هو الحدث، بينما المراد بالحِج بالكسر هو اسم لما يقوم به القاصد إلى بيت اللّٰه الحرام من أعمال في الديار المقدسة وليست الأعمال نفسها.

ولابد من الإشارة إلى أن الاسم أعم من المصدر، فكل مصدر هو اسم وليس كل اسم هو مصدر؛ وبناء على هذا فمفردة الحِج بالكسر تشمل الأعمال كلها وزيادة كتقوى اللّٰه والخوف منه ورجائه؛ ولذا جاءت في هذه الآية بالكسر للعموم أكثر ولأداء الحج الحقيقي، خصوصًا إذا علمنا أن الآية مورد البحث هي الآية التي صرّحت بوجوب الحج وجوبًا عينيًا على كل مسلم في حياته، ولكن خففت الوجوب بشرط الاستطاعة لكي لا يشق اللّٰه على عباده، بينما الآيات الأخرى هي بيان لأحكام الحج ووقته وآدابه، مثل قوله تعالى: (**يَسْأَلُونَكَ**

عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ (البقرة: ١٨٩)، و(**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ....فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ**) (البقرة:١٩٦)، و(**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ**) (البقرة:١٩٧)، و(**وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**) (التوبة: ٣).

هذا مختصر ما توصلنا إليه، والعلم القطعي عند الله تعالى، وبهذا فتحنا بابًا للباحثين للتكملة فيه والبحث في آيات القرآن الكريم للوصول إلى دقائق المعاني، والحمد لله رب العالمين■

---

١) ينظر مقدمة موسوعة (التحقيق في كلمات القرآن الكريم) للعلامة حسن المصطفوي.
٢) ينظر معجم البلدان: ٤٧٥/١، و ١٨١/٥.
٣) ينظر: معجم البلدان: ١٨١/٥، وروح المعاني: ٤/٤، والكشاف: ٣٨٧/١، مفردات ألفاظ القرآن: ٨٥، واللباب في علوم الكتاب: ٣٩٧/٥، مجمع البيان: ٧٩٧/٢.
٤) تفسير البحر المحيط: ١١/٣.
٥) تفسير التحرير والتنوير: ١٥٩/٣.
٦) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ١٥٩/١١.
٧) ينظر: التعبير القرآني: ١٧٣، وبلاغة الكلمة في التعبير القرآني: ٥٦.
٨) بحار الأنوار: ٣٣/٢٢.
٩) ينظر: مجلة كلية الفقه في جامعة الكوفة: العدد ٤، من بحث للدكتور سيروان الجنابي بعنوان (دلالة الحج في التعبير القرآني).
١٠) لسان العرب: ٢٢٧/٢.
١١) التفسير الكبير: ٣٠٣/٨.
١٢) اللباب في علوم الكتاب: ٤١٢/٥.
١٣) التبيان، تفسير الآية ٩٧ من سورة آل عمران.
١٤) التفسير الكبير: ٣٠٣/٨، واللباب في علوم الكتاب: ٣٣٥/٣ و ٤١٢/٥، كذلك في التفاسير مثل الجامع لأحكام القرآن، وفتح القدير وغيرها.
١٥) ينظر: مختصر الصرف للدكتور عبد الهادي الفضلي: ٥٣.
١٦) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ولسان العرب، والمصباح المنير، وتاج العروس، باب (حجج).
١٧) كتاب سيبويه: ٧/٤.
١٨) مجمع البيان: ٧٩٦/٢.
١٩) التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ١٩٨/٢.
٢٠) الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي: ٢٣٤/٢.
٢١) النحو الوافي: ٢١٠/٣.
٢٢) معاني النحو: ١٤٣/٣.

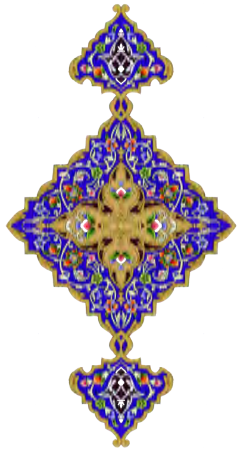

مسلم بن عقيل عليه السلام

قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عن مسلم بن عقيل عليه السلام حين ذكره : (فتدمع عليه عيون المؤمنين ، وتصلي عليه الملائكة المقربون . ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى جرت دموعه على صدره ، ثم قال : إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي).

(أمالي الشيخ الصدوق/ ص١٩١)

سقتك دمًا يـــا ابن عم الحسين ... مدامع شيعتك السافحه
ولا برحت هاطـلات الدموع ... تحيـــيك غـــــادية رائحة
لأنك لم ترو مـــن شـــــربة ... ثناياك فيها غدت طائحه
رموك من القـصر إذ أوثقـوك ... فهل سلمت فيك من جارحه
تجر بأســـواقهم في الحـــبال ... ألست أمـــيرهم البارحة!؟
أتقضي ولم تبكـــك الباكـيات ... أما لك في المصر من نائحه
لئن تقض نحبًا فـــكم في زرود ... عليك العشية من صائحه

(السيد باقر الهندي)

في قتل مسلم وهاني يقول عبد الله بن زبير الأسدي :

إن كنت لا تدرين ما الموت فانظري ... إلى هانئ في السوق وابن عقيلِ
إلى بطل قد هشَّم السـيف وجـهه ... وآخر يهوي من طمار قتيل
أصابهـــما أمر الأمـــير فأصـبحا ... أحاديث من يسري بكل سبيل
ترى جسدًا قد غـــير الموت وجهه ... ونضح دم قد سال كل مسيل
فتى هو أحـــيا من فـــتاة حيية ... وأقطع من ذي شفرتين صقيل
أيركب أسماء الهماليـــــج آمنا ... وقد طلبته مذحج بذحول
تطيف حواليه مـــراد وكلـــهم ... على رقبة من سائل ومسول
فإن أنتم لم تـثأروا بأخـــــيكم ... فكونوا بغايا أرضيت بقليل

(الإرشاد/ الشيخ المفيد/ ج٢ص٦٤)

قرآنيات

عصمة إبراهيم عليه السلام من سوء الأدب في النص القرآني

د. سيروان عبد الزهرة الجنابي
كلية التربية/ جامعة الكوفة

ينابيع

إذا كان النبي يمثل نيابةَ السماء في الأرض على وجه الفعلية، وإذا كانت السماء نفسها تدعو تنصيصاً وجهاراً إلى وجوب التحلي بالخلق وحسن الأدب إلى الحد الذي تسوِّغُ فيه أنْ يميل المرءُ على نفسه في تقبل الآخر دون الإساءة إليه؛ فإنَّه يمكن القول بأنَّ هذه النيابة وتلك الدعوة تقتضيان باللزوم أنْ يغدو كلُّ نبي - مبعوث من السماء- مكمن الأدب الأرقى وموئل الخُلق الأرفع على وجه الإطلاق؛ ذلك بأنَّ ظهوره بوصفه الأنموذج الأسمى لما تبتغيه السماء يعد مرقاةً لقبول الناس له أو تقبُّل الناس إليه بوصفه منقذاً لهم ومُشرِّعاً لقوانين التعامل فيما بينهم ومؤسساً لمنطقيات حسن الخلق وجمالية التعامل الإنساني الواجب إيجاده أصالةً في حياتهم.

من هنا كان لا يحقُّ لأيِّ نبيٍّ أن يدخل إلى نطاق سوء الأدب أو تنتابه لحظة ما يغدو فيها خارجاً عن نطاق سمو التبادل الأخلاقي الأنقى مع الآخر، فإذا كان الأمر كذلك فإن هذا يدعو إلى اتهام النبي إبراهيم عليه السلام بسوء الأدب وخروجه عن نطاق الخُلق أصالةً في التعامل مع أبيه، وذلك تحديداً حينما نادى إبراهيمُ والدَهُ (آزر) باسمه من دون لياقة أو تلطف في النداء وذلك في قوله تعالى: (**وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ لأَبِيه آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْناماً آلِهَةً إِنِّي أَراكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**) (الأنعام: ٧٤) إذ بناءً على كيفية النداء في الآية الكريمة فإنه يبدر تساؤلٌ مُلح ههنا ألا وهو: أليس قول إبراهيم لأبيه (آزر) فيه سوء أدب منه عليه السلام تجاه آزر؟ إذ كان ينبغي عليه أن يخاطبه بأدب؛ فحتى لو لم يكن أباه على وجه الفعلية النسبية؛ فإنَّه قد قام بتربيته، أفليس يتحتم على إبراهيم أن يراعي حق التربية فلا يُقْدِمُ على مناداة أبيه بهذه الحيثية غير اللائقة؟

نقول إن إبراهيم عليه السلام لم ينادِ أباه آزر باسمه البتة؛ بل كان يتحلى بكامل الأدب

في مناداته، فهو لم يناده باسمه أبداً؛ إذ لا يمكن أن لا يجري ذلك على إبراهيم أو يصدر منه مطلقاً، ذلك بأنه قد جاءت لفظة (آزر) في النص الكريم لبيان أن هذا المنادى ليس أباه فعلاً؛ بل هو زوج خالته وأنَّه مربيه، فلفظة (آزر) لم تكن جزءاً من مقولة إبراهيم عليه السلام في خطابه لأبيه -المُربي- فليس المعنى (**وَإِذْ قَالَ إِبْراهِيمُ لأَبِيه: يا آزَرَ؛ أَتَتَّخِذُ أَصْناماً آلِهَةً**)؛ بل تبدأ مقولة إبراهيم من قوله متسائلاً: (**أَتَتَّخِذُ أَصْناماً آلِهَةً**)؛ وبهذا تنتفي التهمة عن إبراهيم عليه السلام فلفظة (آزر) بدل بياني من لفظة (لأبيه) لا أكثر.

وتأسيساً عليه نقول إن الدلالة الإعرابية للفظة (آزر) هي التي تحسمُ الأمرَ في كون لفظة (آزر) جزءاً من كلام إبراهيم أم لا، ذلك بأننا إذا ما أمعنا النظر في الحركة الإعرابية للفظة (آزر) فإنا سنجدها الفتحة وهي قراءة الجمهور[1]، وهذا يدل على أنها بدلٌ من لفظة (لأبيه)[2]؛ ذلك بأنَّ البدل يتبعُ المبدل منه في الإعراب فلما كانت حركة (لأبيه) الكسرة بوصفها لفظة مخفوضة، جاءت حركة (آزر) الفتحة بوصفها بدلاً مخفوضاً بالفتحة بدلاً من الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعُجمة[3]، ولو كانت لفظة (آزر) جزءاً من كلام إبراهيم لوجب أن تكون حركتها الضمة بوصفها علم منادى فيقول: (**آزرُ أَتَتَّخِذُ أَصْناماً آلِهَةً**) والمراد (يا آزرُ؛ أَتَتَّخِذُ أَصْناماً آلِهَةً)، فلما كانت حركة لفظة (آزر) هي (الفتحة) عُلِمَ من هنا أنها ليست من البنية الكلامية لإبراهيم البتة.

فضلاً عن هذا وذاك فإنَّ إبراهيم عليه السلام كان في صدد دعوة أبيه إلى الإيمان بالله تعالى والدخول إلى دينه؛ وهذا المنطق ينافي القول بإمكان أن يُنادي إبراهيم أباهُ باسمه أو يمارس معه سوء الأدب، فإذا كان دعوته إلى أبيه منطلقة من سوء أدب إبراهيم عليه السلام ـ حاشاه ـ فكيف له أنْ يُقنعَ أباه بالإيمان -والحال هذه-؛ من هنا فإنَّ المنطلق المضموني لكلام إبراهيم عليه السلام ـ الذي هو الدعوة إلى الإيمان ـ يتقاطع والقول بممارسة قلة الأدب مع أبيه، لأنَّ هذا يدعو القول بالتناقض محصلةً، بل ينصرف إلى تماهي التصور إلى قلة وعي إبراهيم بما يريد وبكيفية إيصال ما يريد إلى الآخر؛ وبهذا يخرج من نطاق حكمة التعامل مع الآخر وكيفية كسبه إلى نطاق الإيمان، في الوقت الذي يعد فيه اعتماد هذه الحكمة والتمسك بها أصلاً من أصول نجاح دعوة كل نبي، يقول الله تعالى: (**ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**) (النحل: ١٢٥).

يزادُ على هذا فإن إبراهيم عليه السلام قد استعمل مع أبيه أسلوب الاستدراج في الكلام حتى يوصله للاقتناع بدعوته ومن لوازم هذا الاستدراج أن لا يخاطب صاحبُ الدعوة الآخرَ بلُغة التوبيخ أو لهجة الشدة والتحقير البتة؛ لأنَّ هذا يدعو إلى نفرة المتلقي من المخاطب وعدم تقبُّله ما يدعوه إليه؛ وبهذا تتحطم الدعامة الأساس التي تقوم عليها عملية الاستدراج للآخر، وعند التأمل في النص الكريم نقف على أن إبراهيم قد وظَّفَ أسلوب الاستدراج مع أبيه لاستمالته إلى الإيمان حيث بدأ عليه السلام الحوار مع أبيه بقوله: (**أَتَتَّخِذُ أَصْناماً آلِهَةً إِنِّي أَراكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**)؛ إذ استعمل أسلوب الاستفهام الذي يحمل

دلالة الإنكار التعجبي فكأنَّه يتساءل متعجباً من عبادة أبيه للأصنام واتخاذها آلهة من دون الله تعالى، وفي الوقت نفسه فإنه يُنكرُ على أبيه هذه العبادة[٤]؛ فالمبتغى من الكلام: (لا تَتَّخِذْ أَصْناماً آلِهَةً) هو أنها لا تستحق العبادة؛ فكان في هذا الاستفهام دلالة تحنن وتقرُّب من أبيه رغبةً منه في إنقاذه من الضلالة؛ لهذا لم يأت بأسلوب التوبيخ المفضي إلى تقليل الشأن أو يستعمل أسلوب النهي المباشر عن عبادة الأصنام الذي يؤول إلى صدم أبيه بالحقيقة التي يهربُ منها دائماً؛ فهو لم يخاطبه مباشرةً فيقول له (لا تعبد الاصنام)؛ لأن الحوار على هذه الشاكلة سوف يؤدي إلى إحداث تراجع نفسي لدى أبيه وردة فعل شديدة تجاه إبراهيم لأنه واجهه بالحقيقة التي لا يريد أن يعرفها أبوه؛ ذلك بأن أباه متشبع كلياً وعقائدياً من عبادة الأصنام إلى حد الذي لا يسمح هذا الوضع لإبراهيم بأنْ يعرضَ عليه دينه عن طريق نهيه عن دينه الأول؛ لذا عدل إبراهيم فاستعمل الخطاب غير المباشر من أجل أن يُقنعَ أباه بما يريد؛ فهي وسيلةٌ تلطُّفيةٌ في التعبير تكسبُ المتلقيَ وتشدُ انتباهَهُ وتفتحُ معه باباً للحوار من دون أن تحدث لديه ردةَ فعل معينة تجاه المتكلم؛ لأن غاية إبراهيم سامية وهي التوحيد إلى عبادة الله الإله الواحد؛ لذا لم يكن له أن يفسد هذه الغاية بالحوار التشنجي الشديد من هنا استعمل السؤال الإنكاري فالمراد (لا تعبد الأصنام).

ثم عقب إبراهيم قائلاً: (**إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**) فنجد أنَّ إبراهيم استعمل في هذه العبارة الأسلوب غير المباشر فلم يقل لأبيه: (أنت وقومك في ضلال مبين)؛ فيحسم الأمر ويبتعد عن أبيه لأنه كافر؛ بل قالَ له: (**إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**)؛ فهو لم يحسم الأمر معه بعد ولم يتهمه بالضلالة على وجه القطعية؛ بل كأنَّه قال له: (أحسبُ أنَّك وقومك في ضلال) ونستشعر من خطاب إبراهيم هذا دعوة لأبيه ليسأله لماذا تراني هكذا؟!، فيتحقق الاستدراج من إبراهيم لأبيه بأن سحبَ إليه انتباهه بهذا التعبير فلو قال له: (أنت في ضلال مبين)؛ لما ردَّ عليه أبوه؛ بل لطرده؛ ولكن قال له: (**إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**)؛ ليسأله أبوهُ عن سبب رؤيته هذه فيجيبه إبراهيمُ مُستدلاً على ذلك فيستدرجه إلى نطاق الإيمان بهذا الأسلوب الجميل[٥].

وذهب جملة من علماء التفسير إلى أن عبارة إبراهيم لأبيه (**إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**) تدل على الغلظة والشدة وليست أسلوباً جميلاً غايته الاستدراج لأبيه ليؤمن بوحدانية الله تعالى وينبذ الأصنام، فمقولة إبراهيم ((هذه دالة على أنه عليه السلام شافهه بالغلظة والجفاء لقوله تعالى: إني أراك وقومك أي الذين يتبعونك في عبادتها في ضلال عظيم عن الحق مبين))[٦] ولا يمكن الانصياع وراء هذا القول؛ وقد نص الآلوسي على عدم قبول هذا القول بقوله: ((ومشافهة الأب بالجفاء لا يجوز لما فيه من الإيذاء وآية التأفيف بفحواها تعم سائر أنواع الإيذاءات كعمومها للأب الكافر والمسلم؛ وأيضاً إن الله تعالى لما بعث موسى عليه السلام إلى فرعون أمره بالرفق معه والقول اللين له رعاية لحق التربية وهي في الوالد أتم وأيضاً الدعوة بالرفق أكثر تأثيراً فإن الخشونة توجب النفرة فلا تليق من غير إبراهيم عليه السلام مع الأجانب فكيف تليق منه مع أبيه وهو الأواه الحليم))[٧].

وبهذا ننتهي إلى القول بأن الأسلوب الحواري لإبراهيم كان مبيناً على أساس الاستدراج وأن هذا الأسلوب يلزمُ صاحبَهُ باللين وحسن التعامل مع الآخر حتى يستدرجه إلى مبتغاه؛ من هنا يثبت أن إبراهيم لم ينادِ أباه باسمه أبداً؛ لأن هذا لا يتفق ومستوى أدبه الرفيع من جهة ولا يتلائم مع منطلق أسلوبه الاستدراجي في دعوة أبيه إلى الإيمان من جهة أخرى، وتأسيساً عليه نجد أن إبراهيم عليه السلام لم يكن سيئ الخلق مع أبيه؛ بل على العكس تمامًا كان يتحلى بأروع خلق في حواره معه مطلقاً، وبهذا لا مجال مطلقاً لمن قال بأنَّ لفظة (آزر) يمكن أنْ تكون منادى مضمون[٨]؛ ليُثَبِّتَ بذلك على النبي إبراهيم عليه السلام سمة الغلظة والتوبيخ لأبيه؛ ذلك بأن الانصياع وراء هذا القول يُفضي بنا بالمآل إلى القول بأنَّ إبراهيم خارج عن العصمة ولا خروج عن العصمة لإبراهيم البتة؛ لأنَّ خطابه لأبيه كان يمثل أعلى درجات التهذيب النبوي عموماً■

١) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير: ٣٧٨/٢، والبغوي: معالم التنزيل: ١٥٨/١.
٢) ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي: ٤٢٢/١، والنسفي: تفسير النسفي: ٣٣٠/١.
٣) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير: ٣٧٨/٢.
٤) ينظر: الطوسي: التبيان:١٧٤/٤، الشوكاني: فتح القدير: ١٩٢/٢، والنسفي: تفسير النسفي: ٣٣٠/١، الآلوسي: روح المعاني: ١٩٤/٧.
٥) ينظر: المؤلف: ظاهرة الاستدراج في النص القرآني -دراسة تفسيرية في إثبات وحدانية الله تعالى-، (بحث منشور) في مجلة كلية التربية- جامعة بابل، وهو بحث مشترك مع الباحثة: زينب حكيم عبيد الوطيفي.
٦) الآلوسي: روح المعاني: ١٩٦/٧.
٧) م.ن: ١٩٦/٧.
٨) ينظر:الطوسي: التبيان: ١٧٤/٤، والطباطبائي: الميزان: ١٦١/٧.

من تكره مجالسته ومرافقته

* كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام إِذَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ قَالَ: يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَتَجَنَّبَ مُوَاخَاةَ ثَلَاثَةٍ: الْمَاجِنِ الْفَاجِرِ والأَحْمَقِ والْكَذَّابِ، فَأَمَّا الْمَاجِنُ الْفَاجِرُ فَيُزَيِّنُ لَكَ فِعْلَه، ويُحِبُّ أَنَّكَ مِثْلُه، ولَا يُعِينُكَ عَلَى أَمْرِ دِينِكَ ومَعَادِكَ، ومُقَارَبَتُه جَفَاءٌ وقَسْوَةٌ، ومَدْخَلُه ومَخْرَجُه عَارٌ عَلَيْكَ. وأَمَّا الأَحْمَقُ فَإِنَّه لَا يُشِيرُ عَلَيْكَ بِخَيْرٍ، ولَا يُرْجَى لِصَرْفِ السُّوءِ عَنْكَ ولَوْ أَجْهَدَ نَفْسَه، ورُبَّمَا أَرَادَ مَنْفَعَتَكَ فَضَرَّكَ، فَمَوْتُه خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِه، وسُكُوتُه خَيْرٌ مِنْ نُطْقِه، وبُعْدُه خَيْرٌ مِنْ قُرْبِه. وأَمَّا الْكَذَّابُ فَإِنَّه لَا يَهْنِئُكَ مَعَه عَيْشٌ، يَنْقُلُ حَدِيثَكَ ويَنْقُلُ إِلَيْكَ الْحَدِيثَ، كُلَّمَا أَفْنَى أُحْدُوثَةً مَطَرَهَا بِأُخْرَى مِثْلِهَا، حَتَّى إِنَّه يُحَدِّثُ بِالصِّدْقِ فَمَا يُصَدَّقُ، ويُفَرِّقُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدَاوَةِ فَيُنْبِتُ السَّخَائِمَ فِي الصُّدُورِ. فَاتَّقُوا اللهَ عَزَّ وجَلَّ وانْظُرُوا لأَنْفُسِكُمْ.

* عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قَالَ: قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام: إِنَّ صَاحِبَ الشَّرِّ يُعْدِي وقَرِينَ السَّوْءِ يُرْدِي فَانْظُرْ مَنْ تُقَارِنُ !.

* عَنْ الإمام أَبِي عَبْدِ الله الصادق عليه السلام عَنْ أَبِيه عليه السلام قَالَ: قَالَ لِي أَبِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ صَلَوَاتُ اللهَّ عَلَيْهِمَا: يَا بُنَيَّ انْظُرْ خَمْسَةً فَلَا تُصَاحِبْهُمْ ولَا تُحَادِثْهُمْ ولَا تُرَافِقْهُمْ فِي طَرِيقٍ. فَقُلْتُ :يَا أَبَتِ مَنْ هُمْ عَرِّفْنِيهِمْ، قَالَ: إِيَّاكَ ومُصَاحَبَةَ الْكَذَّابِ فَإِنَّه بِمَنْزِلَةِ السَّرَابِ، يُقَرِّبُ لَكَ الْبَعِيدَ ويُبَعِّدُ لَكَ الْقَرِيبَ، وإِيَّاكَ ومُصَاحَبَةَ الْفَاسِقِ فَإِنَّه بَائِعُكَ بِأُكْلَةٍ أَوْ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ، وإِيَّاكَ ومُصَاحَبَةَ الْبَخِيلِ فَإِنَّه يَخْذُلُكَ فِي مَالِه أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْه، وإِيَّاكَ ومُصَاحَبَةَ الأَحْمَقِ فَإِنَّه يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرُّكَ، وإِيَّاكَ ومُصَاحَبَةَ الْقَاطِعِ لِرَحِمِه فَإِنِّي وَجَدْتُه مَلْعُوناً فِي كِتَابِ الله عَزَّ وجَلَّ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ، قَالَ الله عَزَّ وجَلَّ : **(فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وتُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ الله فَأَصَمَّهُمْ وأَعْمى أَبْصارَهُمْ)** وقَالَ عَزَّ وجَلَّ: **(الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ الله مِنْ بَعْدِ مِيثاقِه ويَقْطَعُونَ ما أَمَرَ الله بِه أَنْ يُوصَلَ ويُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ ولَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)** وقَالَ: **(الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ الله مِنْ بَعْدِ مِيثاقِه ويَقْطَعُونَ ما أَمَرَ الله بِه أَنْ يُوصَلَ ويُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ)**.

أصول الكافي للكليني: ج٢ ص٦٤٠

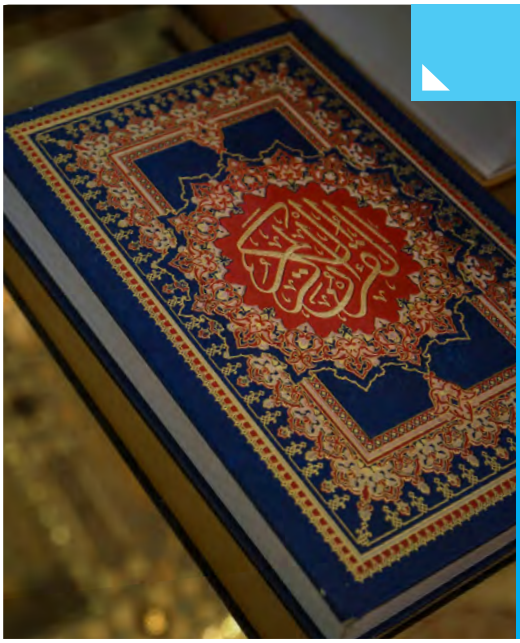

قرآنيات

القصص في التعبير القرآني

د. زهير غازي زاهد
الجامعة الإسلامية/النجف الأشرف

ينابيع نريد أن نعرف شيئاً مما دار في التعبير القرآني من القصص، ولا نريد أن نوازن بين القصص في القرآن الكريم وبين القصص في الأدب، لأن القصص القرآني يأتي لهدف العبرة والموعظة ولإضاءة آفاق الحياة بالتجارب التي مر بها البشر، وعاشتها الأمم الغابرة، فالقرآن لم يكن كتاب قصص للمتعة ولا كتاب تاريخ أو جغرافية، فالقرآن عرّف نفسه بأنه هدى للعالمين وتبيان لكل شيء، فهو كتاب هداية وعقيدة، فينبغي لنا أن ننظر للقصة القرآنية نظرًا يختلف عن النظر للقصة الأدبية، فكما كان طابعها الخاص وغايتها كان تكوينها أيضًا.

وفي القرآن قصص كثير، دار بعضه حول الأنبياء والرسل وغيرهم كذي القرنين وصاحب الجنتين وأصحاب الكهف وأصحاب الفيل وأحداث الأمم في غابر الزمان وما جرى لها كعاد وثمود.

والقصة الواحدة في القرآن قد ترد في أكثر من سورة مع اختلاف مغزى القصة من سورة إلى أخرى بحسب ما يتناسب مع السياق، فقصة نوح مثلًا وردت في سورة باسمه وكررت في سورة الأعراف وسورة هود، وتكررت في سورة المؤمنون وسورة الشعراء وسورة القمر ويونس والعنكبوت والأنبياء والفرقان والصافات والتحريم وهكذا قصة آدم وموسى عليهما السلام وغيرهم.

لذا لا يمكننا أن نأخذ قصة كاملة من سورة واحدة في القرآن إلاّ قصة يوسف عليه السلام، فقد جاءت سورة باسمه روت قصته من بدايتها حتى نهايتها ولم يكن ذلك في غيره، ولكن جاءت سور بأسماء أنبياء مثل إبراهيم ونوح وطه ولكن لم تأت القصة كاملة في إي منها سوى سورة يوسف.

وأمثلة الآيات التي تحتشد فيها عدة

قصص في آيات قليلة كل قصة تكون رمزاً لقضية وحدث كقوله تعالى من (سورة الفرقان/الآيات: ٣٥ – ٤٠)

(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا * فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا * وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا * وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا * وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا * وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا).

رأينا كيف يذكر قصة موسى الذي أتاه الكتاب مع أخيه ووزيره هارون وأمرا للذهاب (**إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا**)، ثم ذكر قوم نوح الذين كذبوا الرسل (**أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً**) ثم ذكر (**وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا**) (**وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا**) ثم (**عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ**) وذكر المطر رمزًا للعقوبة في الاستعمال القرآني ويقابله كلمة الغيث التي تدل على الخير والخصب وذلك من دقة استعمال الكلمة القرآنية.

كل هذه القصص والرموز التي عاقبها الله غايتها العظة والعبرة وضرب الأمثال لمن يتعظ. والقرآن الكريم يصرح بأن هذه القصص تحكي حقائق غيبية لم يعرفها أحد حتى النبي ﷺ قال تعالى: (**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**) (يوسف: ١١١)، هكذا هو الأسلوب القرآني في حشد القصص فيه، لبيان أحوال الأمم الغابرة لاتخاذ العبر والموعظة.

المثال الأول: (سورة الشعراء)

ومن الأسلوب القصصي أيضًا ما نجده في سورة الشعراء التي اشتملت على سبع قصص متوازنة في بدئها ونهايتها، فالآيات السبع الأولى منها خطاب للرسول ﷺ تهدئة له من عدم إيمان الكافرين المعرضين عن دعوة الحق. قال تعالى: (**طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣) إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤) وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (٥) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٦) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (٧) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٩)**) الآيتان (٨، ٩) سيكونان خاتمة لكل قصة تأتي في هذه السورة.

القصة الأولى (موسى وفرعون):

(**إِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (١١) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ (١٣) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ (١٤) قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ (١٥) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦).....قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤)**).

وتستمر القصة حتى قوله تعالى: (**وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ** (٦٥) **ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ** (٦٦)) ثم يختم بالآيتين (٨ ، ٩) (**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**)

القصة الثانية (قصة إبراهيم عليه السلام):

(**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ** (٦٩) **إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ** (٧٠) **قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ**).

وتستمر القصة حتى الآية (**فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** (١٠٢)). ويختمها بالآيتين السابقتين.

القصة الثالثة (قصة نوح عليه السلام)

(**كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ** (١٠٥) **إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ** (١٠٦) **إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ** (١٠٧) **فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ** (١٠٨) **وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ** (١٠٩) **فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ** (١١٠) **قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ** (١١١)..... **فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ** (١١٩) **ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ** (١٢٠)) ويختمها بالآيتين المذكورتين.

ثم قصة عاد وثمود وقوم لوط، وأصحاب الأيكة، وكل واحدة من هذه القصص تبدأ بقوله: (**كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ.. كَذَّبَتْ عَادٌ، كَذَّبَتْ ثَمُودُ.. كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ.. كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ**) ويختمها بالآيتين المذكورتين، فبدايات القصة متشابهة ثم ختامها أيضًا.

وبعد القصة السابعة تأتي آيات ختام السورة في وصف القرآن الكريم (**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ** (١٩٢) **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ** (١٩٣) **عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ** (١٩٤) **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** (١٩٥) **وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ**(١٩٦)) وهكذا حتى ختامها بآية الشعراء (**وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ** (٢٢٤) **أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ**(٢٢٥) **وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ** (٢٢٦) **إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** (٢٢٧)).

المثال الثاني: (سورة الكهف)

وهذه سورة الكهف نتخذها مثالًا آخر على تضمن السورة أكثر من قصة، إضافة إلى الآيات التي تأتي في سياقها التربوي والعقائدي. فهذه السورة التي تروي حديث أصحاب الكهف احتوت على ثلاث قصص أخرى غير قصة أهل الكهف، لكنها يتداخل بعضها بالآخر لتسعى إلى غاية واحدة، وهي ما بدأت به السورة بقوله تعالى:

(**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا** (١) **قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا** (٢)) (سورة الكهف: ١ – ٢)

بدأت السورة بالحمد لله الذي أنزل كتابًا قويمًا فيه إنذارٌ للمخالفين وفيه بشرى للصالحين.

هذه الفكرة دارت عليها الآيات بعدها التي يختبر بها الإنسان وما يقوم به على الأرض (**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**) وبعد ثماني آيات تبدأ حكاية أصحاب الكهف، وهذه القصة وظفت عناصرها كما القصص الأخرى لإيضاح الحقائق بوسائل فنية بحيث يظهر تأثيرها في المتلقي.

(أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢)).

هذا ملخص القصة في بدئها ثم يعود النص إلى تسلسل الأحداث من دخول الفتية الذين آمنوا بربهم الكهف هروباً من بيئة الكفر، والكهف رمز لمكان منعزل على جبل وما في داخله بعيد عن المشاهد.

والقصة التي مجملها تظهر بداية قصتها.

(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَؤُلاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ فَأْوُواْ إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا (١٦)).

المشهد الأول:

فتية مؤمنة بربها زادهم الله هدى وربط على قلوبهم أعلنوا إيمانهم بالله رب السموات والأرض كانوا في بيئة كافرة (**اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً**) وفي التفاسير أنّ هؤلاء الفتية كانوا قريبين من السلطة الوثنية التي كانت تمارس القتل لمن يخالفها بالإيمان، هؤلاء الفتية المؤمنون كانوا يسارّ بعضهم بعضًا بما في قلبه، ولما ضاقوا ببيئتهم الوثنية وعدم انسجامهم معها قرروا الهروب بأنفسهم إلى الله.

المشهد الثاني:

أوّوْا إلى كهف يؤمنهم ويبعدهم عن السلطة الظالمة آملين أن تدركهم رحمة ربهم ويهيئ الله لهم من أمرهم رشدا.

هذا القسم من القصة القرآنية أكد على حالتين: إحداهما الحوار الذي بين الفتية المؤمنة وتدبر سبيل النجاة من بيئتهم الكافرة الظالمة، والحالة الأخرى هي الصراع بين فئة مؤمنة وسلطة ظالمة قوية، والأداء القصصي ابتعد عن السرد والتفصيل فكل تعريفهم هم (أصحاب الكهف) وكل تعريف المقابل هو (قوم اتخذوا من دونه آلهة عليهم سلطان ظالم) ثم تأتي حالة كونهم في الكهف والطابع الإعجازي القرآني في وضعهم:

(**وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ مَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (١٧) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا**(١٨)) هذه صورتهم الإعجازية وهم في الكهف إذاً آووا بلا زاد ولا ماء لم يفكروا إلّا بالحفاظ على إيمانهم معتمدين على رحمته تعالى، فهم في (فجوة) من الكهف تميل الشمس عنهم في شروقها كي لا تؤثر على أجسادهم وكذا عند غروبها ثم يأتي هذا الوصف البديع (**وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا**) هذا الوصف البليغ التأثير جعل منهم

صورة صامتة ناطقة ثابتة متحركة، وظهر عنصر كلبهم في هذا المشهد وأنه حارسهم بالوصيد.

في هاتين الآيتين اختزل رقودهم مدة ثلاثمائة وتسع سنين، وهو رمز إعجازي لقدرته تعالى (**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦)**).

المشهد الثالث:

(**وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠)**).

يروي هذا المشهد بعثهم وتساؤلهم عن مقدار نومهم، وذلك يكمل رمزية القصة، وهي تبدأ بالصراع بين الإيمان والكفر ثم هروب فتية مؤمنة بإيمانهم إلى كهف ثم يرقدون ثلاثة قرون فيتغير الزمان والمجتمع في هذه القرون الثلاثة، وبعد بعثهم من رقدتهم اكتشفوا بنقودهم القديمة وهيأتهم وتصورهم السابق بأن الوثنين ما زالوا يسيطرون لكنهم تفاجأوا بتغير الزمن والعقيدة والحكم، وبعد أحداث معاناة مبعوثهم واصطدامه بما لم يتوقع أثروا أن يعودوا لأن الزمن غير زمنهم فكانوا (آية من آياتنا عجبا)

(**وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا (٢١)**).

كان ذلك بعد اكتشاف الكهف وتنازع الناس في أمر الإيمان وما يقابله في ما يُبْنَى على أهل الكهف حائط أو مسجد على أقوال المفسرين.

وفي السورة نفسها حكاية صاحب الجنتين وهي من الأمثال في القرآن الكريم ذكرناها في موضوع الأمثال.

وكذلك وردت في سورة الكهف قصة ثالثة هي قصة موسى والعالم من الآية (٦٠) حتى الآية (٩٢) وفيها قصة رابعة هي قصة (ذي القرنين) تبدأ من الآية (٩٣).

إن سورة الكهف احتوت على هذه القصص الأربع التي عبرت كل واحدة منها عن حالة وشخصية، لكنها جميعًا توافقت في بيان الحياة الإنسانية وما يكون فيها من توافق وخلاف ثم من حوار وصراع لكن صوت الحق هو الأعلى والله معه ومع دعاته وهي فكرة بدأت السورة بها:

(**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا**) (سورة الكهف: ١ – ٢).

آمن الرسول

من وحي الحج

سماحة الشيخ جميل الربيعي
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع: يمكننا أن نستوحي من شعائر الحج ومناسكه ما يعمق فينا الإيمان باللّه تعالى، ويجذّره في نفوسنا، ويُحَكّمه في جوارحنا حتى يتحول الإيمان إلى غذاء للقلب، ونور للعقل، ومقوِّم للسلوك، وفيما يلي بعض من تلك الحِكَمْ التي نستوحيها من مناسك الحج:

بعض حِكَم الإحرام:

ما أن يصل الحاج إلى أحد المواقيت المقررة في الفقه الإسلامي فلا يحوز له أن يدخل الحرم المكي إلا محرمًا، ومن المعلوم أن الإحرام هو أول أعمال الحج، وبه يدخل القادم إلى الحرم المقدس بروح خاشعة متجردة عن زخارف الدنيا مع إحساس بهيبة الموقف حين يدخل هذا المكان المقدس، وهذا يمنح الحاج إحساسًا تربويًا من خلال التأدب لضيافة حرم اللّه.

وقد أشار الفقهاء إلى أن الإحرام يتضمن:

١- وجوب الامتناع عن منافيات الإحرام.

٢- عدم لبس المخيط.

٣- التلبية.

٤- الهدي للحاج القارن وهو الذي يحج حج القران.

أما الامتناع عن منافيات الإحرام وهي كثيرة منها: الصيد البري، ومقاربة النساء وتقبيلها ولمسها، والنظر في المرآة ، وعقد النكاح، واستعمال الطيب ، ولبس المخيط للرجال، والتكحل، ولبس الخف أو الجورب، والفسوق، والجدال، وإزالة الشعر، وستر الرأس للرجال، والتضليل، وإخراج الدم، وتقليم الأظافر...الخ.

ولعل الحكمة في ذلك هو أن يعيش الحاج مدة زمنية محددة متجردًا عن زخارف الدنيا ومغرياتها كدورة تربوية تدريبية؛ ليوجد في نفسه دوافع ومحفزات التوجه إلى اللّه، ولتركيز روح الإخلاص،والتجرد للّه وحده؛ ولترسيخ عقيدة التوحيد في النفس، بعد تطهيرها من العقائد الفاسدة، والأخلاق الذميمة، والعادات السيئة؛ لتتحرر من الانشداد إلى زخارف الدنيا ومغريتها.

وخلاصة الكلام:

١- إن الإحرام أحد المناسك التعبدية التي يروم الشارع المقدس أن يحرر المكلف بدورة تدريبية يتخلى فيها عن ما ألفه أيام حياته اليومية، وتذكره أنه لا يأخذ من دنياه غير هاتين القطعتين من القماش.

٢- إن لباس الإحرام أمر رمزي يتساوى فيه المسلمون من جميع طبقاتهم رئيسًا ومرؤوسًا، غنيًا وفقيرًا، عالمًا وجاهلًا في سبيل هدف واحد ونهج واحد في صعيد واحد.. حيث تلغى الفوارق القومية والوطنية والاقتصادية بل والعلمية.. ويبقى الفارق المميز: الإيمان، والتقوى، والإخلاص وهي العلامات الفارقة في طريق اللّه.

٣- إن لبس ملابس الإحرام وبهذه الصورة المتساوية وبين جميع المسلمين تذكر بأمرين أساسيين وهما: الأول: أن الإنسان لا يأخذ من دنياه أكثر من هاتين الخرقتين مهما جمع من المال، ومهما ملك من العقارات، والثاني: لو أن الحاج عاش تلك الحالة بصدق وإيمان باليوم الآخر، ويقين بالحساب والثواب والعقاب لكان لها دور فعال في تنقية نفسه من أوضار المادية ومذام الأخلاق، وأدران الذنوب.

٤- إن لبس الإحرام من قبل الجميع

واحتشادهم في مكان واحد، وتحركهم سوية في ميدان واحد يذكر الحاج بيوم القيامة، يوم يحشر الناس على صعيد واحد، وفي ذلك درس لنفس الإنسان ما لا يَعْدِلَه درس شريطة أن يعيش الحاج ذلك في حركته تلك بروح مؤمنة متطلعة إلى رحمة الله تعالى متوجها بكل وجوده إليه مفرغًا قلبه عما سواه.

٥- وأما التلبية: فهي شعار دقيق يشمل اللسان والقلب وجميع الجوارح والجوانح بمشاعر منبعثة عن إحساس إيماني بأن ما يتلفظ به إنما هو استجابة لنداء داعي التوحيد الذي امتثل له رسل الله وأنبيائه على طول خط التاريخ الرسالي استجابة لأمر الله تعالى: (**وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**) (الحج: ٢٧).

فالتلبية جواب لنداءين: الأول من خليل الرحمن عليه السلام حين دعا الناس إليه، والثاني ما ورد في قوله تعالى: (**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ...**) (آل عمران: ٩٧) .

ولهذا ينبغي أن يضع الحاج نصب عينه أنه يلبي النداء الإلهي، ويعطي على نفسه لله تعالى ميثاقًا أنه استجاب لكل ما أمر الله ونهى عنه، وأن يضع في قرارة نفسه أنه قد لا يُقْبَل أو يقبل؛ ولهذا لا بد أن يكون خائفًا خاشعًا، يقول سُفيانُ بنُ عُيَينَة: حَجَّ زَينُ العابدينَ عليه السلام، فَلَمّا أحرَمَ واستَوَت بِهِ راحِلَتُهُ اصفَرَّ لَونُهُ ووَقَعَت عَلَيهِ الرِّعدَةُ، ولَم يَستَطِع أن يُلَبِّيَ . فَقيلَ: ألا تُلَبّي ؟ فَقالَ: أخشى أن يَقولَ لي: لا لَبَّيكَ ولا سَعدَيكَ ! فَلَمّا لَبّى خَرَّ مَغشِيًّا عَلَيهِ وسَقَطَ عَن راحِلَتِهِ، فَلَم يَزَل يَعتَريهِ ذلِكَ حَتّى قَضى حَجَّهُ[1].

ويقول مالِكُ بنُ أنَس: حَجَجتُ مَعَهُ (أي الإمام الصّادِق عليه السلام) سَنَةً، فَلَمّا استَوَت بِهِ راحِلَتُهُ عِندَ الإحرامِ كانَ كُلَّما هَمَّ بِالتَّلبِيَةِ انقَطَعَ الصَّوتُ في حَلقِهِ، وكادَ أن يَخِرَّ مِن راحِلَتِهِ، فَقُلتُ: قُل يَا ابنَ رَسولِ اللّهِ، ولابُدَّ لَكَ مِن أن تَقولَ. فَقالَ: يَا ابنَ أبي عامِرٍ، كَيفَ أجسُرُ أن أقولَ: (لَبَّيكَ اللّهُمَّ لَبَّيكَ) وأخشى أن يَقولَ تَعالى لي: لا لَبَّيكَ ولا سَعدَيكَ؟![2].

فالتلبية هي استجابة لنداء التوحيد لله، وتسليم لأمر الله، وتجرد عن كل عوارض الدنيا، وتوجه خالص له عز وجل، وخروج من الأنا إلى الله، وانقطاع له تعالى دون سواه، وتحرر من كل دواعي اللّذات من الطمع والجشع، وتحرر من أغلال الهوى والمادة.

في حكمة الطواف:

سميت الكعبة بيت الله؛ لأنها تمثل الوجود الرمزي للتوحيد ، أو قل: تُذكر بالوجود الإلهي على الأرض، فالحاج حين يصل إلى الكعبة المشرفة، ويرمقها ببصره، تتفاعل فكرته الإيمانية مع وجدانه العاطفي، ويتوجه روحًا وبدنًا، قلبًا وقالبًا إلى وجود الواحد الأحد بعملية فكرية إيجابية تستقطب مشاعره وجوارحه،وجوانحه، بل يفقد وجوده أمام وجود الله، ويذوب في عقيدة التوحيد... ولهذا حثّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام على استحباب النظر إلى الكعبة المشرفة نظرة تأملية عميقة تقود الإنسان إلى سر الوجود وعلة الإيجاد، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (النَظرُ إلى الكَعبةِ حُبًّا لها يَهدِمُ الخطايا هَدْمًا)[3]، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (إذا خَرَجتُم حُجّاجًا إلى بَيتِ اللّهِ فَأَكثِرُوا النَّظرَ إلى بَيتِ اللّهِ، فَإِنَّ للّهِ مِائَةَ وعِشرينَ رَحمَةً عِندَ بَيتِهِ الحَرامِ: سِتّونَ لِلطّائِفينَ،

وأربَعونَ لِلمُصَلّينَ، وعِشرونَ للنّاظِرينَ)[٤].

وعندما يستحضر الهيمنة الإلهية بالنظر إلى الكعبة المشرفة، والتي يمتد وجودها المعنوي إلى البيت المعمور الذي لا يمكن أن تحيط به مداركنا المحدودة به فإنه يزداد خشوعًا، وتذللًا لله، ويُقبل بكل كيانه إلى الله تعالى.. كما أن الأمر بالتوجه إلى الكعبة كقبلة له في الصلاة هي إشارة أخرى إلى ذلك.. وقصد الكعبة من بعيد أو قريب؛ ليطوف حولها في هذا الحال يمتزج الإحساس المادي بالتأمل العقلي والتفاعل الوجداني، ويتأصل في نفسه توحيد الله، وتترقى مشاعره، وتتلطف نفسه، وتترفع عنه الحجب، فلا يعود يرى إلّا عظمة الله تعالى.. ليصبح كل ما يؤديه من مناسك رمزية سواء كان إحرامًا، أو طوافًا، أو تقصيرًا، أو سعيًا، أو رجمًا ذا أثر إيجابي في نفسه.

وفي الطواف بُعد آخر يمثل نهر الحياة الجاري، والمتحرك والنابض بالحياة على طول الزمن من آدم إلى خاتم الرسل إلى يوم القيامة بقاءً واستمرارًا.. فالعبد المؤمن حين يطوف يستشعر أنه يدور مدار الوجود الكوني الذي دار به الأنبياء والرسل، ولاسيما الرسولين المتميزين إبراهيم عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله.. فإذن الشعور بالانتماء إلى خط الأنبياء يعمق في نفس الإنسان استمرارية وبقاء الإسلام، ويؤكد له بقاءه وقوته رغم كيد الكافرين والمنافقين، وهذا معنى دقيق ينبغي للحاج أن يلتفت إليه ويرسخه في نفسه.

وفي الطواف معنى اجتماعي: حيث إن الحاج عندما يطوف ضمن هذه الأمواج البشرية المتواصلة والمترابطة والجارية على طول الزمن يشعر بأنه حلقة من أرتال الأمة الإسلامية المتصاعدة والمتواصلة، ويشعر بالالتحام والتآلف والوحدة الإيمانية مع الجماعات الإسلامية الأخرى في كل أنحاء العالم رغم اختلافهم في الأوطان والألوان واللغات، ويستحكم فيها الرابط الإيماني بالله ورسوله.

ثم هناك نسك مهم له أبعاد معنوية ومادية وهو منسك استلام الحجر الأسود ونحن لا نريد التحدث عن ماهيته وكينونته، وإنما نريد أن نقف على بعض أسرار استلام الحجر وتقبيله.

فقد أكد الفقهاء بأنه يستحب أن يقف الحاج عند الحجر الأسود، ويدعو ويكبر عند محاذاته، ويرفع يديه، ويحمد الله، ويثني عليه، يقول الإمام الصادق عليه السلام: (إِذَا دَنَوْتَ مِنَ الْحَجَرِ الأَسْوَدِ فَارْفَعْ يَدَيْكَ واحْمَدِ اللّه وأَثْنِ عَلَيْه..)[٥].

كما يستحب أن يستلم الحجر ويقبله إجماعًا، فقد روى عامة المسلمين عن عمر بن الخطاب أنه قبل الحجر، ثم قال: (إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله قبّلك ما قبلتك ثم قبله. فقال له علي بن أبي طالب عليه السلام بلى، إنه يضر وينفع،...قال الله عز وجل: **(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى)** خلق الله آدم ومسح على ظهره فقررهم بأنه الرب وأنهم العبيد وأخذ عهودهم ومواثيقهم وكتب ذلك في رقّ وكان لهذا الحجر عينان ولسان، فقال له افتح فاك، قال: ففتح فاه فألقمه ذلك الرقّ وقال اشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة، وإني أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يؤتى يوم القيامة بالحجر الأسود وله لسان ذلق يشهد لمن يستلمه بالتوحيد،

فهو يضر وينفع. فقال عمر أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا حسن)[٦].

في حكمة السعي بين الصفا والمروة:

قال تعالى: (**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**) (البقرة: ١٥٨).

السعي بين الصفا والمروة له دلالات تربوية فهو يشعر الساعي أنه يسعى في حدود الله وأحكامه وأوامر الله ونواهيه، وعيًا والتزامًا، ودعوة لله، وحركة؛ لأجل تطبيق أحكامه،والالتزام بحدوده وفرائضه فلا يتعدً تلك الحدود، لأن من يتعدّى حدود الله، ويخرج عنها فهو من الظالمين، يقول تعالى: (**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**) (الطلاق: ١).

وفي السعي دلالات أخرى هي الأسوة الحسنة والاقتداء الجميل لما فعلته أم إسماعيل عليها السلام حين وضعها النبي إبراهيم عليه السلام وابنها بوادٍ غير ذي زرع عند البيت المحرم، وحين نفد ماؤها وعطش طفلها، هرعت تسعى بين الجبلين علها تجد قطرة ماء لولدها، فعن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن إبراهيم عليه السلام لما خلّف إسماعيل بمكة عطش الصبي، وكان فيما بين الصفا والمروة شجر فخرجت أمه حتى قامت على الصفا، فقالت: هل بالوادي من أنيس ؟ فلم يجبها أحد فمضت حتى انتهت إلى المروة، فقالت: هل بالوادي من أنيس ؟ فلم يجبها أحد، ثم رجعت إلى الصفا فقالت كذلك حتى صنعت ذلك سبعًا فأجرى الله ذلك سنة)[٧].

في الموقفين

لحجاج بيت الله موقفان: موقف في عرفات حيث تخرج جموع الحجاج محرمين من بيت الله تعالى متجهين إلى أرض عرفات، وفي هذه المدة الزمنية القصيرة بين صلاة الظهر إلى المغرب تتجلى معاني روحية وفكرية واجتماعية وسياسية عظيمة لمن يعي أسرارها.

ففي الوقت الذي ترى جموع الحجاج كأمواج البحار متواصلة الحركة.. يستذكر الإنسان في هذا الموقف يوم الحشر والنشر يوم القيامة حيث يتساوى الناس في الشكل بلا ميزة بين أسود وأبيض.. ونشعر بروح الأخوة الإيمانية تحت شعار لا إله إلا الله، وهذا هو الجانب التربوي الروحي الذي يربط الإنسان من جانب بالله تعالى، ويثير في نفسه رهبة يوم القيامة (**إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا**) (الإنسان:١٠)، ومن جانب آخر يربطه بإخوانه في الله فيتسنى له الاطلاع على أحوالهم.. ففي هذا الموقف يستطيع الحاج أن يحتك بأكبر عدد ممكن من المسلمين، ويتحاور معهم ويتبادل الآراء، ويتفاعل معه روحيًا وفكريًا.

والمنظر الأعظم حين يفيض الحجاج من عرفات أمواج بشرية متجانسة متواصلة الحركة في اتجاه واحد نحو مقصد واحد يثير في النفس هيبةً وإحساسًا بعظمة الإسلام وقوته.

المشعر الحرام:

ولهذا المشعر حرمة خاصة، فهو ثالث الحرمات بعد حرمة الحرم المكي، وحرمة الإحرام، وفي هذه البقعة المباركة يحل الحجاج في الليل، ليقيموا بين الطلوعين، وفي أثناء ذلك يجمعون الجمرات؛ يتسلحون بها لرجم الشيطان، وهي إشارة لطيفة بوجوب استعداد الإنسان وتسلحه

لمقاومة القوى الضاغطة.

فالحاج إذن يتزود في عرفات بالمعرفة بالله تعالى، ويتعارف مع إخوانه، ويتفاعل روحيًا واجتماعيًا، وتسمو روحه، وتذوب أنانيته، ويرى نفسه واحدًا من هذه الحشود، ويستذكر يوم القيامة.

وفي المشعر الحرام حينما يقف فيه ينطلق شعوره، وتتطهر نفسه، ويتصاعد إيمانه، ويتسلح بسلاحين: المادي والمعنوي.

وخلاصة الكلام: حين يمشي الحاج بمزدلفة ويلقط منها الحجر وينوي بذلك رفع كل معصية، وجهل وتثبيت كل علم وعمل.

في منى:

ومِنى أو مُنى هي الأرض المقدسة التي تؤدى فيها شعائر أخرى ،وهي: الذبح والحلق والرجم.

وسميت منى: لأن الله تعالى يعطي للإنسان ما يتمناه ويطلبه منه.

فعن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن جبريل أتى إبراهيم عليه السلام فقال: تمنَّ يا إبراهيم، وكانت تسمى منى، فسماها الناس منى[٨].

وفي رواية أخرى عن الإمام الرضا عليه السلام: (إن جبريل عليه السلام قال هناك: يا إبراهيم تمنَّ على ربك ما شئت، فتمنى إبراهيم في نفسه أن يجعل الله مكان ابنه إسماعيل كبشاً بأمره يذبحه فداء له، فأعطي مناه)[٩].

وفي التضحية

١- هو نوع من التضحية المالية في سبيل الله.

٢- هو نوع من التضحية بالدم الذي يرمز عن التضحية في سبيل الله.

٣- ثم إن الذبح يرمز إلى التحكم بالشهوات ،والمطامع، ويقطع مصدر الأهواء والرغبات غير الشرعية.

الحلق والتقصير:

وهو الواجب الآخر بعد الهدي، وبه يتحلل الحاج من الإحرام، وفيه من الأسرار التربوية ما لا تسعه هذه الأوراق ونكتفي بهذه الرواية عن الامام الصادق عليه السلام.

فحين سئل عليه السلام: ... فكيف صار الحلق عليه ـ على الحاج ـ واجبًا دون من قد حج ؟ فقال: ليصير بذلك مُوَسْمًا بسمة الآمنين، ألا تسمع الله تعالى يقول: (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّه آَمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ)(الفتح:٢٧)[١٠].

وبعد الحلق ينتاب الحاج شعور بالأمن النفسي والغبطة والارتياح، بأدائه ركنًا من أركان الإسلام، وإيذانًا بقرب انتهاء المناسك التي فرضها الله عليه■

---

١) غوالي اللآلي: ٣٥/٤ .
٢) أمالي الصدوق: ٢٣٤ .
٣) وسائل الشيعة/الحر العاملي/ج١٣ص٢٦٤.
٤) ن.م.
٥) الكافي/الكليني/ج٤ص٤٠٣.
٦) المستدرك/الحاكم النيسابوري/ج١ص٤٥٧.
٧) علل الشرائع/ الشيخ الصدوق: ج٢ص٤٣٢ .
٨) علل الشرائع /ج٢ص٤٣٥.
٩) م.ن.
١٠) م.ن/ج٢ص٤٥٠.

آمن الرسول

دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام دراسة دلالية

أ.م.د: خليل خلف بشير
كلية الآداب – جامعة البصرة

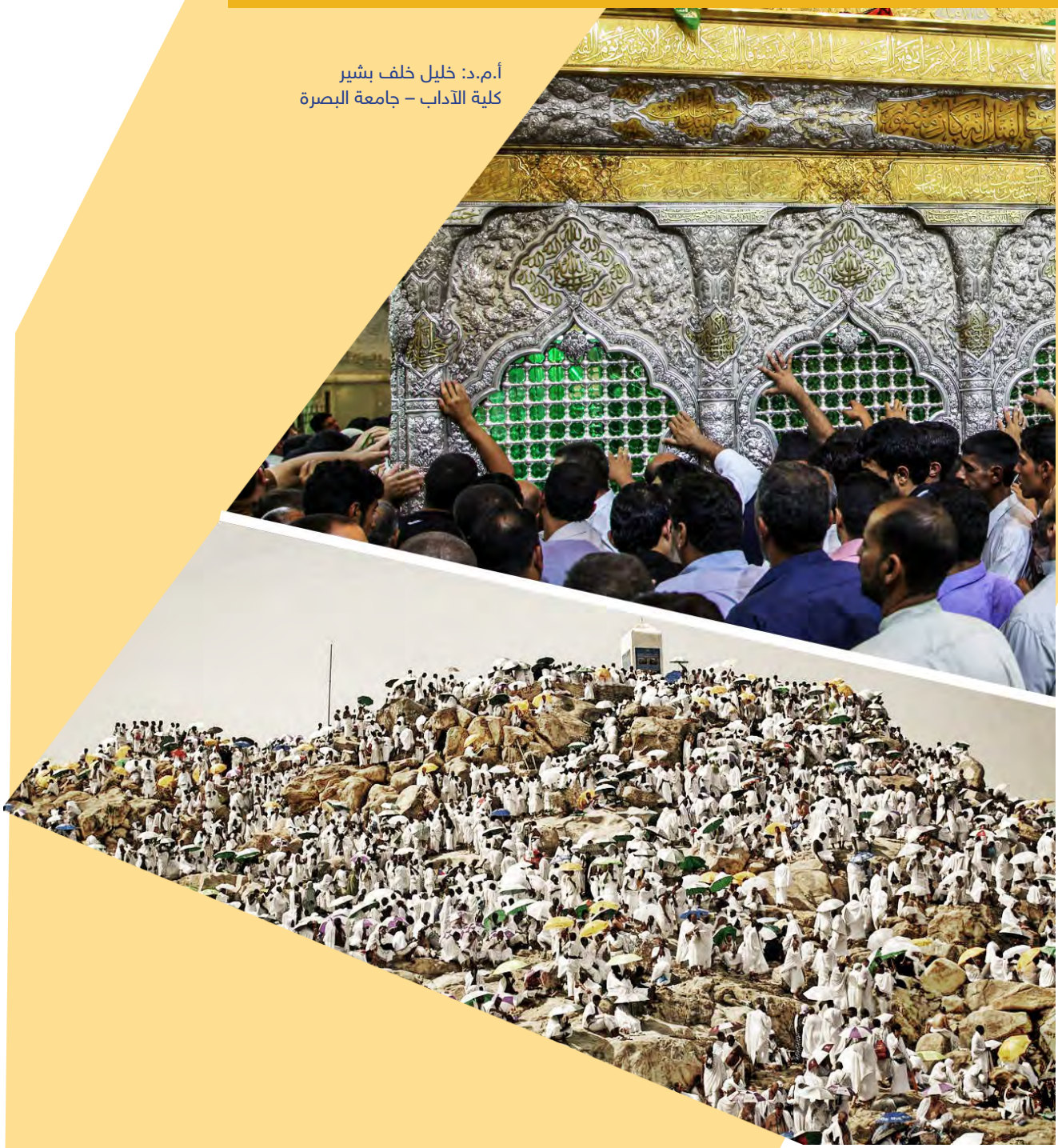

الحاجة إلى الدعاء لا تنحصر بجلب نفع أو بدفع ضرر أو بسد نقص، وإنما يتعداه إلى أمر في غاية الأهمية وهو أداء شكر المنعم ؛لأنه تعالى يستحق منّا الحمد والشكر على عطاياه غير المنتهية دائمًا وأبدًا.

وللإمام الحسين عليه السلام مجموعة من الأدعية، والمتأمل لهذه الأدعية يجدها دروسًا عالية من الإلهيات، وطريقًا رحبًا في الانقطاع إلى المولى جلّ شأنه، وعدم الاكتراث بسواه، ويستلهم المسلم منها التوجه إلى الله تعالى في السراء والضراء، واليسر والعسر، وعند العافية والبلاء[١].

دعاء عرفة وعناصره الدلالية:

دعاء مبسوط مشهور، كان يدعو به سيد الشهداء عليه السلام في موقف عرفات على ملأ من الناس وقد حفظوه عنه، وفيه بيان الحمد والثناء والشكر للحضرة الربوبية وتقرير المعارف الدينية الإلهية وذكر بديع صنع الله تعالى في مخلوقاته، وقد شرحه كثير من العلماء. اعتاد الإمام الحسين عليه السلام على قراءة دعاء عرفة يوم التاسع من ذي الحجة في موقف عرفة. وقلّما يوجد دعاء يحمل هذه اللوعة والحرقة والانسياق المنتظم في التوسّل إلى الله والابتهال إليه بالفناء فيه، ويعدّ من غرر أدعية الإمام الحسين عليه السلام المطولة، وفيه تُستدرُّ الرحمة الإلهية بما تمليه على الإنسان من أسباب الإنابة والتوبة وشموخ المعرفة، وتضمن الدعاء دلالات متنوعة لافتة للنظر، واحتشدت فيه عناصر إيقاعية وصورية ولفظية مدهشة، هي :

١.العنصر الإيقاعي: يعد الدعاء أكثر الأشكال التشريعية احتشاداً بأدوات الفن ولاسيما عنصر الإيقاع ،لما كان الدعاء شكلاً أُعدّ للتلاوة ،والتلاوة بطبيعتها تتطلب عنصراً إيقاعياً كالتجنيس والتقفية (السجع) لذلك تكون الأدعية مشحونة بالإيقاع بنحو لافت للنظر[٢] كما في قوله: (الحَمْدُ للّهِ الَّذي لَيْسَ لِقَضائِهِ دافِعٌ وَلا لِعَطائِهِ مانِعٌ وَلا كَصُنْعِهِ صُنْعُ صانِعٍ وَهُوَ الجَوادُ الواسِعُ، فَطَرَ أَجْناسَ البَدائِعِ وَأَتْقَنَ بِحِكْمَتِهِ الصَّنائِعَ وَلا تَخْفى عَلَيْهِ الطَّلائِعُ وَلا تَضيعُ عِنْدَهُ الوَدائِعُ جازي كُلِّ صانِعٍ وَرائِشُ كُلِّ قانِعٍ وَراحِمُ كُلِّ ضارِعٍ ...؛ فَلا إِلهَ غَيْرُهُ وَلا شَيْءَ يَعْدِلُهُ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ)[٣].

٢.العنصر اللفظي: وتشترك فيه جملة سمات تطبع الدعاء ،ومنها: التكرار والتتابع والتقسيم بين العبارات مثال ذلك قول الإمام الحسين عليه السلام في الدعاء: (أَنْتَ الَّذي أَنْعَمْتَ أَنْتَ الَّذي أَحْسَنْتَ أَنْتَ الَّذي أَجْمَلْتَ أَنْتَ الَّذي أَفْضَلْتَ أَنْتَ الَّذي.... أَنْتَ الَّذي..... أَنْتَ الَّذي... أَنْتَ الَّذي... تَبارَكْتَ وَتَعالَيْتَ فَلَكَ الحَمْدُ دائِماً وَلَكَ الشُّكْرُ واصِباً أَبَداً)[٤] فقد تمثل التكرار بعبارة (أَنْتَ الَّذي)، والتتابع بـ (أَنْعَمْتَ، أَحْسَنْتَ، أَجْمَلْتَ، أَفْضَلْتَ، تَبارَكْتَ وَتَعالَيْتَ)، والتقسيم بترادف العبارات المسجوعة المتوازنة بالتقابل بين الله تعالى (أنت) وبين العبد (أنا) من حيث معطيات الله وتقصير العبد، فدلالة الضمير (أنا) المتكرر ثلاث عشرة مرة أفادت إنجاز الاعتراف لتحقيق التوبة، فضلًا عن الجمالية المتحصلة من التقابل بين الله تعالى والعبد.

وكذا في قوله عليه السلام: (رَبِّ بِما بَرَأْتَني فَعَدَّلْتَ فِطْرَتي، رَبِّ بِما أَنْشَأْتَني فَأَحْسَنْتَ صُورَتي، رَبِّ بِما أَحْسَنْتَ إِلَيَّ وَفي نَفْسي

عافَيْتَني، رَبِّ بما كَلأْتَني وَوَفَّقْتَني، رَبِّ بما أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَهَدَيْتَني، رَبِّ بما أَوْلَيْتَني، وَمِنْ كُلِّ خَيْرٍ أَعْطَيْتَني، رَبِّ بما أَعْطَيْتَني وَسَقَيْتَني، رَبِّ بما أَغْنَيْتَني وَاقْنَيْتَني، رَبِّ بما اعَنْتَني وَأَعْزَزْتَني، ...)[٥].

٣.العنصر المعنوي: للدعاء عمومًا قيم سامية ومرموقة تفسّر الحضور الغيبي والكثيف الدلالات والمعاني فهو لا يجسّد تجارب روحية خالصة فحسب بل يجسد حاجات الإنسان المتنوعة ومشاكله وآلامه وخوفه من عالم الآخرة، ففي قوله (**لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظّالِمِينَ لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنْ المُسْتَغْفِرِينَ لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ المُوَحِّدِينَ .... لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الوَجِلِينَ .... لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ سُبْحانَكَ رَبِّي وَرَبُّ آبائِيَ الأَوَّلِينَ** . ..)[٦] في هذا المقطع نجد الإمام يكرّر التسبيح وينوّع في التعبير فلم يقتصر على التعبير القرآني (الظالمين)، وإنما نوّع في ذلك فذكر(المستغفرين، والموحدين، والخائفين ،والوجلين ،....)، وفي هذا دلالة على أن الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة، قد قطع مراحل شهور المعرفة التي هي المعنى الباطن لهذه الآية ؛ باعتباره من أهل البيت عليهم السلام الذين هم تراجمة وحي الله؛... ولا يخفى الأثر القرآني في المقطع الأخير فقد استمده الإمام من قوله تعالى: (**وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**) (الأنبياء:٨٧)، ويبدو أن البنية القرآنية للشطر الأخير من الآية اتخذت عاملًا لتوليد عدد من أسماء الفاعلين تمتد بها نحو معان أخرى تابعة للمعنى القرآني في الإقرار بالظلم بين يدي الباري عزّ وجل بعد نفي الإلوهية عن غيره وإثباتها له تعالى.

الغريب في دعاء عرفة

بالرغم من أن الموقف الذي وقفه الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة لا يحتمل انتقاء الألفاظ الدقيقة فقد كان الإمام دقيقًا في انتقائه لألفاظه ووظفها توظيفًا دقيقًا أيضًا مع غرابة بعض الألفاظ، وهي موهبة منحها الله للإمام وأبيه وجده وأبنائه ؛لأن صياغة النصوص الفصيحة لا يستطيعها كل إنسان إلّا من أوتي الفصاحة والبلاغة كما في قوله (...وَأنا أَشْهَدُ يا إِلهي بِحَقِيقَةِ إِيْماني ... وَخُرْقِ مَسارِبِ نَفْسي وَخَذارِيفِ مارِنِ عِرْنيني .... تامُورُ صَدْري وَحَمائِلُ حَبْلِ وَتِيني وَنِياطِ حِجابِ قَلْبي...)[٧].

فمن الألفاظ الغريبة في هذا المقطع من دعاء عرفة:

١.**مسارب:** وهي جمع مسرب، يقال :هذه مسارب الحيات: لمواضع آثارها إذا انسابت في الأرض على بطونها(٨) .

٢.**خذاريف:** واحدها خذروف، وهي كل شيء منتشر من شيء، ويقال: تركت السيوف رأسه خذاريف أي قطعاً(٩)،وهو المعنى الأنسب للسياق.

٣. **والمارن من الأنف:** ما لان منه[١٠].

٤. **تامور:** وتعني (الصومعة، والوعاء، وعرين الأسد، ووزير الملك، والنفس، والقلب)[١١]، ولعل الأنسب للسياق (الوعاء).

ومن دقيق اختياره للألفاظ قوله: (ماذا وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ وَما الَّذي فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ ؟!). وهي مقابلة بديعة ورائعة فالذي يجد الله - سبحانه - يجد كل شيء، والإنسان الذي لا يريد بلوغ الحقيقة العظمى، ولا يريد لقلبه برد اليقين والطمأنينة، ويصر على ضلاله

وغيه، فإنما هو نموذج للإنسان المغرور الذي خاطبه الله تعالى قائلا: (**يَآ أَيُّهَا الإنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ**) (الانفطار:٦-٧).

وفي قوله عليه السلام: (إلهي أنا الفَقيرُ في غِنايَ فَكَيْفَ لا أَكُونُ فَقيرًا في فَقْري، إلهي أَنا الجاهِلُ في عِلْمي فَكَيْفَ لا أَكُونُ جَهُولًا في جَهْلي؟)[١٢].

المجالات (الحقول) الدلالية:

يعرف الحقل الدلالي بأنه مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع بمادة تحت لفظ عام يجمعها في دلالة مشتركة وفق علاقات لسانية محددة[١٣] والحقول الدلالية من أفكار علم الدلالة الحديث فهي النظريات الرئيسة والمهمة في هذا علم.

والحقول الدلالية ليست بمعزل عن بعضها ولكنها تترابط مع بعضها وتنضم لتشكل حقولًا جديدة أكبر على شكل نظام أعلى حتى تحصر جميع ألفاظ اللغة تحت تلك الحقول، وتبعًا لهذا فإنه يمكن أن يخصص حقل للمِهَن والوظائف، وحقل للإبداعات، وحقل للرياضة وحقل للتعلم... الخ ثم يجمعها حقل لغوي أكبر يشملها كلها هو حقل النشاطات أو الفعاليات الإنسانية[١٤].

وفي دعاء عرفة تتجانس الألفاظ ويصطف بعضها مع بعض، وكأن ناظمها قد صنّف الألفاظ في مجالات دلالية حتى أنك تستطيع أن تصنع في كل مجال مجموعة الألفاظ المتقاربة في دلالتها ،وتجد الروابط بينها واضحة جلية ،وهناك أكثر من مقطع يتضح فيه ذلك فمثلاً في قوله عليه السلام: (... يا مَنْ دَعَوْتُهُ مَريضًا فَشَفانِي، وَعُرْيانًا فَكَسانِي، وَجائِعًا فَأَشْبَعَنِي، وَعَطْشانًا فَأَرْوانِي، وَذَليلًا فَأَعَزَّنِي، وَجاهِلًا فَعَرَّفَنِي، وَوَحِيدًا فَكَثَّرَنِي، وَغايبًا فَرَدَّني، وَمُقِلًا فَأَغْناني، وَمُنْتَصِرًا فَنَصَرَني...)[١٥]، ولو أردنا وضع الألفاظ في مجالات أو حقول لقلنا:

- مريضًا، عريانًا، جائعًا، عطشانًا، ذليلًا، جاهلًا، وحيدًا، غائبًا، مُقلًا، مُنْتصَرًا.

ولعلنا نجد العلاقة الوثيقة التي بين العبارات من خلال حرف الربط الفاء، وعلاقة التضاد الكائنة بين الاسم المنصوب والفعل:

- مريضًا فشفاني. عريانًا فكساني. جائعًا فأشبعني....الخ

فثمّة تضاد بين المرض والشفاء، والعري والكسوة، والجوع والشبع، والعطش والرواء، والذل والعزة، والجهل والمعرفة، والوحدة والكثرة، والغياب والردّ، والقلّة والغنى، وعدم الانتصار والنصرة. وهذه العلاقة تضمها علاقة أكبر بين الخالق والمخلوق فالخالق وحده الذي يشفي المريض، ويكسو العاري، ويشبع الجائع، ويروي العطشان، ويعز الذليل، ويعرّف الجاهل، ويكثّر الوحيد، ويرد الغائب، ويغني المُقلّ، وينصر المظلوم (المُنْتَصَر).

وإذا دققنا النظر في الأسماء المنصوبة لوجدناها متقاربة في المعنى من حيث كونها مفتقرة إلى شيء فالمريض مفتقر إلى الشفاء، والعاري مفتقر إلى الكسوة، والجائع مفتقر إلى الشبع، والذليل مفتقر إلى العزّة، والجاهل مفتقر إلى المعرفة، والوحيد مفتقر إلى الكثرة، والغائب مفتقر إلى العودة، والمُقلّ مفتقر إلى الغنى، والمظلوم مفتقر إلى النصرة، وبالعكس من ذلك الأفعال فهي غير مفتقرة إلى شيء

فهي أيضًا متقاربة في المعنى.

ومثله قوله عليه السلام: (اللَّهُمَّ ما أَخافُ فَاكْفِنِي، وَما أَحْذَرُ فَقِنِي، وَفِي نَفْسِي وَدِينِي فَاحْرُسْنِي، وَفِي سَفَرِي فَاحْفَظْنِي، وَفِي أَهْلِي وَمالِي فَاخْلُفْنِي)[١٦] ففي هذا المقطع يهيمن نمطان من أساليب الدعاء: الأول فعل الأمر الخارج مجازًا إلى الدعاء، والثاني: الفعل المضارع المسبوق بلا الناهية الخارج مجازًا إلى الدعاء، إذ يمكن أن نقسم النمط الأول على مجالين :

- ما أخاف، ما أحذر، في نفسي وديني، في سفري، في أهلي ومالي وولدي، فيما رزقتني، في نفسي، في أعين الناس، من شر الجن والإنس .
- اكفني، قني، احرسني، احفظني، اخلفني.

وكذا النمط الثاني يكون في مجالين :

- بذنوبي، بسريرتي، بعملي، نعمك، إلى غيرك .
- لا تفضحني، لا تخزني، لا تبتلني، لا تسلبني، لا تكلني .

والملاحظ أن المجالين في النمطين متقاربان في معاني الألفاظ فكل منهما مرتبط بالآخر بعلاقات دلالية ونحوية فضلًا عن دور السياق في تكوين الدلالة.

التقابل الدلالي

يعدّ التقابل أو التضاد أو التشاكل أو التزاوج أو الثنائيات أو التباين من أهم الحقول الدلالية في علم الدلالة، لإن مباحث علم الدلالة تنصب على قضية المعنى، فالدلالة في أشهر تعريف علم دراسة المعنى.

والتقابل اسمٌ أُخذ من مادة ثلاثية هي (قبل) وإن تنوعت معانيه التي اشتقت من هذا الجذر، يقول الخليل: (القبلِ: من إقبالك على الشيء، تقول: قد أقبلتُ قبلك، كأنك لا تريد غيره،.... وفي معنى آخر هو التلقاء. تقول: لقيتُهُ قِبَلًا أي مواجهةً...)[١٧] ويتسع المعنى عند اللغويين ليأخذ معنى المواجهة بشكل مطلق يقول ابن منظور: (المقابلة : المواجهة، والتقابل مثله. وهو قبالك وقبالتك أي اتجاهك)[١٨]، ويرد التقابل بمعنى آخر يشير إليه ابن منظور: (قابل الشيء بالشيء مقابلة وقبالًا: عارضه)[١٩].

وهذا ما أشار إليه صاحب القاموس: (وقَبَل على الشيء وأقبلَ: لَزِمَهُ وأخَذَ فيه. أقْبَلْتُه الشيء: جَعَلْتُه يلي قُبالَتَه. وقابَلَهُ: واجَهَه، وقابل الكتابَ: عارَضه)[٢٠].

والتقابل بهذه المعاني يوضح اختلاف العلماء من أهل اللغة والبلاغة، والمنطق في تحديد مفهومه تحت عدد من المسميات: (كالمطابقة والتضاد، والمخالفة، والتكافؤ، والتناقض، والمماثلة) .

ولم يقف الباحثون في التقابل اللغوي عند دراسة تعريفه فحسب بل ذكروا له أنواعًا متعددة منها: التقابل الدلالي بين الأفعال، التقابل الدلالي بين الأسماء، والتقابل الدلالي بين الجمل، والتقابل الاصطلاحي، وتقابل الصورة، وتقابل الحذف، وغيرها[٢١].

ويمكن تلمس أمثلة بعض هذه الأنواع في دعاء عرفة بالآتي :

١.التقابل الدلالي بين الأفعال: في الفقرة السابقة من قوله في الدعاء: (اللَّهُمَّ ما أَخافُ فَاكْفِنِي وَما أَحْذَرُ فَقِنِي)[٢٢].

وكذا قوله عليه السلام الآنف الذكر: (رَبِّ بِما بَرَأْتَنِي فَعَدَّلْتَ فِطْرَتِي. رَبِّ بِما أَنْشَأْتَنِي فَأَحْسَنْتَ صُورَتِي ....)

٢.التقابل بين الأسماء: كما في قوله عليه السلام:

(إلهي أَنا الفَقيرُ فِي غِنايَ فَكَيْفَ لا أَكُونُ فَقِيرًا فِي فَقْرِي، ....)[٢٣].

٣.التقابل بين الأسماء والأفعال: وذلك في قوله عليه السلام: (... يا مَنْ دَعَوْتُهُ مَرِيضًا فَشَفانِي، وَعُرْيانًا فَكَسانِي، ...)[٢٤].

الخاتمة

اشتملت أدعية الإمام الحسين عليه السلام على معارف عديدة وقضايا متعددة في التوحيد والعرفان والتوكل، والأخلاق والسلوك، ومن هذه الأدعية دعاء من الأدعية المطولة والطيبة وفيه تُستدرُّ الرحمة الإلهية بما تمليه على الإنسان من أسباب الإنابة والتوبة وشموخ المعرفة، وتضمن الدعاء دلالات متنوعة لافتة للنظر ذات أبعاد توحيدية وأخلاقية ووعظية إرشادية واجتماعية، واحتشدت فيه عناصر إيقاعية وصورية ولفظية مدهشة تجسدت في الإيقاع واللفظ والمعنى فكان الإيقاع متوازنًا غير متكلف واللفظ مكررًا متتابعًا متقابلًا دلاليًا ،والمعنى متحصلًا عمومًا بقيم سامية ومرموقة تفسّر الحضور الغيبي والكثيف الدلالات والمعاني فهو لا يجسّد تجارب روحية خالصة فحسب بل يجسد حاجات الإنسان المتنوعة ومشاكله وآلامه وخوفه من عالم الآخرة■

---

١) ينظر: أدعية الإمام الحسين عليه السلام – الصحيفة الحسينية/ علي محمد علي دخيل ٢٧-٢٨.
٢) ينظر: الإسلام والفن/ د.محمود البستاني ١٧٥،والبلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي/ د.محمود البستاني ١٥١.
٣) إقبال الأعمال/ السيد ابن طاووس ٧٤/٣.
٤) إقبال الأعمال ٨٢/٢.
٥) بحار الأنوار/ المجلسي ٢١٩/٩٥.
٦) البلد الأمين والدرع الحصين/ الشيخ إبراهيم الكفعمي٢٥٦.
٧) البلد الأمين والدرع الحصين ٢٥٢.
٨) المعجم الوسيط/ مجموعة من المؤلفين ،مادة (سرب)، ٤٢٥.
٩) المعجم الوسيط ،مادة (خذرف)،٢٢٢.
١٠) المصدر نفسه،مادة (مرن)،٨٦٥.
١١) المصدر نفسه،مادة أمر ،٢٠.
١٢) بحار الأنوار ٢٢٥/٩٥.
١٣) ينظر: علم الدلالة/ أحمد مختار عمر ٧٩، والحقول الدلالية في شعر السيد هلال بن بدر البوسعيدي/ تقية بنت محمد بن راشد العبري ٢٩-٣٠.
١٤) ينظر: نظرية الحقول الدلالية في كتاب المخصص لابن سيده، رسالة ماجستير، للباحث رازق جعفر عبد الحسين الزيرجاوي، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية،٢٠٠٢م، ص١٠٧.
١٥) البلد الأمين والدرع الحصين ٢٥٥.
١٦) إقبال الأعمال ٧٩/٢.
١٧) العين مادة (قبل) ١٦٦/٥.
١٨) لسان العرب ابن منظور، مادة (قبل): ٥٤٠/١١
١٩) المصدر نفسه، المكان نفسه.
٢٠) القاموس المحيط/ الفيروز آبادي، ٣٣/٤
٢١) ينظر: مصطلحات الدلالة العربية ٢٣٣-٢٣٤.
٢٢) إقبال الأعمال ٧٩/٢.
٢٣) بحار الأنوار ٢٢٥/٩٥.
٢٤) البلد الأمين والدرع الحصين ٢٥٥.

رسائل وخطب

لما قتل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام رقى الإمام الحسن بن علي عليه السلام على المنبر فأراد الكلام فخنقته العبرة فقعد ساعة ، ثم قام فقال :

الحمد لله الذي كان في أوليته ، وحدانيًا في أزليته ، متعظمًا بالهيبة ، متكبرًا بكبريائه وجبروته ، ابتدأ ما ابتدع ، وأنشأ ما خلق على غير مثال كان سبق مما خلق ، ربنا اللطيف بلطف ربوبيته، وبعلم خبره فتق ، وبأحكام قدرته خلق جميع ما خلق، فلا مبدل لخلقه ولا مغير لصنعه ، ولا معقب لحكمه، ولا راد لأمره ، ولا مستراح عن دعوته، خلق، ولا زوال لملكه ، ولا انقطاع لمدته فوق كل شيء علا، ومن كل شيء دنى، فتجلى لخلقه من غير أن يكون يرى، وهو بالمنظر الأعلى احتجب بنوره، وسمى في علوه، فاستتر عن خلقه، وبعث إليهم شهيدا عليهم وبعث فيهم النبيين مبشرين ومنذرين ، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة ، وليعقل العباد عن ربهم ما جهلوه ، فيعرفوه بربوبيته بعد ما أنكروه والحمد لله الذي أحسن الخلافة علينا أهل البيت ، وعنده نحتسب عزانا في خير الآباء رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعند الله نحسب عزانا في أمير المؤمنين عليه السلام ، ولقد أصبنا به الشرق والغرب، والله ما خلف درهمًا ولا دينارًا إلا أربعمائة درهم أراد أن يبتاع لأهله خادمًا، ولقد حدثني جدي رسول الله صلى الله عليه وآله أن الأمر يملكه اثني عشر إمامًا من أهل بيته وصفوته : ما منا إلّا مقتول أو مسموم .

(الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن عليه السلام/ ص١٤)

ملف العدد

يوم الغدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا

سورة المائدة: ٣.

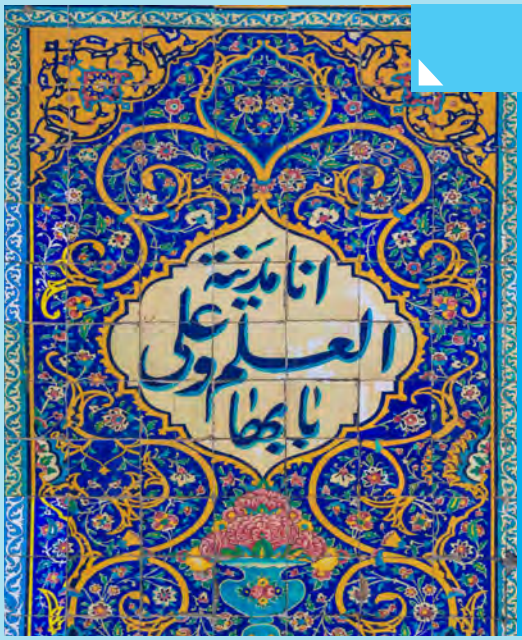

ملف العدد

بيعة الغدير

محمد علي جعفر
كاتب وباحث إسلامي

ينابيع (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (سورة المائدة آية:٦٧).

لعلنا لسنا مبالغين إن قلنا لم يحظَ حديث شريف بالاهتمام والنقل والدراسة والتأليف كحديث الغدير، فقد نال من الاهتمام لدى الصحابة والتابعين وعلماء الحديث والمؤلفين ما لم ينله حديث آخر، وقد أحصى العلامة الأميني مائة وعشرة من أعاظم الصحابة الذين رووا حديث الغدير، ومما لاشك فيه أن العدد الحقيقي هو أضعاف أضعاف ذلك بكثير (لأن السامعين الوعاة له كانوا مائة ألف أو يزيدون، وبقضاء الطبيعة إنهم حدثوا به عند مرتجعهم إلى أوطانهم شأن كل مسافر ينبئ عن الأحداث الغريبة التي شاهدها في سفره، نعم: فعلوا ذلك إلا أشذاذ منهم صدتهم الضغائن عن نقله، والمحدثون منهم وهم الأكثرون ...، ومنهم من طوت حديثه أجواز الفلا بموت السامعين في البراري والفلوات قبل أن ينهوه إلى غيرهم، ومنهم من أرهبته الظروف والأحوال عن الإشادة بذلك الذكر الكريم، وجملة من الحضور كانوا من أعراب البوادي لم يتلق منهم حديث ولا انتهى إليهم الإسناد)[1]، هؤلاء من الصحابة. ومن التابعين الذين رووا الحديث، فقد أحصى الشيخ الاميني ٨٤ تابعيًا.

ولأهميته القصوى في اكتمال الرسالة الخاتمة، ورسم خارطة طريق لمستقبلها، وجعله المعيار لمعرفة إيمان المسلم والتزامه بنهج الإسلام القويم، فقد أولاه الصحابة والتابعين هذه العناية، ومن ثم توالى العلماء في القرون المتتابعة بعد

عصر الرسالة ـ القرن الأول ـ يروونه ويعتنون به ويشرحونه ويعلقون عليه ليحملوه إلى الأجيال اللاحقة .

فقد ذكر العلامة الاميني (٣٦٠) عالمًا من علماء الحديث من القرن الثاني الهجري وحتى القرن الرابع عشر ممن روى الحديث واهتم به.

(أما المؤلفون في حديث الغدير فقد بلغ اهتمام العلماء بهذا الحديث إلى غاية غير قريبة، فلم يقنعهم إخراجه بأسانيد مبثوثة خلال الكتب حتى أفرده جماعة بالتأليف، فدونوا ما انتهى إليهم من أسانيده، وضبطوا ما صح لديهم من طريقه، كل ذلك حرصًا على كلاءة متنه من الدثور، وعن تطرق يد التحريف إليه)[٢].. فقد أُلف قرابة الثلاثين مؤلَفًا في حديث الغدير.

قصة واقعة الغدير

نقل الرواة حديث الغدير بأساليب مختلفة، ولكنها جميعًا تتفق في مؤداه، وننقل هنا ما رواه العلامة الأميني بشيء من الاختصار: (فلما قضى ـ رسول الله ﷺ ـ مناسكه وانصرف راجعًا إلى المدينة ومعه من كان من ـ المسلمين من كل الأمصار، وصل إلى غدير خم من الجحفة التي تتشعب فيها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين، وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة، نزل إليه جبرئيل الأمين عن الله بقوله: (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**...). وأمره أن يقيم عليًا علمًا للناس ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كل أحد، وكان أوائل القوم قريبًا من الجحفة فأمر رسول الله ﷺ أن يردّ من تقدم منهم ويحبس من تأخّر عنهم في ذلك المكان

...حتى إذا أخذ القوم منازلهم... ونودي بصلاة الظهر فصلى ﷺ بالناس، وكان يومًا هاجرًا يضع الرجل بعض رداءه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدة الرمضاء، وظُلِّلَ لرسول الله ﷺ بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فلما انصرف ﷺ من صلاته قام خطيبًا وسط القوم على أقتاب الإبل وأسمع الجميع، رافعًا عقيرته فقال:

(الْحَمْدُ للّٰه نَسْتَعِينُهُ وَنُؤمِنُ بِهُ، ونَتَوَكَلُ عَلَيه، وَنَعُوذُ بِاللّٰه مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، الذي لا هَادِيَ لِمَنْ ضَلَ، ولا مُضِلَ لِمَنْ هَدى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰه، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أما بعد:

أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف عمر الذي قبله، وإني أوشك أن أدعى فأجبت، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟

قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك اللّٰه خيرًا، قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلا اللّٰه، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن جنته حق وناره حق وأن الموت حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن اللّٰه يبعث من في القبور ؟ قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: اللهم اشهد، ثم قال: أيها الناس ألا تسمعون ؟ قالوا: نعم . قال: فإني فرط على الحوض، وأنتم واردون علي الحوض، وإن عرضه ما بين صنعاء وبصرى فيه أقداح عدد النجوم من فضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين؟

فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول اللّٰه؟ قال: الثقل الأكبر كتاب اللّٰه طرف بيد اللّٰه عز وجل وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا، والآخر الأصغر عترتي، وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يتفرقا حتى يراد علي الحوض فسألت ذلك لهما ربي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى رؤي بياض آباطهما وعرفهُ القوم أجمعون، فقال: أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: اللّٰه ورسوله أعلم، قال: إن اللّٰه مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلي مولاه، يقولها ثلاث مرات، وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة: أربع مرات، ثم قال: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغايب. ثم لم يتفرقوا حتى نزل أمين وحي اللّٰه بقوله: (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**)(المائدة: ٣)، فقال رسول اللّٰه ﷺ: اللّٰه أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الرب برسالتي، والولاية لعلي من بعدي، ثم طفق القوم يهنئون أمير المؤمنين صلوات اللّٰه عليه، وممن هنأه في مقدم الصحابة: الشيخان أبو بكر وعمر كل يقول: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وقال ابن عباس: وجبت واللّٰه في أعناق القوم، فقال حسان: إئذن لي يا رسول اللّٰه أن أقول في علي أبياتا تسمعهن، فقال: قل على بركة اللّٰه، فقام حسان فقال: يا معشر مشيخة قريش أتبعها قولي بشهادة من رسول اللّٰه في الولاية ماضية ثم قال :

يناديهم يوم الغدير نبيهم
بخم فاسمع بالرسول مناديا

هذا مجمل القول في واقعة الغدير[٣].

المناشدة والاحتجاج

ومما يدل على تواتر الحديث والتسليم بواقعته فمنذ الصدر الأول وما تلته من عصور، كان حجة دامغة لمن يحتج به في كل مناظرة بين الفرقاء، ولذلك كثر الحجاج به، وتوفرت مناشدته بين الصحابة والتابعين، وكان أول من احتج به أمير المؤمنين عليه السلام بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاته، ذكره سليم بن قيس الهلالي في كتابه المطبوع، من أراده فليراجعه. ثم توالت مناشدات أمير المؤمنين عليه السلام في أزمنة وأمكنة مختلفة :

١ ـ مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام يوم الشورى سنة ٢٣ هـ أو: أول ٢٤هـ .

٢ ـ مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام أيام عثمان بن عفان.

٣ ـ مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام يوم الرحبة سنة ٣٥ هـ .

وكان عدد الصحابة الذين شهدوا الواقعة ٢٤ صحابيا .. وعلى رأي أحمد بن حنبل كانوا ٣٠ صحابيا.. وفي لفظ أبي نعيم (فضل بن دكين): فقام ناس كثير فشهدوا.

وأن ستة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله كانوا حضورًا في يوم غدير خم قد كتموا شهادتهم لأمير المؤمنين عليه السلام بالحديث فدعا عليهم فأخذتهم الدعوة.

ولا يفوتنا ان نذكر بأن تاريخ هذه المناشدة وهو السنة الـ ٣٥، الهجرية كان يبعد عن وقت صدور الحديث بما يربو على خمسة وعشرين عاما، وفي خلال هذه المدة كان كثير من الصحابة الحضور يوم الغدير قد قضوا نحبهم، وآخرون قتلوا في المغازي، وكثيرون منهم مبثوثون في البلاد، وكانت الكوفة بمنأى عن مجتمع الصحابة (المدينة المنورة) ولم يكن فيها إلا شراذم منهم تبعوا الحق فهاجروا إليها في العهد العلوي.

٤ ـ مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل سنة ٣٦هـ على طلحة.

أخرج الحافظ الكبير أبو عبد الله الحاكم في المستدرك ٣ ص ٣٧١ بسنده عن رفاعة بن إياس الضبي.. قال: كنا مع علي يوم الجمل فبعث إلى طلحة بن عبيد الله أن القني فأتاه طلحة فقال: نشدتك الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه؟ قال: نعم. قال: فلم تقاتلني؟ قال: لم أذكر. قال: فانصرف طلحة .

ورواه المسعودي في مروج الذهب ٢ ص ١١.. ورواه الخطيب الخوارزمي الحنفي في المناقب ص ١١٢..ورواه الحافظ الكبير ابن عساكر في تاريخ الشام ٧ ص٨٣، وسبط ابن الجوزي.

في تذكرته ص ٤٢، والحافظ أبو بكر الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ ص١٠٧ من طريق البزار، وابن حجر في تهذيبه ١ ص٣٩١ بإسناده من طريق النسائي، والسيوطي في جمع الجوامع كما في كنز العمال ٦ ص٨٣ قريبا من لفظ الخوارزمي من طريق ابن عساكر، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف السنوسي في شرح مسلم ٦ ص ٢٣٦، وأبو عبد الله محمد بن خليفة الوشتاني المالكي في شرح مسلم ٦ ص٢٣٦.

٦ ـ مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين سنة٣٧هـ .

٧ ـ احتجاج الصديقة فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. قالت: (أنسيتم قول رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم، من كنت مولاه

فعلي مولاه؟)

٨ ـ احتجاج الإمام السبط أبي محمد الحسن عليه السلام سنة ٤١هـ .

٩ ـ مناشدة الإمام السبط الحسين عليه السلام بحديث الغدير سنة ٥٨هـ .

١٠ـ احتجاج عبد الله بن جعفر رضي الله عنه على معاوية بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام.

وكذلك ناشد واحتج عدد من الصحابة والتابعين بحديث الغدير. ومن أراد التوسع في هذا الموضوع فليراجع موسوعة الغدير للعلامة الأميني رحمه الله.

وقفة تأمل في حديث الغدير

إن لهذه الآية: (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ**.....) نفسا خاصا يميزها عن غيرها من الآيات، إنها تتوجه بالخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وحده وتبين له واجبه، فهي تبدأ بمخاطبة الرسول: (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ**)، وتأمره بكل جلاء ووضوح أن (بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ). ثم لكي يكون التوكيد أشد وأقوى ـ تحذره وتقول: (**وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**) . ثم تطمئن الآية الرسول صلى الله عليه وآله ـ وكأن أمرًا يقلقه ـ وتطلب منه أن يهدئ من روعه وأن لا يخشى الناس: فتقول له: (**وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ**). وفي ختام الآية إنذار وتهديد بمعاقبة الذين ينكرون هذه الرسالة الخاصة ويكفرون بها عنادا، فتقول: (**أَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**).

يستدل من هذه الحادثة أن هناك أمرًا حساسًا وخطيرًا ومهما أبلغ به رسول الله صلى الله عليه وآله من الله وأمره أن يبلغه إلى الناس، وأن هذا الأمر لا يحتمل التأخير أو التأجيل، وإلا ما الذي جعل النبي صلى الله عليه وآله يقف في ذلك الهجير ظهرًا وفي تلك الصحراء وبالقرب من غدير خم الذي هو بالحقيقة منخفض أرضي فيه ماء راكد أو ما يسمى (مستنقع) الذي يكثر فيه البعوض؟ إلا لأن السماء هددته إن لم يبلغ هذا الأمر الخطير، وبغض النظر عن كل النتائج ،فسوف تعتبره السماء أنه لم يبلغ رسالتها إلى الناس، أو بتعبير آخر: إن جهود ثلاثة وعشرين سنة من الدعوة والتبليغ والجهاد وما صاحبها من تضحيات جسام، لدرجة أن النبي يقول: (ما أوذي نبي مثلما أوذيت)[٤]، وبعد كل ذلك، إذا لم يبلغ هذا الأمر الذي بلغ به يعتبر أنه لم يعمل شيئًا ولم يبلغ رسالة الله إلى عباده.

إذًا يبدو أنه أمر في غاية الأهمية والخطورة، بحيث دعا النبي صلى الله عليه وآله أن يقف ذلك الموقف ليبلغه إلى الناس؟ وتحت تلك الظروف التي ذكرناها آنفا. وهو الذي يمثل إرادة السماء في الأرض وأنه مسدد منها فلا ينطق عن الهوى، خصوصًا وأن الآية تبدأ بـ (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ**) ولم تقل (يا أيها النبي) لأن الموضوع يخص الرسالة وتبليغها.

لقد اختار الله سبحانه ذلك الوقت وذلك المكان، لأن المسلمين جاؤوا إلى حجة الوداع، وهي المرة الأولى التي يجتمعون فيها بهذا العدد الضخم، حيث تقول بعض الروايات إن عدد المسلمين الذين حضروا لأداء هذه الفريضة قد تجاوز مائة وعشرين ألف حاج كما تقدم، وهم لم يتفرقوا بعد من ذلك الاجتماع، حيث أنهم وصلوا إلى مفترق الطرق، مكان تفرقهم إلى أمصارهم، ولكي تكتمل حجة الله عليهم، إذ لا عذر لهم ولا حجة يحتجون بها أمام الله إن هم أنكروا ذلك التبليغ وتلك المبايعة... نعم، إنه تبليغ السماء باختيار الولي الذي سيتولى قيادة الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله، (من كنت مولاه فهذا علي مولاه).

ولم ينف أحد من المؤرخين صدور ذلك من النبيﷺ، ولكنهم اختلفوا في تفسير كلمة (مولى)، وإن أهم اعتراض يورد على حادثة الغدير هو أن من معاني (مولى) الصديق والنصير والمحب، ومن الممكن أن تكون الكلمة هنا بهذا المعنى أيضًا. ليس رد هذا الاعتراض بصعب، لأن كل ناظر منصف يدرك أن تذكير الناس بمحبة علي عليه السلام لا يقتضي كل تلك المقدمات، لا إلقاء خطبة في تلك الصحراء القاحلة وتحت ذلك الحر المحرق، وإيقاف تلك الجموع وانتزاع الاعترافات المتوالية منهم.

إن حب المسلم لأخيه المسلم من المفاهيم الإسلامية الواضحة التي تقررت منذ بداية الدعوة. ثم إن هذا الأمر لم يكن من الأمور التي لم يبلغها رسول اللهﷺ حتى ذلك الوقت، بل ثبته وأعلنه مرارًا. كما أنه لم يكن من الأمور التي تثير قلق رسول اللهﷺ وتخوفه حتى يطمئنه الله تعالى بشأنه. ولا كان أمرًا على هذا القدر من الأهمية بحيث تتخذ الآية هذا الأسلوب الشديد من التهديد في مخاطبة رسول اللهﷺ: (**وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**). كل هذه تدل على أن الأمر كان أكثر من مجرد محبة عادية تلك المحبة التي كانت من أوليات الأخوة الإسلامية منذ بزوغ فجر الدعوة الإسلامية. ثم إذا كان القصد هو تبيان مثل هذه المحبة العادية، فلماذا يعمد رسول اللهﷺ إلى استخلاص الاعترافات من الحاضرين قبل بيان قصده، فيسألهم: (ألست أولى بكم من أنفسكم)؟ أيتناسب هذا مع بيان محبة عادية؟ ثم إن المحبة العادية لا تستدعي من الناس، أن يهنئوا عليًا عليه السلام بقولهم: (أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة). حب المسلم واجب، وعلي كسائر المسلمين، ويجب حبه، وليس في ذلك شيء جديد يستوجب التهنئة في ذلك اليوم وفي آخر سنة من حياة رسول اللهﷺ. ثم إن هناك ارتباطًا بين حديث (الثقلين) وعبارات وداع رسول اللهﷺ وموالاة علي عليه السلام، وإلا فإن حب علي عليه السلام حبًا عاديًا لا يستدعي أن يجعله رسول اللهﷺ في مصاف القرآن! أفلا يرى المنصف المحايد في التعبير الوارد في حديث الثقلين أن المسألة تتعلق بالقيادة، لأن القرآن هو القائد الأول للمسلمين بعد رحيل رسول اللهﷺ وأهل البيت عليهم السلام هم القائد الثاني؟.

من العجيب أن بعض المتعصبين يصرون على القول بأن هذه الآية قد نزلت تطلب من النبي أن يبلغ اليهود والنصارى وفي أوائل البعثة في مكة، مع أن سورة المائدة نزلت في أواخر عمر رسول اللهﷺ فإذا قالوا: إن هذه الآية وحدها نزلت في مكة في أوائل البعثة، ثم أدخلت في هذه الآية للتناسب نقول: إن هذا على عكس ما تبحثون عنه تمامًا، لأننا نعرف أن رسول اللهﷺ في أوائل البعثة لم يصطدم باليهود ولا بالنصارى. وعليه فإن ارتباط هذه الآية ينقطع بما قبلها وما بعدها من آيات.

ومن الآيات النازلة في حادثة الغدير:

ومن الآيات النازلة يوم الغدير في أمير المؤمنين عليه السلام:

١ـ قوله تعالى: (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**) (المائدة: ٣).

أتفق الإمامية قاطبة على نزول هذه الآية الكريمة حول نص الغدير بعد إعلان

النبي ﷺ الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام، وقد وافق الإمامية على ذلك كثيرون من علماء التفسير وأئمة الحديث وحفظة الآثار من أهل السنة، فقد روى الحافظ أبو نعيم الأصبهاني المتوفى ٤٣٠هـ في كتابه (ما نزل من القرآن في علي)، بعد ذكر السند، قال:

(عن أبي سعيد الخدري: أن النبي ﷺ دعا الناس إلى علي في غدير خم ....فدعا عليًا فأخذ بضبعيه فرفعهما حتى نظر الناس إلى بياض إبطي رسول الله ﷺ، ثم لم يتفرقوا حتى نزلت هذه الآية: (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ... الآية**): فقال رسول الله ﷺ: (اللّه أَكْبَرُ عَلَى إِكْمَالِ الدِّينِ، وَإِتْمَامِ النِّعْمَةِ، وَرِضَا الرَّبِّ بِرِسَالَتِي، وَالْوَلَايَةِ لِعَلِيّ مِنْ بَعْدِي. ثم قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله . فقال حسّان: ائذن لي يا رسول اللّه أن أقول في علي أبياتا تسمعهن . فقال: قل على بركة اللّه. فقام حسّان فقال: يا معشر مشيخة قريش؟ أتبعها قولي بشهادة من رسول اللّهﷺ في الولاية ماضية. ثم قال:

يناديهم يوم الغدير نبيهم
بخم فاسمع بالرسول مناديا
يقول: فمن مولاكم ووليكم
فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت ولينا
ولم تر منا في الولاية عاصيا
فقال له: قم يا علي، فإنني
رضيتك من بعدي إماما وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه
فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا: اللهم وال وليه
وكن للذي عادا عليا معاديا

وبهذا اللفظ رواه الشيخ التابعي سليم بن قيس الهلالي في كتابه عن أبي سعيد الخدري أيضا[٥].

٢ـ قوله تعالى: (**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ**) (سورة المعارج: ١ـ٣)

وقد أجمع علماء الإمامية ومعهم كثير من علماء العامة على نزول هذه الآيات المباركة إثر حادثة الغدير، وهنا ننقل الرواية من أحد أعلام العامة أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري، قال في تفسيره (الكشف والبيان)، بعد ذكر السند: لما كان رسول الله ﷺ بغدير خم نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه . فشاع ذلك وطار في البلاد فبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري فأتى رسول الله ﷺ على ناقة له ... فنزل عن ناقته فأناخها فقال: يا محمد ؟ أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وإنك رسول الله، فقبلناه، وأمرتنا أن نصلي خمسا فقبلناه منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا، وأمرتنا أن نصوم شهرا فقبلنا، وأمرتنا بالحج فقبلنا، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك ففضلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه . فهذا شيء منك أم من الله عز وجل ؟ فقال ﷺ: والذي لا إله إلا هو إن هذا من الله ... فولى الحرث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهم ؟ إن كان ما يقول محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم . فما وصل إليها حتى رماه الله تعالى بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله وأنزل الله عز وجل: (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ... الآيات[٦].

اهتمام الشيعة بحادثة الغدير

بعد كل الذي تقدم، من ثبوت حادثة الغدير والآيات النازلة فيها، أليس من حق المسلمين أن يحتفلوا بيوم إكمال دينهم وإتمام نعمة اللّه عليهم ورضى اللّه سبحانه بالإسلام دينًا للبشرية جمعاء؟

أو ليس من حق المسلمين أن يعتزوا ويقدسوا من بولايته كمل الدين وتمت به نعمة اللّه عليهم؟ وهو علي بن أبي طالب عليه السلام.

فإذًا ليس بدعًا أن يحتفل الشيعة بهذا اليوم العظيم، ويتبادلون فيه التهاني كعيد من الأعياد، بل هو العيد الأكبر! كما ورد ذلك عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، فقد سئل الإمام أبو عَبْد اللّه الصادق عليه السلام: هَلْ لِلْمُسْلِمِينَ عِيدٌ غَيْرَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ والأَضْحَى وَالْفِطْرِ؟ قَالَ: نَعَمْ أَعْظَمُهَا حُرْمَةً ! ... الْيَوْمُ الَّذِي نَصَبَ فيه - رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وآله أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وقَالَ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاه فَعَلِيٌّ مَوْلَاه... يَوْمُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ...)[٧]، لأن فيه تحقق رضا اللّه سبحانه ورضى رسوله صلى الله عليه وآله، وهذا أسمى ما يصبو إليه المسلم ويتمناه■

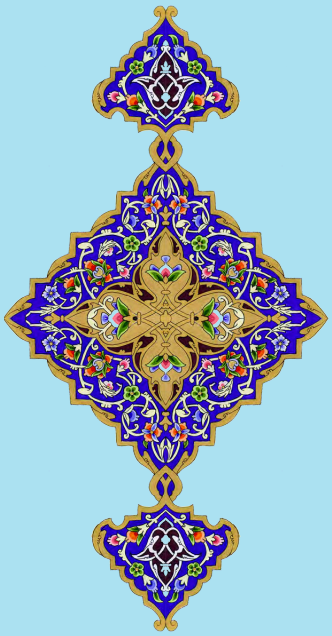

١) موسوعة الغدير/العلامة الأميني/ج١ص٦٠.

٢) ن.م/ص١٥٢.

٣) ن.م/ص١٠.

٤) مناقب آل أبي طالب/ابن شهراشوب/ج٣ص٤٢.

٥) موسوعة الغدير/ج١ص٢٣٠.

٦) ن.م.

٧) ينظر:الكافي/للكليني/ج٤

ملف العدد

أعياد الشعوب وعيد الغدير في النثر والشعر موشحة الشيخ علي آل حيدر أنموذجاً

بقلم : مسلم عقيل الشاوي

أخذ العيد حيزًا واسعًا في حياة المجتمعات، فكان ليومه قدسية القسيس، وهالة الجمال. إذ يعتبر ومنذ العصور الأولى يوم فرح وسرور وابتهال، وصفاء النفوس، ونزول الأرزاق وغير ذلك. ولسومر التاريخ حكايات وقصص مع أعيادهم، والاهتمام بها نقشت على الصخور ذكريات طقوسه واحتفالاته التي تقام بدءًا من ليلة الاعتدال الربيعي من شهر نيسان وتستمر حتى أيام أُخر من أيام السنة (ففي أول يوم من أيام السنة في العراق القديم يصب القالب وهو ما يسمى بيوم صب القالب أي (آجر البناء) ويعدونه بكميات كبيرة جداً وتستمر لأيام ربما أكثر من شهر في كل مدينة، ومن ثم يبدأ بعدها العمل للبناء وتشييد الدور والقصور والمعابد والزقورات)[1].

وفيه يلبسون الأهالي أفضل الملابس الجديدة، ويأكلون على مائدة واحدة ألذ الأطعمة ويشربون أشهى الأشربة، ويقدمون القرابين، ويوزعون الحلوى، ويزرعون الأشجار والنخيل، ويعلنون الحب والتسامح في احتفالاتهم بطقوسهم الدينية في ظلام الليل بحضور الملك.

واستمرت هذه العادات حتى إلى ما قبل الإسلام وما بعده، وإلى وقتنا هذا حيث صرح لنا كتابنا العزيز القرآن الكريم على لسان عيسى بن مريم عليه السلام: (**قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا**) (سورة المائدة: ١١٤).

فكانت لهم أعياد خاصة بهم في أيام من السنة حتى جاء الإسلام وبزغ نوره وأحتفل بأيام جعلها لهم عيدًا كعيدي الفطر والأضحى ثم عيد الغدير، وشكلت هذه الأعياد مادة خصبة للكتاب والشعراء

تفاعلوا معها بمظاهرها العديدة، ونرى هذا في حبر الكُتاب وأغراض صور الشعراء.

ومن ذلك قول ابن الرومي:

ولما انقضى شهر الصيام بفضله
تجلى هلال العيد من جانب الغرب
كحاجب شيخ شاب من طول عمره
يشير لنا بالرمز للأكل والشرب

وقول ابن المعتز:

أهلًا بفطر قد أضاء هلاله
فالآن فأنحر على الصحاب وبكِّر
وانظر إليه كزورق من فضة
قد أثقله حمولة من عنبرِ

وغير ذلك من الأشعار التي قيلت في أعياد المسلمين بشكل عام، وقد اختصت الإمامية بعيد الغدير يوم ١٨/ذي الحجة، حيث عين فيه رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام مولى المؤمنين والمسلمين عامة بعده، بأمر من الله، فقال: (من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله..) في خطبة طويلة خالدة في غدير خم. وهذا اليوم التاريخي أصبح لنا عيدًا فهو عيد الله الأكبر، لأنه يوم إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب، وبدأت أقلام الكُتّاب ترسم كلماتها على بياض الأوراق لتجعل منها مجلدات ضخمة في نشر قصتها وبيان معطياتها وأحداث تاريخها وأسانيد رواتها، وتتسابق حناجر الشعراء في إلقاء مانحته إبداعهم من صورة ذلك اليوم بجزالة المعنى وأسلوب الإلقاء، فنفتخر ونعتز بهذا اليوم فهو يوم البيعة والوفاء والولاء لوصي النبي الخاتم عليه السلام والتشرف بخدمته عليه السلام.

ومن بين ما صدحت به حناجر الشعراء موشحة للشيخ علي[٢] آل حيدر ﷺ، نظمت في عام ١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٤م، وألقيت في قضاء المدَيّنة التابع لمحافظة البصرة وجدتها مع مقدمة من النثر يشرح فيها أهمية هذا العيد في كتابه المخطوط والموسوم بـ (منتخب الروايات في تفسير مغلق الآيات)، فأحببت نشرها للفائدة علها لم تنشر من قبل وهي كما يلي:

(واختصت الإمامية بيوم الغدير ـ ١٨ ذي الحجة اقتداءً بأئمتهم التسعة صلوات الله عليهم ـ بعد الإمام الحسين عليه السلام، فإنهم كانوا يتخذون ذاك اليوم عيدًا لهم في كل عام يجلسون للتهنئة والسرور ويتقربون إلى الله تعالى بالصوم والصلاة والابتهال إليه بالأدعية، ويبالغون فيه بالبر والإحسان شكرًا لما أنعم الله به عليهم في مثل ذلك اليوم من النص على أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة والعهد إليه بالإمامة، وكانوا يصلون فيه أرحامهم، ويوسعون على عيالهم، ويزورون اخوانهم، ويحفظون جيرانهم، ويأمرون أولياءهم بهذا كله، فنراهم يتخذون ذاك اليوم عيدًا في جميع الأعصار والأمصار يفزعون فيه إلى مساجدهم للصلاة فريضةً ونافلة وتلاوة القرآن العظيم والدعاء بالمأثور شكرًا لله تعالى على إكمال الدين وإتمام النعمة بالولاية لأمير المؤمنين عليه السلام، ثم يتزاورون ويتواصلون فرحين مسرورين مبتهجين إلى الله تعالى بالبر والإحسان وإدخال السرور على الأرحام والجيران.

ويزورون مشهد أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك اليوم في كل سنة، فلا يقل المجتمعون فيه عن مئة ألف يأتون من كل فج عميق ليعبدوا الله بما كان يعبده أئمتهم الميامين في مثل ذلك اليوم من الصوم والصلاة والإنابة إلى الله تعالى والتقرب إليه بالمبرات والصدقات ولا يتفرقون حتى يحدقوا بالضريح الأقدس فيلقوا في زيارته خطابًا مأثورًا عن بعض أئمتهم يشتمل على الشهادة لأمير المؤمنين عليه السلام بمواقفه الكريمة وسوابقه العظيمة وعنائه في تأسيس قواعد الدين وخدمة سيد النبيين والمرسلين وخصائصه وفضائله الجليلة وعهد النبي صلى الله عليه وآله إليه يوم الغدير، ومن دأبهم في ذلك عقد الحفلات والمهرجانات لإلقاء الخطب والشعر الجامع لتلك الصفات يستمرون عليه في اليوم المذكور كل سنة في كل عصر ومصر وكانت القصيدة الحميرية التي مطلعها:

لأم عمرٍ باللوى مربع
طامسة أعلامه بلقع

أكثر ذكرًا في بعض النواحي من غيرها ينتقلون بها من مجلس إلى مجلس ومن محفلٍ إلى آخر يرددونها بصورة خاصة رقاصيةٍ تشمل على ما يطابقها من التصفيق.

ومما حظيت بالذكر في بعض الحفلات التي أقيمت ليوم الغدير في ناحية المدَيّنة سنة ١٣٦٥هـ أبياتنَا الموشحة:

غن يا بلبل في الغصن لنا
ونغني لك في هذا السرير
اننا مثلك قد نلنا المنى
من سويعات الهنا يوم الغدير
أدر الكأس صباحاً ومسا
وأجد لحنك فوق الشجرِ
مثلما نحن ندير الأكئسا
ونجيد اللحن فوق المنبرِ
واسقِ يا بلبل هذي الأنفسا
مثلنا من مدح ساقي الكوثرِ

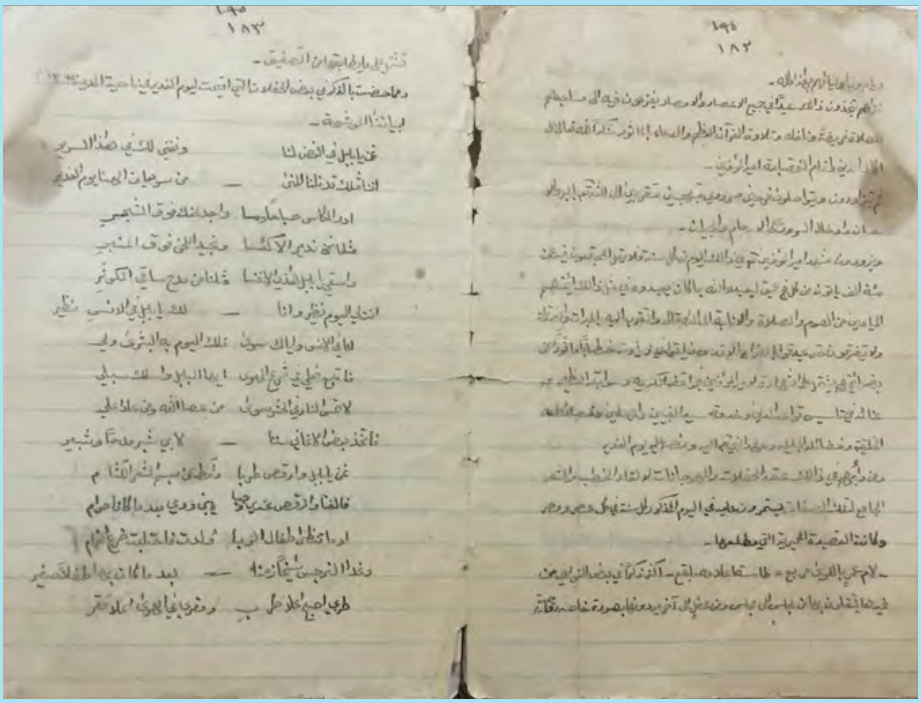

أنت لي اليوم نظير وأنا ... وغدا النرجس شيخًا زمنًا
لك يا بلبل في الأنس نظير ... بعدما كان بها طفلًا صغير
أنا في الأنس وإياك سوى ... طربي أصبح أعلى طرب
فلك اليوم به البشرى ولي ... وقصري في الهوى أعلى قصر
فاتبع فعلي في شرع الهوى ... والأغاني أصبحت من مذهبي
أيها البلبل واسلك سبلي ... كلما ذكر علي قد حضر
لا تمس النار في الحشر سوى ... إن هذا شأن أمي وأبي
من عصا الله ومن عادا عليّ ... وأنا اضرب في هذا الوتر
فاتخذ بعض الأغاني سننا ... وعلى هذا أبي قدمًا بنى
لأبي شبر مدحًا وشبير ... وأنا أبني عليه في الأخير
غن يا بلبل وأرقص طربًا ... مالنا نهتز طرًا فرحًا
وأمط عن مبسم الشعر اللثام ... كلما هز النسيم العشبا
فالغنا والرقص عندي وجبا ... نحتسي من كل معنىً قدحًا
يبـن ودي بعدما كانا حرام ... فيه أوصاف علي حببا
أو ما تنظر أطفال الربـــا ... ونرى البلبل يسعى طربًا
ولدت فأحتبلت ضرع الغمام ... مثل مسعانا على وادي قبا

أفهل كان نجم معنا
إذ سمعنا خطبة الهادي البشير
حيث قام المصطفى بين الملا
فـــرقى منبر كور وحدوج
وبهم قد غص في خم الفلا
والفضا انسدَّ نجودًا وفروج
ثم ألقى في علي ذي العلى
خطبةً كـــاد بهـا البر يموج
ملأ الدنيا صداها علنًا
ورأى الحق بها كل خبير
يا لها من خطبة طول الأمد
لذوي الآراء صارت مختبر
سندي في صدقها أقوى سند
ولديها خبري أقوى خبر
إن على أقوالنا لا يعتمد
فمـن الطاعن في قول عمر
فهو الشاهد فيها بيننا
لعليّ المرتضى يوم الغدير
كم أتتكم في الغدير العلما
بحديث مسند معتبرِ
وإذا شئت به أن تَعلما
فاتبع في البحث عنه أثري
قسمًا بالدار قطني قسمًا
إنه صحح فيه خبري)[٣]■

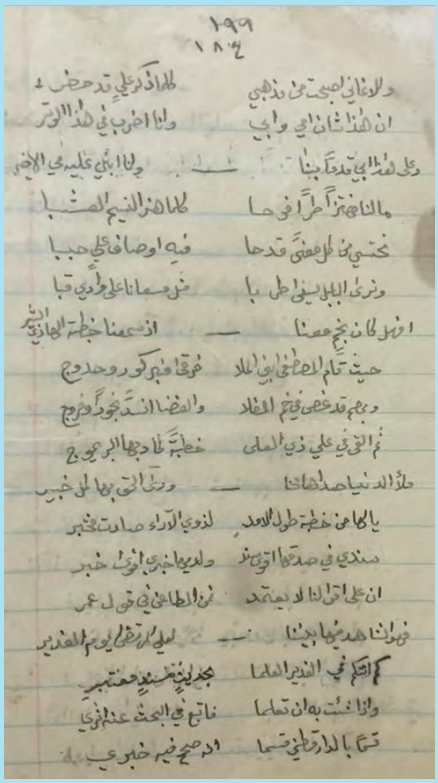

١ ــ مقالة حول احتفالات رأس السنة في العراق القديم الباحث الآثاري عامر عبد الرزاق الزبيدي.

٢ ــ وهو الشيخ علي بن الشيخ محمد بن الشيخ عيسى بن الشيخ محمد علي آل حيدر، ولد في ١٩٠٧م وقيل ١٩٠٢م ،درس بعض العلوم الرياضية والعربية والفقه والأصول والمعاني والبيان على يد جماعة منهم الشيخ جعفر محبوبة والشيخ يحيى الجواهري والشيخ عبد الامير البصري، وكان مشغوفاً بالقراءة والمطالعة وكان سريعاً في التعلم ما أهله لأن يكون له الباع الطويل في كثير من العلوم القديمة والحديثة لهذا تمتع بنبوغه العلمي ونشاطه، وساعدته على ذلك موهبة الذكاء التي يمتلكها وسرعة البديهة له مؤلفات عدة كلها مخطوطة منها: ديوان شعر أغلبه في مدح آل البيت عليهم السلام، كما وله الكثير من المراسلات مع علماء وأدباء عصره، توفي في ١٩٦٧م ودفن في وادي السلام. (ينظر ترجمته: مختصر آل حيدر للشيخ جميل حيدر: ص١٨ مخطوط، تاريخ القزويني للاستاذ جودت القزويني: مجلد ١٨،ص ٢٧٩، مقال لي حول حياته نشرته في هذه المجلة الزاهرة بعددها ٥٠، بعنوان: الشيخ علي حيدر فكر معطاء، وكما لي فيه كتاب حول حياته و تراثه مازال مخطوطاً).

٣ـ الكتاب المخطوط (منتخب الروايات في تفسير مغلق الآيات) للشيخ علي آل حيدر.

ملف العدد

الأثر العقائدي لبيعة الغدير

سماحة الشيخ محمد آل حيدر
مدير مدرسة دار الحكمة الإسلامية

ينابيع

تحدد بعض الأحداث خارطة المستقبل، وتبني أحداث أخر حدود كيانات سياسية ودولية، ولكنها تبقى في أكثر الأحيان محتفظة بجذوة الكيانات السابقة، وعلى طبائع النفوس ومواقع العلاقات، ولكن في بعض الحالات المنفردة للاحداث تتغير جميع الأنماط الحياتية، ليس فقط السياسية والاجتماعية، بل حتى الخلجات النفسية، والاستقرارات الروحية، وتتعداها إلى تغييرات كونية، وقد كانت البعثة النبوية المشرفة من هذا النمط من الأحداث، وتلاها حدث آخر تمم الفاعلية التغييرية لهذه الواقعة الربانية، إذ مثلت حادثة الغدير توجيهًا معينًا للبعثة النبوية كانت له آثاره الحياتية العميقة، مضافًا إلى فاعليته الغيبية التي قد تعجز عنها التصورات الطبيعية للإنسان إدراكها، فضلًا عن التفاعل معها.

وعندما نحاول تلمس عمق آثار الأحداث نرى أن الأثر الفعال والقاعدة لكثير من الآثار الأخرى يتمثل بالجنبة العقدية والمساحة الفكرية للحدث، ضمن إطاره ومبرراته، ونحن في كل عام نستذكر الغدير حادثةً وعقيدةً ومنهج حياة ترك أثره العميق، لا في أمة الإسلام فقط، بل في العمق التاريخي والتجاذب الفكري والأثر الاجتماعي للواقع الإنساني، ولهذا كان من الضرورة تسليط الضوء ولو بحسب سعة المقام، وليس بما يستحقه البحث، على الجانب العقائدي لبيعة الغدير.

وقد يمكن إدراج الكثير من النقاط الغديرية العقائدية، ولكن الكلام فعلًا في جوانب محددة مهمة ونترك التكملة إلى

فرص أخرى إن شاء الله:

أولًا: بيعة الغدير.. مفصل عقائدي في التاريخ البشري: تجاذبت البشرية منذ فجرها الأول والى اليوم التصارعات والتناحرات، التي تحولت من الشخوصية إلى الواقع الفكري، ومن التبرير الذاتي إلى التبرير الانتشاري، فتفرقت الأفكار، وتحزبت الأفراد، لتتكون التوجهات، وتتبلور التنازعات، والظاهرة التاريخية المهمة هنا ان محور كل ذلك كان هو الدين، واقعًا، او ظاهرًا، وحتى العلمانية تتمحور حول اللا دين، فجعلت من البعد الديني محورًا لها بشكل من الاشكال، وسعت إلى طمس معالمه، حتى إن الإنسان ليستغرب من انعدام البحث في التاريخ القديم عن ذكر الأنبياء عليهم السلام، وأديانهم وتأثيراتهم.

ولكن مع كل هذا فوض الدين واقعيته كمحور للحركة التاريخية البشرية، وبين الانشداد الديني الغيبي والانشداد الحياتي المادي، تصارع الإنسان بين الواقعين، فكان الصراع الذاتي، وامتد ليشمل جميع مراتب الحياة الإنسانية إلى الصراع الأممي.

وفي كل هذا لم يكن هناك انتصار تاريخي لطرف على حساب طرف، بل على العكس أثّر كل منهما في صاحبه، ولكن الأثر الذي أصاب المحور الديني كان بالغًا وشديدًا، وذلك لأن ضرب هذا المحور كان على جبهتين، من الداخل تحريفًا وتزويرًا، ومن الخارج تدميرًا واضطهادًا، فخرجت الأديان من واقعها المناسب للحقائق الفطرية المرتكزة في الذات البشرية، وتنكبت الطريق الواضح بفضل شخصيات واكبت مؤسسي الأديان وسارت معهم تقنّصاً للفرص، واستعدادًا للتوثب، ولأن الله سبحانه وتعالى لم يشأ أن يسلب الانسان حريته التي ميزه بها، لم تدخل يد الغيب إلّا في بعض المراحل الفاصلة، التي لولا التدخل الغيبي لكان الانتصار على الدين ساحقًا.

واستمرت القصة إلى الإسلام، وبنفس الطريقة السابقة في الأديان الأولى توثبت جماعةٌ صحبوية، ومن ورائها مخططات ومؤثرات لتنزع من الإسلام رونقه الفطري، وتأثيرات مؤسسه ﷺ الكمالية والجمالية، التي سحر بها النفوس، وهيمن بها على الالباب، أدخلت هذه الجماعة الناس في مداخل الدنيا، ولكن الإسلام هو الدين الخاتم القائد للأديان، وهو النسخة الأخيرة منها، والجحفل الأخير في الحرب مع اللادين بكل توجهاته حتى الانحراف الديني، فكيف ينتهي، وكيف يموت، وهنا تتدخل يد الغيب تدخلًا مفصليًا عظيمًا هذه المرة، ولا تغير موقفًا أو تنقذ شخصًا، أو تظهر معجزةً، بل لتضع منهجًا حافظًا لأسس الدين، يقوم بدور التنوير الديني في كل مفصل حياتي، فمن أراد هديَهُ كان له المصباح الذي يضيء له طريق الهدى، وإن أراد مخالفته فله وبكل الحرية بل والتسهيل والتيسير في ذلك كله.

لقد كان المنهج الإسلامي متقومًا باستمرارية الطاقة النورانية المحمدية إلى ما بعده علمًا وعملًا، نظريات وتطبيقات، أفكارًا وسلوكًا.

وقد كان هذا الامتداد متمثلًا بعاملين متكاملين غير متفردين، وهما الكتاب الذي أنزله الله على محمد بن عبد الله ﷺ وعترة محمد ﷺ.

وكان على النبي الأعظم محمد بن عبد الهع ﷺ وهو أمام مهمةٍ عظيمةٍ وهي

استمرارية وجود الواقع الديني على الأرض – أن يسلك أسلوبا يحفظ من خلاله هذه الحقيقة التي لابد من استمرارها، فكان الإعجاز القرآني بكل جوانبه، والتأثير المحمدي بكل طاقته، حافظين للقرآن، وبتعهد غيبي: (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**) (الحجر: ٩).

وأما العترة النبوية المطهرة، فان وجودها هو التجسيد الواقعي للفكر الديني القرآني، واستمرارها استمرار للبيان القرآني المتجدد، الذي يستعصي في الكثير من حقائقه عن الفهم بدون هذه المجموعة البشرية، ولهذا لم يمض يوم على الدعوة المحمدية لم يتبين بها واقع هذه العترة وأهميتها، وضرورة التسليم لها، ولكن البيانات المتفرقة، والتوضيحات اليومية لم تكن نافعة أمام الفكر القبلي، والتعنت التحزبي، والنفوس التي ترى أن الدنيا بدأت بالإقبال عليها، فلم يكن أمام النبي الأعظم ﷺ وبأمر من السماء إلّا أن يضع حدًا فاصلا بين ما جرى في جميع التجارب الدينية السابقة، ما أدى إلى انحرافها، وبين ما سيجري في التجربة الإسلامية التي لا بد من بقائها ناصعة واضحة غير منحرفة، ولو أدى هذا إلى اعظم التضحيات.

ومن هنا كانت ساعة الفصل، وكان لا بد من البلاغ الرسمي العام بأن الإسلام بنسخته الأصلية سيبقى مستمرًا وإلى الأبد، وأن أي نسخة أخرى فهي نسخة مزورة، فليصدّق بها من يصدق، ولكن النسخة الأصلية محفوظة في ايدٍ أمينة، وكان الإعلان عن أن: (من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله)[1].

وصارت واقعة الغدير الفاصل بين بقاء الدين وتحريفه، وبين حقيقة الأديان والصورة الكاذبة عنها، بل الدين المرتبط بالسماء، والدين المتقهقر نحو الانحطاط.

وبهذا نفهم كيف صارت واقعة الغدير، بكل تفاصيلها مفصلًا فارقًا في التاريخ العقائدي للبشرية.

لقد اعتادت الأديان في سابق عصرها على التزوير السريع، والاضمحلال للحقيقة، وتغلب الأهواء وأهلها، على الحقائق وحملتها، فأتباع الدين اليهودي يجسدون عقيدتهم بكتاب يقدسونه ملأته الاساطير والعجائب، حتى انه لو كان من أفلام الرسوم المتحركة لم يتمكن راسمها من تخيله، وكيف يتخيل ـ مثلا ـ ربًا يقاتل نبيًا طوال الليل ولا يتغلب عليه. وهذا الدين النصراني، يعتقدون فيه بأمر غير قابل للتصور حتى ولو على نحو الخيال، فيقولون إن الثلاثة واحد.

وهكذا تستمر اللعبة في جميع الأديان والتوجهات، وكذلك الإسلام تحرفت أسسه وأفكاره بنفس الطريقة، فالرب فيه يجلس على كرسي ويمد رجله في النار، والنساء فيه ترضع الكبار، ومسؤول الدولة يطاع في ظلمه وطغيانه ولا يجوز نقده حتى على مستوى التحليل التاريخي، فأنتج كل هذا نسخة محرفة للإسلام كان من نتائجها الطبيعية، حكام ظلمة، وطواغيت مجرمين في كل مجالات الحياة، ثم توج هذا الإنجاز في الإرهاب الدولي العام المنبثق باسم الإسلام، وبنسخ متنوعة، قاعدة، وداعش ونصرة ...الخ، وما سياتي أدهى وأمر.

ولكن مع كل هذا الانحراف، افترق الدين الإسلامي عن الأديان الأخرى بواقعة الغدير.

لقد حفظت واقعة الغدير الإسلام بأن يستمر فكرًا متجسدًا في شخصية فوق الشبهات، علمًا وسلوكًا. إنها شخصية علي بن أبي طالب عليه السلام.

ثانيًا: الأثر العقائدي لبيعة الغدير في الواقع الإسلامي.

كما كانت حادثة الغدير فيصلًا بين المحاولات التاريخية الناجحة لتزوير الديانات السابقة، وبين الثبوت الفكري للإسلام ووصوله إلى الناس بأكثر من سبيل، كذلك كانت هذه الحادثه الكبرى فاصلًا عقائديًا في الإسلام، تشعبت على أساسه الشعب، وتفرقت الفرق، فمنذ اللحظة الأولى لإعلان البيعة الغديرية تفرق الناس على قسمين، قسم سلّم للأمر كما هي عادة المسلمين عندما يبلغهم رسول الله صلى الله عليه وآله أمرًا، ومنهم من شكك في مصداقية الرسالة، وسأل سؤالًا يوحي للسامع بأكثر من إيحاء سلبي تجاه شخصية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، لقد سُئل صلى الله عليه وآله: (هل هذا البلاغ منك أم من الله؟)، وهذا التساؤل لم يكن وليد الساعة فقد كان هناك أكثر من موقف تشكيكي في التاريخ الإسلامي، وكانت هذه المواقف تعتمد على فكرة الفصل بين محمد الرجل الطبيعي، ومحمد الرسول النبي صلى الله عليه وآله، فهم يعتمدون على أن للنبي صلى الله عليه وآله واقعين، الواقع الطبيعي الإنساني، والواقع التبليغي الرباني، وتمتد هذه الفكرة لتقسم التصرفات المحمدية إلى تصرفاته الشخصية والحياتية، وتصرفاته التدبيرية والولايتية، وتصرفاته التبليغية الدينية.

فالتصرفات الحياتية الشخصية يتصرف بها النبي صلى الله عليه وآله كأي انسان آخر، بل تظهره بعض المواقف وهو في أضعف الأحوال وأخسها، وبما لا يليق برجل من عامة

الناس فضلًا عن زعيم ديني أو قبلي أو سياسي.

وأما في التصرفات التدبيرية فإنه قائد سياسي وعسكري ولكنه لفقدانه التجربة القيادية في حياته السابقة فإنه لم يكن إلا راعي غنم ثم مستأجرًا وعاملًا في أموال خديجة عليها السلام، فلم تكن جميع تصرفاته ذات إتزان قيادي متكامل، لولا أن مَنَّ الله عليه بثلة من الصحابة العارفين المدبرين لضاعت الكثير من الأمور، ولكن النبي محمد صلى الله عليه وآله كان عاقلًا ومتزنًا فكان يستشير هؤلاء الأجلاء من الصحابة ويأخذ بقولهم فتمر الأمور بسلام.

وأما في الأمور الدينية فقد كانت شخصية النبي صلى الله عليه وآله غير مستوعبة للصدمة الوحيانية الجبرائيلية، إلى حد الانهيار النفسي، بل وكاد أن يتورط بالانتحار، واستمرت به الحال إلى وقت متقدم من نبوته وهنا أيضا كان هناك من يعلّمه في كل مرة كيف يتصرف فتارة خديجة وتارات عمر بن الخطاب.

ولكنه مع هذا فإنه مطاع في أمر الدين، ولكن بشرط أن يثبت أنه لم يداخل معه أمورًا عشائريةً أو دنيوية، فعندما بعث بعلي عليه السلام ليسحب براءة من أبي بكر ويقرأها على الناس، ما كانت دوافعه؟

وعندما وزع الغنائم بعد الأحزاب على قريش، ماذا قالت الأنصار عنه؟

ويقابل هذا التصور لشخصية النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله تصور أخير عبّر عنه القرآن ومدرسة أهل البيت عليهم السلام وهي أن النبي صلى الله عليه وآله معصوم منذ ولادته ولحين وفاته وفي كل جوانب حياته، يقول القرآن الكريم: (**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى**) (النجم: ١-٧)

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: (ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيمًا أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره)[٢].

وهنا جاءت واقعة الغدير لترفع الضبابية المصطنعة عن شخصية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وتبين أن التصرفات الحياتية والتدابير السياسية كلها خاضعة لقانون العصمة النبوية، وأنه ما من تصرف يتصرفه النبي صلى الله عليه وآله الا بوحي من الله، وقدرة على التعامل مع هذا الوحي منه صلوات الله عليه.

ثالثا: استمرار خط العصمة الرابط بين السماء والناس:

من ضرورات الدين الإسلامي ختم النبوات بالنبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله، قال تعالى: (**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**) (الأحزاب: ٤٠) وهذا يعني انقطاع العلاقة المباشرة بين الأرض والسماء، وهي العلاقة التي تمثل نقطة المحافظة على البشرية من الاضمحلال، فتصحح المسارات، وتنظم الحياة. ولأن الرسالات السماوية تقوم بوظيفتها بما يتناسب مع الواقع الفكري والمدني للإنسان، فقد جاء الإسلام بشريعة إلهية قادرة على التماشي مع حاجات الانسان وتطوراته في كل زمان ومكان، بل وتطور فيه واقعياته، وتعالج خيالاته وتوهماته.

ومع هذا تبقى الحاجة للاتصال مع السماء، لتبيان معالم هذا الفكر الإسلامي، وكيفية تطبيقه، وأسلوب التعاملات الحياتية في ضوئه وقد أثبتت التجارب المتواصلة،

والتي تمثل حياة بشرية متكاملة المراحل ضرورة هذا الاحتياج، وخصوصًا مع تغييب نقطة الاتصال والترابط مع السماء وما جر هذا من الويلات والتراجعات للواقع الإنساني على جميع مستوياته من اجتماع إلى أخلاق إلى فكر ..الخ.

وهنا كانت ظهيرة يوم الثامن عشر من ذي الحجة الحرام في السنة العاشرة للهجرة لحظةً حاسمة في تحديد طبيعة نوعية جديدة في تنظيم هذه العلاقة الترابطية الأرضية السماوية، إنها علاقة الإمامة والولاية العليا لغير الأنبياء عليهم السلام، نوعية ليست بجديدة تمامًا، بل كانت مع جميع النبوات السابقة، ولكن عنصر التجديد فيها أنها كانت مدعومة بالنبوات المتواصلة، وأما اليوم فهي كيان ثابت ودائم.

رابعًا: تثبيت الواقعية الحياتية للإسلام:

كل فكرة نظرية إنما تكسب أهميتها وتتحدد ضرورتها بمقدار واقعيتها، وفي التنظير الاجتماعي تثبت الفكرة في أرض الواقع بمقدار إمكانية تطبيقها، وبمقدار النتائج التي تفرزها.

وقد طرح الإسلام النموذج الأعظم للإنسان، بصفات متكاملة، ونتائج مذهلة، وتمحور هذا بالشخصية المحمدية المتفردة. والتي غيرت في حياة البشرية عمومًا وتاريخها وكيانها الفكري والاجتماعي تغييرات غير مسبوقة ولا ملحوقة.

ولكن نموذجًا منفردًا لتمام تاريخ البشرية لن تحتفظ الأجيال المتعاقبة بتأثيره إلّا مع قوى تجديدية تتعايش مع الاستمرارية التطورية للإنسان، وتقدم حلولًا لمشاكله بالمستوى المحمدي المقدس، وتقود البشرية إلى الأمان والسعادة في الحياتين الدنيوية والأخروية، وقد جاءت واقعة الغدير لتعلن للكيان الإنساني أن محمدًا صلى الله عليه وآله بشرٌ طبيعي فيموت كما ولد، ولكنه سيستمر بعليّ وأبناء علي صلوات الله عليهم أجمعين.

خامسًا: ترسيخ العقيدة السياسية الربانية:

أوضح القرآن الكريم وبصورة جلية أن حقيقة القيادة السياسية لا تنفك عن إحدى الحالتين: الحالة الايمانية والحالة الطاغوتية.

وقد بين الكتاب العزيز المصاديق الواقعية للحالتين، وفي مواضع متكررة من الذكر المجيد. ومنها قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**) (النساء: ٥٩)، (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا**) (النساء:٦٠) فأولي الأمر منكم هم القيادة، وهم الذين يتحملون أعباء وضع الحلول، وحل الخلافات، وتطوير المجتمع والحياة .. وجاءت بيعة الغدير لتحدد عمليًا هذه القيادة متمثلة بشخصية الإسلام الفذة والمعجزة النبوية الخالدة علي بن أبي طالب صلوات الله عليه.

وعلى مستوى التعامل الفقهي يعتبر الخارج على الإمام باغيًا لأنه نقطة تدمير

اجتماعي، وبؤرة خلاف سياسي على التنصيب الرباني. ولهذا تكرر التحذير من الخروج على الإمام عليه السلام كتابًا وسنةً، بل حتى الخروج على المستوى النفسي يعد جريمةً في الفكر الإسلامي، وإن تكاملت الطاعة الخارجية للإمام، قال تعالى: (**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**) (التوبة: ١٦)، وقد كانت هذه الحقيقة من واضحات الأمور في حياة النبي صلى الله عليه وآله وبعد وفاته صلوات الله عليه، فالمسلمون كانوا يعلمون بان القيادة السياسية لعلي بن ابي طالب عليه السلام ستفتح آفاقًا متكاملة مع حركة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، فهذا عمر بن الخطاب في آخر ساعاته وهو ينظّم أمر الشورى لاختيار الخليفة من بعده يقول لأمير المؤمنين عليه السلام: (وإنك أحرى القوم إن وليتها أن تقيم على الحق المبين، والصراط المستقيم)[٣]. وقال أبو ذر رضي الله عنه: (لو قدمتم من قدم الله وخلفتم الولاية لمن خلفها النبي صلى الله عليه وآله والله لما عال ولي الله ولما اختلف اثنان في حكم ولا سقط سهم من فرائض الله ولا تنازعت هذه الأمة في شيء من أمر دينها إلا وجدتم علم ذلك عند أهل بيت نبيكم، لأن الله تعالى يقول في كتابه العزيز : (**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ**) (البقرة: ١٢١)، فذوقوا وبال ما فرطتم (**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**) (الشعراء: ٢٢٧)[٤].

هذه بعض من منح الغدير كانت محاولة صياغتها بنقاط متتالية كجزء من أكثر من ضعف المذكور مما يبين الأثر العقائدي لهذه العطية الإلهية التي خصّ الله بها الأمة المحمدية المرحومة■

---

١) الهداية/الشيخ الصدوق/ص١٥٠.

٢) نهج البلاغة – ٢: ١١٧.

٣) الإمامة والسياسة/ابن قتيبة الدينوري/ج١ص٢٩.

٤) تفسير الفرات/فرات بن إبراهيم الكوفي/ ص٨٢.

ملف العدد

عيد الغدير
عيد الله الأكبر

ساجد صباح ميس العسكري
كلية العلوم الإسلامية – جامعة كربلاء

ما هو عيد الغدير:

عيد الغدير وهو يوم تنصيب الإمام علي عليه السلام للولاية والخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ويصادف في الثامن عشر من شهر ذي الحجة بعد عودة الرسول صلى الله عليه وآله من حجة هي الأولى والأخيرة وفي مفترق طرق الحجيج بلّغ ما نزل إليه من ربه: (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**) (المائدة:٦٧)، فصعد النبي صلى الله عليه وآله على مكان مرتفع في غدير خم ليبلّغ حتى يكمل الدين وتتم النعمة التي ابتدأت بإرساله صلى الله عليه وآله لهذه الأمة فنزل قوله تعالى: (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**) (المائدة: ٣)، وقد ذكر المفسرون في أسباب النزول أنها نزلت في حجة الوداع[١].

وكان حديث الرسول صلى الله عليه وآله في ذلك اليوم والذي نُقل إلينا متواترًا عبر مئات الرواة من الشيعة والسنة هو (من كنت مولاه فهذا علي مولاه)[٢].

وحتى لا تفسر كلمة المولى بغير ما أراده الله سبحانه وهي الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله والولاية على المؤمنين نصب الرسول صلى الله عليه وآله خيمة في ذلك المكان للبيعة فتوافد عليه من حضر في ذلك الزمان والمكان وكان في مقدمة المبايعين أبو بكر وعمر بن الخطاب الذي قال مقولته الشهيرة (بخ بخ يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم)[٣]،

وقد أرخ لنا حسان بن ثابت تلك الحادثة بقوله:

يناديهم يوم الغدير نبيهم
بخم وأسمع بالرسول مناديا

يقول فمن مولاكم ووليكم
فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت ولينا
ولم تر منا في الولاية عاصيا[٤]

ولم يكن تنصيب الإمام علي للخلافة بعد الرسول ﷺ وليد تلك الحادثة بل سبقها بسنوات ويشهد على ذلك حديث الدار، والمنزلة، والثقلين...الخ من الأحاديث والمواقف التي نص فيها الرسول ﷺ على خلافة الإمام علي عليه السلام، وكان يوم غدير خم أشبه بالإعلان الرسمي للتنصيب.

ولارتباط عيد الغدير بأمرٍ إلهي عظيم خُلد هذا اليوم وأصبح للمسلمين عيدًا ؛ ليتذكروا فيه نعمة إكمال الدين وإتمام النعمة بعد أن كانوا على شفا حفرة من النار.

فإحياء عيد الغدير لم ينبع من عاطفةٍ أو هوى وإنما هو إحياءٌ لتلك المعاني السامية.

وكم حاولت السلطات الجائرة والأقلام المأجورة طمس هذه الذكرى حنقًا وحسدًا.

ومن أهم تلك المحاولات:

١- جعل عيد الغدير عيدًا خاصًا بالشيعة حتى لا تتساءل الأجيال عن معنى ذلك اليوم وعن سر هذا التخليد، يقول أحدهم: (الاحتفال بعيد الغدير: ويكون الاحتفال في اليوم الثامن عشر وهو أحد أعياد الرافضة التي تحتفل بها ويزعمون أن فيه حدثت الوصية بالولاية لعلي رضي الله عنه)[٥].

لاحظوا كيف يدلسون ويحاولون التشكيك بأصل الحادثة ليوهموا العامة بأنه عيدٌ مبتدعٌ.

٢- الاهتمام بالأعياد الأخرى بشكل ملفت وجعلها أكثر من يوم واحد، حتى جعلوا عيد الأضحى أربعة أيام ليركزوا في أذهان عوام الناس عيد الفطر والأضحى دون عيد اللّه الأكبر.

عيد الغدير في روايات المعصومين:

ذكر المعصومون عيد الغدير في روايات عديدة منها:

١- عن الصدوق بسنده عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يوم غدير خم أفضل أعياد أمتي، وهو اليوم الذي أمرني الله تعالى ذكره فيه بنصب أخي علي بن أبي طالب علمًا لأمتي يهتدون به من بعدي، وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين، وأتم على أمتي فيه النعمة، ورضي لهم الإسلام دينًا)[٦].

٢- روى الكليني بسنده عن عبد الرحمن بن سالم، عن أبيه قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام هل للمسلمين عيد غير يوم الجمعة والأضحى والفطر؟ قال: نعم أعظمها حرمة قلت، وأي عيد هو جعلت فداك؟ قال: اليوم الذي نصب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، قلت: وأي يوم هو؟ قال: وما تصنع باليوم إن السنة تدور ولكنه يوم ثمانية عشر من ذي الحجة...)[٧].

٣- عن الرضا عليه السلام أنه قال: (...لو عرف الناس فضل هذا اليوم بحقيقته، لصافحتهم الملائكة في كل يوم عشر مرات)[٨].

٤- وعنه عليه السلام أنه قال: (إن يوم الغدير في السماء أشهر منه في الأرض إن لله في الفردوس الأعلى قصرًا لبنة من فضة ولبنة من ذهب، ثم ذكر وصف ذلك القصر وما يجتمع فيه يوم الغدير من الملائكة وما ينالون من كرامة ذلك اليوم)[٩].

علاقة المسلمين بعيد الغدير

من الخطأ أن نعتقد أن عيد الغدير عيد خاص بالشيعة، والمتابع للنصوص الشريفة يلاحظ بوضوح أن عيد الغدير من أعياد المسلمين بل هو عيدهم الأكبر، لارتباطه بقضايا عقائدية تخص المسلمين جميعًا، وتوحدهم على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام نعم يهتم به الشيعة أكثر من غيرهم لتأكيد الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام عليه وليس الأمر عاطفيًا كما يصوره البعض.

وقد نصت أقوال بعض علماء العامة على أن عيد الغدير من الأعياد الإسلامية وقد نقل تلك النصوص العلامة الأميني في كتاب الغدير[١٠].

ومن أهم تلك النصوص:

١) ما قاله ابن طلحه الشافعي في مطالب السؤول: (يوم غدير خم ذكره (أمير المؤمنين) في شعره وصار ذلك اليوم عيدًا وموسمًا لكونه كان وقتًا نصه رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه المنزلة العلية، وشرفه بها دون الناس كلهم)[١١].

٢) اعتبر البيروني في كتابه الآثار الباقية عيد الغدير من أعياد المسلمين.

٣) ما قاله الثعالبي في ثمار القلوب في فضل ليلة ١٨ من ذي الحجة (وهي الليلة التي خطب رسول الله صلى الله عليه وآله في غدها بغدير خم على أقتاب الإبل فقال في خطبته: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، فالشيعة يعظمون هذه الليلة ويحيونها قيامًا)[١٢].

٤) ما ذكره ابن خلكان في أكثر من مورد من كتاب وفيات الأعيان إشارةً للتسالم على تسمية هذا اليوم عيدًا، ففي ترجمة المستعلى بن المستنصر قال: (فبويع في يوم عيد غدير خم وهو الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٤٨٧)[١٣].

وقال في ترجمة المستنصر بالله

العبيدي: (وتوفي ليلة الخميس لاثنتي عشر ليلة بقيت من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة رحمه الله تعالى، قلت: وهذه الليلة هي ليلة عيد الغدير أعني ليلة الثامن عشر من ذي الحجة وهو غدير خم (بضمّ الخاء وتشديد الميم) ورأيت جماعة كثيرةً يسألون عن هذه الليلة متى كانت من ذي الحجة، وهذا المكان بين مكة والمدينة وفيه غدير ماء)[١٤].

مميزات عيد الغدير وأفضليته على الأعياد الأخرى

لم يُعظم عيد في الإسلام مثلما عُظم عيد الغدير فهو (أعظم الأعياد، ما بعث الله تعالى نبيًا إلّا وهو يعيد هذا اليوم ويحفظ حرمته، واسم هذا اليوم في السماء يوم العهد المعهود، واسمه في الأرض يوم الميثاق المأخوذ والجمع المشهود)[١٥]؛ لذا سمي عيد الله الأكبر كما مر في روايات المعصومين عليهم السلام ولهذا العيد مميزات عديدة تميز بها عن غيره من الأعياد الأخر، ومن أهم تلك المميزات:

١) ارتباط هذا العيد بقضية عقائدية وهي خلافة المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بينما يرتبط عيد الفطر والأضحى مع أهميتهما بقضايا فقهية كالصوم والحج والأهتمام بأصول الدين أولى من الأهتمام بفروعه.

٢) يستحب فيه الصوم بخلاف عيد الفطر والأضحى اللّذان لا يجوز فيهما الصيام، وفي صوم يوم الغدير فضل كبير فهو كفارة ستين سنة، وقد روي أن صيامه يعدل صيام الدهر ويعدل مائة حجة وعمره[١٦]، روي عن الصادق عليه السلام: (صيام يوم غدير خم يعدل صيام عمر الدنيا)[١٧].

٣) شرفية هذا اليوم كما أنها جاءت من اقترانه بنعمة الولايه إلا أن في هذا اليوم حوادث عظيمة حدثت عبر العصور منها: أنه اليوم الذي جعل الله فيه نار إبراهيم بردًا وسلامًا، وهو اليوم الذي انتصر فيه موسى على السحرة ونصَّب فيه يوشع بن نون وصيًا لموسى عليه السلام وشمعون الصفا وصيًا لعيسى وأستخلف سليمان آصف بن برخيا على قومه، وهو اليوم الذي آخى فيه الرسول صلى الله عليه وآله بين أصحابه[١٨].

أهمية الاحتفال بعيد الغدير

١) له أهمية خاصة لأنه حقيقة نبوية ربانية، ففي إحيائه ضمان لاستمرار خط النبوة وعدم ضياع تلك الجهود التي بذلها النبي صلى الله عليه وآله طيلة ثلاث وعشرين سنة في إبلاغ الرسالة الإلهية.

٢) يعتبر عيد الغدير أبرز معالم الوحدة بين المسلمين ولمّ شملهم، فإن القرآن أشار في طياته إلَى ما يحقق الوحدة هو الاعتصام بحبل الله قال تعالى: (**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ**) (آل عمران: ١٠٣)

وقد ذكر بعض المفسرين أن أحد مصاديق حبل الله هو ولاية الإمام علي عليه السلام والأئمة من بعده وقد أشار القرآن الكريم بقوله: (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**) (المائدة:٣) إلى النعمة التي ذُكرت في الآية المتقدمة (**فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**)، وإلى هذا الأمر أشارت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام بقولها: (فجعل إمامتنا نظامًا للملّة وطاعتنا أمانًا من الفرقة)[١٩].

فلو اجتمع الناس على ولاية علي عليه السلام لما حصل تفرق ولما حصل تخبط وصراع وفتن وإزهاق للأرواح وخراب للبلاد وانهيار للحضارة، فكل ذلك بسبب الابتعاد

عن أهل البيت عليهم السلام وعدم التمسك بحبل اللّه المتين وصراطه المستقيم.

إنه إلفات لنظر الأمة إلى القيادة الحقيقية التي أمر اللّه سبحانه باتباعها في مناسبات كثيرة وكان الإعلان عن التتويج في عيد الغدير فالاحتفال بعيد الغدير طريق من طرق تركيز مبدأ الإمامة في ضمير الأمة.

٣) بيان أهمية عيد الغدير كونه عيد اللّه الأكبر بعدما حاول أعداء أهل البيت عليهم السلام طمس هذا العيد وجعله هامشيًا وخاصًا بالشيعة فقط، وجعلوا قبالته عيد الغار الذي يحتفل به البعض في ذكرى دخول الرسول صلى الله عليه وآله في الغار مع أبي بكر[٢٠].

ليوهموا للعوام أنه مثلما صار عيد الغار خاصًا بمجموعة من المسلمين فإن عيد الغدير صار خاصًا بالشيعة، بل إن تحريف الحقائق لم يستثنِ حتى هذه الحادثة التي تواترت بين المسلمين، فنجد أن بعض الكتّاب المعاصرين جانبوا الحقيقة في تعريف عيد الغدير بغير حادثته المشهورة فعرفه بعضهم بأنه المؤاخاة بين الرسول صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام فخلطوا على القارئ بين المؤاخاة والتنصيب حتى لا يعرف السبب الحقيقي لعيد الغدير. فخلط بين الحادثتين عمدًا ليوهم على القارئ بأن المؤاخاة حصلت أيضًا في ١٨ ذي الحجة ولكن بين الحادثتين أكثر من ١٠ سنوات.

٤) تميز عيد الغدير باهتمام خاص عند أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد ذكرنا أقوال أهل البيت عليهم السلام في بيان فضله والاهتمام به وحتى في زمن الإمام علي عليه السلام كان هناك اهتمام بهذا العيد لتخليد الذكرى، فقد صعد الإمام علي عليه السلام على المنبر أيام خلافته وطلب من الصحابة أن يؤدوا شهادتهم في بيعة الغدير وليعرف ذلك المسلمون الذين لم يحضروها، فلاهتمام الأئمة عليهم السلام بهذا العيد يهتم به المؤمنون أقتداءً بأئمتهم■

---

١) ينظر أسباب النزول للواحدي: ١٢٦.
٢) مسند أحمد: ١/ ١١٨.
٣) تاريخ دمشق: ٤٢/ ٢٣٤.
٤) الغدير، الأميني: ١/ ٢١٧.
٥) الأعياد وأثرها على المسلمين: سليمان بن سالم السحيمي:٣٩٩.
٦) الأمالي، الصدوق: ١٨٨.
٧) الكافي، الكليني: ٤/ ١٤٩.
٨) وسائل الشيعة: ١٤/ ٣٨٩.
٩) المصدر السابق: ٣٨٨.
١٠) الغدير، الأميني: ١/ ٢٦٨.
١١) المصدر السابق:٧ ٢٦.
١٢) عيد الغدير في الإسلام، الأميني: ١٧.
١٣) وفيات الأعيان، ابن خلكان: ١/ ١٨٠
١٤) المصدر السابق: ٢٣٠/٥.
١٥) مفاتيح الجنان، عباس القمي: ٤٣٠.
١٦) المصدر السابق: ٤٣١.
١٧) وسائل الشيعة: ٣٣٨/٣.
١٨) ينظر مفاتيح الجنان ٤٣٧.
١٩) الاحتجاج، الطبرسي:١٣٤/١.
٢٠) أعياد الكفار: ٥٣.

في فضل يوم الغدير

* روى المفضل بن عمر عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: صوم يوم غدير خم كفارة ستين سنة .

* روى زياد بن محمد قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: للمسلمين عيد غير يوم الجمعة والفطر والأضحى؟ قال عليه السلام: نعم، اليوم الذي نصب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام، فقلت: وأي يوم هو يا ابن رسول الله؟ فقال عليه السلام: وما تصنع بذلك اليوم والأيام تدور ولكنه لثمانية عشر من ذي الحجة، ينبغي لكم أن تتقربوا إلى الله تعالى بالبر والصوم والصلاة وصلة الرحم وصلة الإخوان فإن الأنبياء عليهم السلام كانوا إذا أقاموا أوصياءهم فعلوا ذلك وأمروا به .

* عن أبي هارون عمار بن حريز العبدي قال: دخلت على أبي عبد الله ـ الصادق عليه السلام ـ في يوم الثامن عشر من ذي الحجة فوجدته صائمًا، فقال لي: هذا يوم عظيم عظم الله حرمته على المؤمنين وأكمل لهم فيه الدين وتم عليهم النعمة وجدد لهم ما أخذ عليهم من العهد والميثاق . فقيل له: ما ثواب صوم هذا اليوم قال: إنه يوم عيد وفرح وسرور ويوم صوم شكرا لله تعالى، وإن صومه يعدل ستين شهرا من أشهر الحرم ومن صلى فيه ركعتين أي وقت شاء، وأفضله قرب الزوال وهي الساعة التي أقيم فيها أمير المؤمنين بغدير خم علما للناس، وذلك أنهم كانوا قربوا من المنزل في ذلك الوقت، فمن صلى في ذلك الوقت ركعتين، ثم يسجد ويقول: شكرا لله مائة مرة، ودعا بعقب الصلاة بالدعاء الذي جاء به .
(مصباح المتهجد/ الشيخ الطوسي/ ص٧٣٧)

ملف العدد

غديرُ خُمٍّ: جُوديُّ النَّجاة

أ.م.د. علي مجيد البديري
كلية الآداب /جامعة البصرة

ينابيع

ارتبط (غدير خم) ارتباطًا وثيقًا في ذاكرة الثقافة الإسلامية بالحدث الهام الذي جرى فيه، حتى أنه اكتسب هويته الجديدة من هذا الحدث، ولم يعد يذكر بوصفه مكانًا يقف عنده الحجيج طلبًا للراحة من تعب الطريق، وكانت استجابة الشعر لذلك كبيرة، إذ مثلت الحادثة مهيمنًا موضوعيًا في كثير من نَماذج الشعر العربي منذ عصر صدر الإسلام وحتى الآن، وسعت بعض القصائد إلى تسجيل الحدث وتوثيقه، بينما حاولت أخرى إلى استنطاق دلالاته، وتأمل أبعاده الثقافية المختلفة، وتمثلها وتوظيفها بطريقة فنية مبتعدةً، قدر إمكانها، عن مجرد التسجيل وآليته.

في السطور الآتية سنقرأ نصًا شعريًا حديثًا، ونحاول الوقوف بشكل سريع عند بعض جماليات استدعاء حادثة الغدير وتوظيفها بطريقة أفاد الشاعر فيها من مرجعيات أخرى كان أبرزها القرآن الكريم.

قصيدة: غدير علي عليه السلام

كتب المرحوم الشيخ أحمد الوائلي قصيدته (غدير علي عليه السلام)[1] وهو مغترب عن وطنه، وقد قدَّم للنص في ديوانه بعبارة تشير إلى ذلك: (نظمت في لندن وألقيت باحتفال للغدير، في حسينية المرتضى عام ١٩٨٧م)، وتهيئنا هذه العتبة لقراءة نص نتوقع فيه ما عرفناه عن لوعة الشاعر وغُربته على صعيد تجربته الحياتية، فضلًا عن نضج النص فنيًا، فهو مكتوب في أواخر الثمانينيات من القرن الماضي، أي في ذروة عطاء الشاعر، ولن يتقاطع هذا المعطى الدلالي للعتبة النصية مع ما نقرؤه من أبيات القصيدة، ولعل ما يعضد هذا التوقع ويشجع القارئ عليه أبيات المطلع

التي يقول فيها:

ما عاف وحيُك محرابي ولا عودي
ذكرًا بفرضي وشدوًا في أغاريدي
سجيةٌ في علي أن موقعه
من الشعور حضورٌ غير مفقودِ
يممتهُ أجتليه فانتهيت إلى
طلع من النجم في معناه منضودِ
يا من إذا شذَّ ذهن عنه نبَّهه
ومضٌ فبدل من نفي لتأكيدِ
وصوَّت الفكر والإبداع يوقظه
وربَّ ذهن عن الابداع مسدودِ

يبدأ النص بتأكيد علاقة الملازمة ما بين الشاعر والإمام(عليه السلام)، فوَحيُه ماثلٌ دومًا، جزءًا من الذكر والعبادة والحياة، حتى يغدو الانفصال ممتنعًا بل مستحيلًا، وإن بَلَغَ البعدُ مَبلغًا كبيرًا، فومضةٌ من نوره كفيلةٌ بأن تحوّل البعدَ إلى قرب، وتنفيَ التواصل إلى تأكيد الصلة. وهنا لا يخفى أنّ الشاعر يسعى إلى تصوير علاقة قائمة دائمة لا تغيّرها تبدلاتُ الأمكنة أو الأزمنةَ أو الأحوال، في معنىً روحي يرتفع بالأبيات من كونها مطلعًا لقصيدة احتفالية إلى استهلال يفتتح تجربةً، يتجلى فيها فهمُ الولاية وامتلاكُها، وليس مبعثُ هذا الفهم ذاتَ الشاعر بقدر ماهي سجيةٌ يختصُّ بها المحبوب (أمير المؤمنين(عليه السلام))، ويمنحها حضورُه القدسي للطالب والمريد. ولا يدعو هذا الأمر للاستغراب، فكل الحقائق تشير إلى ذلك وتدل عليه:

أطلَّ والكون والأيام مجدبةٌ
فبرعَمَ النبتُ حتى في الجلاميدِ
فكيف عاطشةُ الأذهان تُعرض عن
مصرَّد يرفدُ الأذهان بالودِ
ومبدعٍ مرَّ بالدنيا فأنَّقها
من سحره بكمال غير معهودِ

ولا يبقى أمام هذا الاستفهام الذي

يحمل معاني النفي والإنكار، سوى الإقرار بواقعية هذا الموقف وحتميته، أما ما لا يراه الآخرون فهو دليل على عمى البصيرة لديهم، وفساد الأذهان المفارقة لطبيعتها وفطرتها السليمة التي تقتضي رؤية ذلك والتيقن به.

تستمر أبيات القصيدة في تصوير هذا الحضور المؤثر، والمرور المُبهج للإمام عليه السلام بالدنيا، حيث ينحسر العطش أمام غدير علي عليه السلام:

طفا غديرك عذبَ الورد يومئ للـ
عطاش أن ينهلوا من خير مورود
لكنَّ مَنْ ألِفَ المُـــرَّ الذعاف نبـــا
به فـمٌ عن لذيـــذ الطعـم يبـــرودِ
وبالمـراض عـزوفٌ عـن لذائذ ما
يُجنى وربَّ عـــزوف غير مقصودِ
لكنـه الـدرب قاد السالكين إلـى
غاياته بين محظوظ ومجدودِ
والحمد لله الذي هدانا إليك على
وعـي ومنحة توفيق وتسديدِ

هكذا تنقسم الأفواه أمام عذوبة غدير الولاية، بين فم سالك محظوظ ناهل منه، وفم مريض اعتاد أن يشرب المرَّ القاتل ويستسيغه، في صورة يُسلب فيها الإنسان التوفيق والسداد، وغير خاف التناص الأدبي في البيت الأخير من المقطع مع الآية القرآنية: (**وَقالُوا الحَمْدُ لله الذي هَدَانا لهذا وَمَا كُنَّا لنهتَدِيَ لَولا أنْ هَدانا الله**) (الأعراف: ٤٣).

جمالية التناص المغاير في القصيدة

يأخذ الغديرُ بعدًا جماليًا متعاليًا في تجربة القصيدة عبر أسلوب تصويري رائع يعتمده الشاعر، يصل ذروته في نهاية القصيدة، حين يستعين بتقنية التناص مع القرآن ثانية، ولكنه يعتمد في تحقيق ذلك نمطًا مختلفًا عن السابق يمكن أن ندعوه بـ(التناص المغاير) وهو نمطٌ يقوم، بدرجة كبيرة، على عملية امتصاص النص الأصلي من قِبَل النص المُستقبِل، وإخفاء ملامحه أو تغييرها بشكل يكون فيه حضورُ الشاعر ورؤيتُه كبيرًا، ولذا فهو يغاير النص الأصلي وينتجُه من جديد.

تبرز في هذا التناص عمليةُ تحويل النصوص المستدعاة على مستوى الدلالة أو التعبير، عبر طرائق عديدة للتغيير أو التطوير في الألفاظ أو الصور أو في بعض المظاهر الأسلوبية استجابةً لمقتضيات فنية أو شعورية توجه الشاعر نحو ذلك، حيث تجري في بعض الحالات عملية تخليص النص الأصلي من هيمنة سياقه، ليصبح ـ على نحو ما ـ جزءًا من سياقه الجديد وبنيته الحاضرة[٢].

وعلى هذا يمكننا القول إنَّ التناص المغاير لا يقف عند حدود النصوص المستدعاة، بل يعمد إلى إذابتها وتحويلها إلى نظام دلالي جديد، يعتمد في توظيفه للنصوصِ على نوع من التمثّل الرمزيّ أو الخفيّ لبعض مظاهره ومفردات بنائه. ويكون الأمر قائمًا على تثوير المعاني القرآنية الأصلية ومحاولة توليد أبعاد دلالية جديدة فيها. على أن هذه النصوص المستدعاة تبقى وفية، بشكل أو بآخر، للمعنى القرآني الأصلي، أو لجانبٍ منه، وحاملةً لأصدائه[٣].

ويتجلى هذا التناص، كما قلنا، في نهاية هذه القصيدة في قول الشاعر:

سفينتي لعبة الأمواج فاحدُ بها
أن تستوي بنهايات على الجودي

فأنت لي أينما شطَّ المدى وطن
أعيشه رغـــم إبعاد وتشريـد
هذا رقيمك خطته هموم فتى
عن كهفك الشامخ القدسي مصدود
إني بسـطت ذراعي حاملاً أملاً
أن أنتهي لوصيد غـير موصود

تكثف هذه الأبيات دلالةَ ألفاظها من خلال إحالاتها غير المباشرة على نص قرآني، حيث يتناص البيت الأول مع قصة النبي نوح عليه السلام، وتحديدًا مع نهاياتها التي يوجزها ـ ببلاغة وجمالية فائقتين ـ قوله تعالى: (**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَ يَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**) (هود:٤٤)، وإذا ما علمنا أنَ عنوانَ القصيدة التي تضمنت هذه الأبيات هو(غدير علي عليه السلام)، وأنّ المخاطب في الأبيات هو الإمام علي عليه السلام أدركنا عمق دلالة الاستحضار وجماليته.

اختار النص الشعري أن يحقق تناصه عبر متوالية استعارية ذات شعرية عالية، فمحنة الغربة والاغتراب اللتين يعيشهما الشاعر في لجج هجرته الطويلة عن بلده، جعلته يرجو ـ بحرقة وشوق ـ أمير المؤمنين عليه السلام أن يقود محنته إلى نهاية يرسو فيها مستويًا على (جودي) الوطن/الغدير، عند أعتاب الضريح المبارك للإمام عليه السلام. وعلى الرغم من استخدام الشاعر لألفاظ القصة القرآنية نفسها (سفينتي، الأمواج، تستوي على الجودي) إلا أنه منحها بعدًا دلاليًا جديدًا يتصل بالمخاطب وخصوصيته، وبالمكان والمناسبة وعمق حضورهما في الوعي الشيعي، وهو ما يمكن عدّه تحويلاً في اللفظ القرآني.

لقد مثلت السفينة في النص القرآني وسيلة النجاة من الطوفان، وقد صنعت بتسديد ورعاية من الله تبارك وتعالى، وهي قناة عبور نحو حياة بديلة جديدة، وكان ركوبها من قبل نوح عليه السلام ومن معه من المؤمنين، وزوجين من كل جنس من أجناس الحيوان بأمر الله، وكذلك الأمر مع استوائها على جبل الجودي. أما سفينة الشاعر فتتقاذفها أهوالٌ عدة منها الاغتراب عن الوطن، وأهمها ما يراه الشاعر من ابتعاد الناس الموهومين المخالفين عن معين الغدير العلوي، ولذا يعمد في البيتين التاليين إلى استدعاء قصة أهل الكهف عبر تناص مع قوله تعالى: (**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا**) (سورة الكهف: ٩-١١)، وقوله تعالى من السورة نفسها: (**وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا**) (الآية: ١٨) فرقيم أهل الكهف الذين أنامهم الله مئات من السنين ثم أيقظهم من غير أن تبلى جسومهم أو تتلف، آيةٌ لتنبيه الغافلين عن حقيقة المعاد وإيقافهم أمام مظهر من مظاهر قدرة الله تبارك وتعالى. يفيد الشاعر من هذا المعنى مستعيرًا الرقيم جاعلاً إياه لوحًا لمناقب الإمام عليه السلام ودليلاً على قدسيته وعلو شأنه، ليبسط يديه أمام بابه الكريم أملاً بلطف انفراج الباب وعدم انغلاقه بوجهه.

لقد عمد الشاعر إلى تحويل دلالة صورة الكلب الباسط ذراعيه بباب الكهف لحراسة أصحابه في الآية القرآنية، وتوظيفها على نحو مغاير يبرز حالة التوسل والرغبة في

تحقق القرب الروحي، وانتهاء معاناة الغربة وآلامها في مستوياتها المادية والمعنوية. وهكذا تم تفتيت صورة الكلب النائم بباب الكهف، وإعادة تشكيله بطريقة مختلفة تجلت في فضاء لا يستطيع المتلقي فيه إلا أن يقابل في إطار واحد ما بين الكهف والغدير عبر شبكة من الدلالات والإيحاءات التي تمتد إلى ما وراء الحدث في التاريخ (حدث تنصيب الإمام، ظهور أصحاب الكهف) وما تلته من تداعيات كبيرة وكثيرة.

في مقابل هذا النمط من التناص مع القرآن الكريم يأتي التناص المطابق، وهو نوع يكتسب ملامحه من خلال طريقة اقترابه من النص القرآني وتعامله معه، ويتجلى ذلك في مستويي التعبير والدلالة، حيث تتمثل غاية التناص المطابق ومقاصده في حرص النص الشعري على تحقيق المطابقة بين ألفاظه أو تراكيبه وبين أسلوب النص القرآني، أو تتمثل في سعيه إلى التطابق ما بين دلالته ودلالة هذا النص، وذلك من أجل إثراء معانيه وتقوية ألفاظه و أساليبه[٤]. ويكون هذا التناص ظاهرًا في الغالب، صريحًا يمكن معرفته بيسر وسهولة، بشكل مباشرة أو من خلال قرينة له.

وعلى الرغم من هذا التطابق يحقق استحضار النص القرآني ـ هنا ـ عمقًا في الدلالة، وتفاعلًا جماليًا بين النص المستقبل والآخر الأصل، ومن ثم لا يمكن عد هذا الشكل من أشكال التناص استجلابًا عقيمًا للنص القرآني، أو توظيفًا سطحيًا له في النص الشعري. ومن نماذجه في قصيدة (غدير علي عليه السلام) قوله:

وكون وضعك ضمن البيت منقبة
وقد حبتك السما فيها بتأييد
لكن ذلك أحرى أن يكون به
للبيت فخر وعقد منه بالجيد
فأنت نفس رسول الله وهو بلا
مراء أثمن مخلوق وموجود

وهنا تناص مباشر يتطابق مع مضمون آية المباهلة من سورة آل عمران : (**فَمَنْ حَآجَّكَ فيه من بَعْد مَا جَآءَكَ منَ الْعلْم فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنسَآءَنَا وَنسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَاذبينَ**) (آل عمران: ٦١).

لقد حافظ الشاعر ـ في تناصه هنا ـ على المعنى القرآني الأصلي، دون أنْ يغيّب شيئًا من دلالته أو يحوّلها، ونرى في وحدة الإطار النفسي والحالة الشعورية التي يعيشها الشاعر أثناء كتابته القصيدة سببًا في استحضار الأجواء القرآنية، وهو يشعر بحنين جارف لغدير علي عليه السلام وبيته■

---

١) ديوان الوائلي: شعر الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، شرح و تدقيق: سمير شيخ الأرض: ٦٣.

٢) ينظر: أشكال التناص الشعري، دراسة في توظيف الشخصيات التراثية: أحمد مجاهد: ٣٩٠.
وينظر كذلك: قراءات أسلوبية في شعرنا الحديث: د. محمد عبد المطلب: ١٦٣.

٣) ينظر: أسلوبية التحول، دراسة لتجلي البنى القرآنية في الخطاب العربي المعاصر: إحسان التميمي.

٤) ينظر: القول الشعري – منظورات معاصرة، د. رجاء عيد: ٢٣٢.

تَمَّ

إضاءات السيرة

الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام والرسالة الخاتمة

د: أحمد جاسم الخيّال

ينابيع

بعث الله سبحانه سيد رسله وخاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وآله برسالته الخاتمة في شبه الجزيرة العربية، في مجتمع جاهلي قبلي، وكانت تحمل أهدافًا سامية وثقافة إلهية أكبر من كل الثقافات الدينية التي عرفها العالم يومئذٍ، فهي جاءت مكملة لرسالات الأنبياء السابقة ومصححة لما أصابها من انحراف.

أراد النبي صلى الله عليه وآله وبوحي من الله عزوجل أن يقيم المثال الإلهي في شبه جزيرة العرب، ومن ثم ينطلق منها إلى العالم كله، فالإسلام لم يكن مختصًا بقوم دون آخرين، إنما نزل نوره ليضيء العالم أجمع، ويخرج الناس من الظلام إلى النور ومن الجهل إلى العلم ومعرفة الحقيقة والإيمان بها. فالإيمان بالله عزوجل إيمانًا صادقًا يتكفل بإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ويساعد في دفع الإنسانية نحو وجودها الحقيقي، ومن ثم تحقيق حلم الإنسانية بالوصول إلى مستوى من التكامل يسمح بإقامة الأطروحة الالهية دون أن تقدر الطغاة على تشويه تجربتهم قال تعالى: (**اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ**) (البقرة:٢٥٧).

وكان متوقعًا من طغاة قريش أن يرفعوا شعار الرفض لدعوة النبي صلى الله عليه وآله التي زلزلت عروشهم وسفهت أحلامهم وهدت قوانينهم وعقائدهم الزائفة، وأن يعملوا بما أوتوا من قوة من أجل إجهاض هذه الدعوة الكريمة، مستعملين مختلف الأساليب البشعة، وأقسى ما عرفته الإنسانية من صور القمع لوأد الرسالة في مهدها، فقد صعب عليهم أن تسلب امتيازاتهم باستغلال الضعفاء والمعوزين، وتصرع أصنامهم ويتلاشى نظام حياتهم الزائف. لذلك وقفوا في وجه الرسول صلى الله عليه وآله فيحدثنا التاريخ أنه (مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب. فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل إباءنا. فإما أن تكفّه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه...)[1].

هذه الرواية تؤشر لنا بداية الصراع بين النبي محمد صلى الله عليه وآله ومن آمن به وبين قمم الشرك زعماء قريش الذي أذهلهم هذا المساس بسلطتهم، بين عقيدة التوحيد وعبادة الله الواحد الأحد وبين عقيدة الشرك وعبادة الأصنام، فكان هذا الصراع طبيعياً ولابد منه بين النقيضين الإسلام

والشرك، وكان لابد في النهاية من أن ينتصر الحق وتعلو رايته، ويطمس الباطل ويمحى أثره.

ولقد صور القرآن الكريم حيثيات هذا الصراع، وما ألحقه المشركون بالرسول الكريم ﷺ والمؤمنين به من أذى، ولم يكتف المشركون بالأذى المادي من تعذيب للمؤمنين وضرب بالسياط والحبس ومنع الطعام، إنما تجاوزوه إلى الأذى المعنوي، ومحاولة الحط من مكانة الرسول ﷺ والسخرية منه والاستهزاء بمقامه الشريف، فخاطبه الله عزوجل مواسيًا وناصرًا في قوله تعالى: (**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**) (الحجر:٩٥).

وقد اتهموا الرسول ﷺ بعدد من التهم، فمرة قالوا شاعر ومرة مجنون وأخرى ساحر.. وغيرها، وكما يحدثنا القرآن الكريم: (**وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ**) (الصافات: ٣٦)، (**وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ**) (ص: ٤).

واشتد الصراع في مستقبل الرسالة لاسيما بعد هجرة الرسول الكريم ﷺ ومن آمن معه إلى المدينة المنورة، ووقعت المعركة الأولى - معركة بدر - بين المعسكرين، معسكر الرسول ﷺ، الذي يدعو إلى توحيد الله عزوجل ونبذ الشرك في كل أشكاله وإقامة دولة العدل المرتبطة بالسماء وبين معسكر المشركين الذي يصرون على الجاهلية والشرك وعبادة الأصنام، وتعددت الحروب بين المعسكرين، وكان نتيجتها أن فتح الرسول ﷺ مكة المكرمة، ودخلها منتصراً رافعاً راية لا إله إلا الله، ودخل الناس في الإسلام أفواجاً أفواجاً.

وبما أن الرسول الكريم رسول

الإنسانية جمعاء، وبما أن الإسلام يجب أن يكون دين الناس جميعاً، (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**) (سبأ: ٢٨)، لذا توجب على الرسول ﷺ نشر الإسلام في باقي أرجاء الجزيرة العربية، ومن ثم الانطلاق إلى كل أرجاء العالم. وتبع ذلك صراع جديد وحروب جديدة مع يهود الجزيرة العربية وبعض القبائل العربية التي لا زالت مصرة على الكفر، وانتهت هذه المعارك بانتصار المسلمين.

لقد جاهد الرسول ﷺ طيلة مدة حياته لإقامة الحكم الإلهي على وجه الأرض، وتوفي روحي له الفداء، وهو في خضم هذا الصراع، وبنى دولة إسلامية قوية، وقد كان مقدرًا لهذه الدولة الكريمة أن تسود بعد وفاة النبي ﷺ، وأن تكون تطبيقًا واقعيًا للمثال الإلهي بقيادة ولي الله ووصي رسوله ﷺ إلّا أن المنافقين وبعد وفاته ﷺ مباشرة بادروا إلى حركة انقلابية على ما أمر به الرسول الكريم ﷺ، وكما تنبأ القرآن الكريم بذلك من قبل: (**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**) (آل عمران: ١٤٤)، حركة انقلابية ضد الخلافة الشرعية التي أرادها الله للإمام علي عليه السلام (**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**) (المائدة: ٥٥) وأخذ منهم النبي ﷺ البيعة له عليه السلام في غدير خم بقوله: (يا أيها الناس، إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا مولاه ـ يعني علياً ـ اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه)[٢]. ثم نصب ﷺ خيمة لمبايعة أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة، ودخل الصحابة وبايعوا علياً خليفة لرسول الله ﷺ من بعده. وعلى رأسهم الشيخان كل يقول: (بخ بخ لك يا علي، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة)[٣]، وأنزل الله سبحانه في ساعتها: (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**) (المائدة: ٣) كل ذلك جرى قبل وفاته ﷺ بسبعين يومًا فقط. إلّا أن أهل النفاق وأصحاب النفوس الجاهلية المريضة أبوا ذلك وأوقفوا هذه المسيرة بالانقلاب على مبادئ الإسلام فأخرجوا الأمر عن أهله، وبذا فقد المثال الإلهي زمناً بعد زمن فاعليته بسيطرة أمراء الجور وأهل الفسق والكفر، فخسرت الإنسانية فرصة حقيقية للتكامل، وليس لنا إلّا أن نقول حسبنا الله ونعم الوكيل.

دور الأئمة عليهم السلام في حمل الرسالة وتبليغها:

بعد وفاة النبي ﷺ، وبعد الانقلاب على الشرعية، ما كان من الإمام علي عليه السلام خليفة رسول الله ﷺ وأول الأئمة إلا أن يصبر حفاظًا على الإسلام وخوفًا من اختلاف المسلمين وفرقتهم، وقد عبر عن ذلك في إحدى خطبه أحسن تعبير وهو يصف المرحلة التي أعقبت وفاة الرسول ﷺ بقوله: (وطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّه، فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرْتُ وفِي الْعَيْنِ قَذًى وفِي الْحَلْقِ شَجًا)[٤].

لقد كانت فرصة تحقيق المثال الإلهي كبيرة جدًا لو أن المسلمين التزموا بوصايا رسول الله ﷺ، وما كان ليصيبهم التفرق

والتشرذم والتيه والضلال والانحراف، فقد أمرهم بالتمسك بكتاب الله، والعمل بما فيه، والتمسك بالعترة الطاهرة وعلى رأسها سيدها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض)[٥]. بعد هذه المحنة العظيمة التي أصابت الأمة الإسلامية، اقتصر دور الإمام علي عليه السلام على المعونة والمشورة طيلة المدة التي سبقت خلافته، وكان هدفه الحفاظ على الإسلام من الأخطاء التي مصدرها الأهواء والرغبات والجهل بحقيقة الإسلام.

وبعد أن طوت الخلافة أرداءها عمّن سبق الإمام علي عليه السلام سنحت فرصة تاريخية أخرى لإنقاذ البشرية وإقامة المثال الإلهي. لقد بويع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خليفة للمسلمين، وابتهجت الأرض بعدله، وطفق المؤمنون يرتلون آيات الشكر لله عزوجل، إلّا أن يد الظالم لم تقطع، وأذناب الكفر لم توتر، فتحركت من جديد لتقف في طريق الحق والنور.

يا لسوء حظ البشرية، أو كلما أُشعل سراج الكمال ثارت الزوابع التي لا تهدأ حتى تطفئه. أو كلّما أشرقت شمس الحق عارضتها مزن الضلال.

وكانت هذه المرة من الطليق ابن الطليق معاوية بن أبي سفيان، فأثار الفتن على دولة الحق، لأجل أن تؤول الخلافة له. ودخل أمير المؤمنين في صراع مرير من الناكثين في حرب الجمل، ومع القاسطين في حرب صفين، ومع المارقين في حرب النهروان.

وكأن الأمر لم يحن بعد، وكأن الناس في تلك الحقبة لم تكن نفوسهم مستعدة لتقبل المثال الإلهي، فنجح معاوية في نهاية المطاف في عرقلة جهود أمير المؤمنين عليه السلام الرامية لإنشاء دولة الكمال الإلهي، وحصل على ما تمناه بعد أن استغل النفوس الضعيفة ومنّاها بالأموال والمناصب.

إن غدر الأمويين بعلي عليه السلام - تحت زعامة معاوية - قد أصاب روح الإسلام، فقد انفسح باغتيال الإمام المجال واسعًا أمام قوى الشر التي حبسها علي عليه السلام في نطاق ضيق[٦].

وباستشهاد الإمام عليه السلام، اختفى فيء الشجر الحنون، التي أراد من ثمرها أن يكون في متناول أهل الأرض جميعًا، وجفت سيقانها وذوى لونها.

وبعد استشهاد أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، كان دور الأئمة من بعده الحفاظ على الإسلام ورعاية مصالح المسلمين، وبناء القاعدة الصالحة ومحاولة إقامة المثال الإلهي على أرض الواقع، بينهم وبين محبيهم وتابعيهم، والعمل على نشر العلم ليرفع مستوى النفوس حتى تكون مستعدة لتقبل الإسلام ومفهومه بشكله الواسع الذي يسمح بإقامة المثال الإلهي.

لذا كان الصراع حتميًا بين الأئمة عليهم السلام وبين الدول التي نشأت كمظهر من مظاهر الإسلام وهي بعيدة عنه، وأول الصراع كان مع دول بني أمية، ولم يهدأ في لحظة من لحظاته، وكان من نتائجه أن دُسّ السُمَّ للإمام الحسن عليه السلام، وقتل الإمام الحسين عليه السلام وأهله وأصحابه في أرض كربلاء بأبشع صورة، بعد أن أبى الإمام عليه السلام الرضوخ والاستسلام لحكم الطليق ابن الطليق يزيد عليه لعائن الله.

فكانت النهضة الممزوجة بدم سيد

الشهداء هي التي أضاءت ظلمة النفوس وهي التي أوقدت الأمل وأشعلت سراج الرجاء في ليل الأرض الطويل، ولا يزال هذا السراج المتقد ينير الطريق لملايين المسلمين، ويرسم لهم نهجهم الصحيح.

ولم يدخر الأئمة عليهم السلام من بعد الإمام الحسين عليه السلام جهدًا، فقد عملوا سرًا وعلنًا ليلًا ونهارًا من أجل تصحيح الانحراف الذي أصاب الأمة الإسلامية وإرجاعها إلى رشدها وقد عانوا في سبيل ذلك ما عانوا، لأن أهل الكفر والنفاق كانت لهم السلطة والنفوذ وكانوا مستعدين لفعل أي شيء للحفاظ على دولتهم المتسمية بالإسلام. وهذا ما حدث فعلًا، فقد سم الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وابنه إبراهيم بن الوليد سم الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام.

كان عصر الدولة الأموية مثالاً حقيقياً للصراع بين الحق والباطل، بين من يريد أن يقيم حكم الله في الأرض وبين كفار فسقة لا يهمهم إلا ملكهم، أخرجوا الناس من دينهم، ووضعوا الأحاديث الكاذبة ونسبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وجعلوا سب إمام المؤمنين عليه السلام على المنابر سُنّة، وسلكوا إلى ذلك كل طريق، وبذا أصبح تحقيق المثال الإلهي صعبًا في عهدهم.

وبعد سقوط الدولة الأموية نشأت الدولة العباسية مستغلة شعار نصرة أهل البيت عليهم السلام، وهي أبعد ما تكون عن مُثل الإسلام العليا فما أن استقر بها المقام بدأت تناجز أهل الإسلام، وتظهر العداوة لهم، وكان نهج أهل البيت عليهم السلام واحدًا، ودعوتهم واحدة، لذا لابد أن ينشأ الصراع بين الخلافة العباسية وبين أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وكان من نتائج هذا الصراع أن قام المنصور الدوانيقي بدس السم للإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، ومثله فعل ابنه هارون حينما دس السم للإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، وقام المأمون باغتيال الإمام علي بن موسى عليه السلام مستعملًا الأسلوب نفسه ودس له السم بالعنب، وسار المعتصم على نهج آبائه بعد أن سم الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام، وسم المتوكل والمعتضد كلاً من الإمامين علي بن محمد الهادي عليه السلام والإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام.

هذه كانت نتائج الصراع بين من يريد أن يقيم حكم الله في الأرض مثالًا ليسود العدل والإنصاف بين الناس جميعًا، وبين الكيانات الوضعية التي تريد أن تسوس الناس بما تشتهي وبما تشاء.

لقد مرت الأمة الإسلامية في عهد الأئمة عليهم السلام بمحن كثيرة نتيجة لتسلط أهل الجور، وقد عملوا عليهم السلام في مختلف الظروف وأقساها من أجل هداية البشرية وإنقاذها من الزيغ والضلال، ولكن الظلم الذي وقع عليهم وإعراض أكثر الناس عنهم فوت الفرصة على البشرية وقلل من احتمالية تحقيق الحكم الإلهي في زمنهم.

وبعد استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام اتجه طموح المؤمنين إلى ابنه الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف، وهو الإمام الثاني عشر الذي أخبرنا الرسول صلى الله عليه وآله بأنه سوف يخلص العالم من البؤس والشقاء، وأنه سوف يقيم دولة الحق دولة العدل الإلهي. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (أبشركم بالمهدي يبعث على اختلاف من الناس وزلازل فيملأ الأرض

قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض يقسم المال صحاحا)[٧]، وبقي هذا الطموح متقدًا في نفوس المؤمنين على الرغم من الغيبة الصغرى، ومن ثم تبعتها الغيبة الكبرى، وفي هاتين الغيبتين بعد أن تنفد جميع التجارب البشرية، وتبوء بالفشل في إحداث الإصلاح على وجه الأرض، تشرئب أعناق الناس باتجاه المنقذ، في ذلك الحين يتحقق الوعد الإلهي الذي ما زال ينتظره المؤمنون، قال تعالى: (**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**) (القصص:٥)■

١) السير والمغازي: ١٤٧- ١٤٨، وسيرة ابن هشام: ١/ ٢٨٧.
٢) الصواعق المحرقة: لابن حجر الهيثمي:٢٥.
٣) رسائل الشريف المرتضى/ج٤ص١٣١.
٤) نهج البلاغة/تحقيق صبحي الصالح/ص٤٨.
٥) السنن الكبرى/النسائي/ج٥ص٤٥.
٦) ينظر الصراع بين الأمويين ومبادئ الإسلام: د. نوري جعفر.
٧) مجمع الفوائد/الهيثمي/ج٧ص٣١٣.

حكم ومواعظ

- الحسود دائم السقم وإن كان صحيح الجسم .
- الدنيا ظل الغمام وحلم المنام .
- المؤمن من طهر قلبه من الريبة .
- العاقل من صان لسانه من الغيبة .
- العاقل إذا علم عمل وإذا عمل أخلص وإذا أخلص اعتزل .
- اللئيم لا يتبع إلا شكله ولا يميل إلا إلى مثله .
- الحزم النظر في العواقب ومشاورة ذوي العقول .
- العالم والمتعلم شريكان في الأجر و لا خير فيما بين ذلك .
- العاقل من وضع الأشياء مواضعها والجاهل ضد ذلك .
- الشك يفسد اليقين ويبطل الدين .
- الحرص لا يزيد في الرزق ولكن يذل القدر .
- الجزع لا يدفع القدر ولكن يحبط الأجر .

(عيون الحكم والمواعظ – علي بن محمد الليثي الواسطي)

إضاءات السيرة

السلطة القضائية في الدولة عند أمير المؤمنين عليه السلام

الباحث: نصير علي موسى
كلية الشيخ الطوسي الجامعة

ينابيع

منذ أكثر من ١٤٠٠ عام، قامت الشريعة الخاتمة بوضع أُسس وقواعد الدولة العادلة والمتحضرة، وذلك على يد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ومن بعده تلميذه ووصيّه وأخيه وابن عمّه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقد لاحت معالم تلك الدولة التي بناها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وبدأت تتضح معالمها يومًا بعد آخر، فنحن حين نطالع السيرة النبوية تلوح أمام أعيننا وتتبلور معالم دولة فاضلة طالما سعى لها رسول الله صلى الله عليه وآله وخليفته الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، دولةٌ قائمة على احترام حقوق الإنسان، دولةٌ يأمن فيها الضعيف والقوي، ويتساوى فيها الغني والفقير، ويهنأ في ظلّها المسلم وغير المسلم.

وهكذا فقد أرسى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله قواعد وأُسس تلك الدولة من خلال كلماته وتوجيهاته وأفعاله، بحيث أصبحت تلك السيرة، أعمالًا وأقوالًا وأفعالًا، منهاجًا ينبغي أن يسير عليه المسلمون في إدارة شؤونهم السياسية والاقتصادية والعسكرية والمالية.

فكان صلى الله عليه وآله المؤسّس، ليأتي من بعده (المكمّل) لما بدأ به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فكان الإمام علي عليه السلام هو الذي أخذ على عاتقه بناء الدولة الإسلامية العادلة التي أرادها الله سبحانه لعباده، وإن أُزيح عليه السلام عن السلطة لدواعٍ شتّى، لكن الإمام عليه السلام لم يحتج في يومٍ من الأيام إلى سلطة أو حكم، بل كانت السلطة دائمًا في حاجة إليه عليه السلام، وكم من مرّة يقول قائلهم: (لولا علي لهلك عمر) وما تستبطن هذه الكلمة من أعلمية وأسبقية وأفضلية وأرجحية في شتى مناحي الحياة: الدينية والسياسية والاقتصادية والعسكرية وغيرها.

فلقد رأينا الإمام عليه السلام يشير عليهم في الجانب العسكري فيأخذون برأيه، وشاهدناه يشير عليهم في الجانب القضائي.. ويشير عليهم في الجانب الاقتصادي والاجتماعي و... فيأخذون برأيه.

إنّه رجل الدولة الأول بلا منازع، وهو بحق: قد زيّن الخلافة ولم تزيّنه أبدًا..

ومن العناصر الهامة لتقويم الدولة العادلة المتحضرة والتي نالت الاهتمام البالغ من لدن أمير المؤمنين عليه السلام قبل أكثر من ١٤٠٠ عام، هو إقامة وإصلاح السلطة القضائية في الدولة.

وسنعرض الخطوات التي قام بها

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لإصلاح هذه المؤسسة الهامة، لما لها من أثر في إرساء السلم الاجتماعي. وهو القائل: (وايْمُ اللّه لأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِه ولأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخزَامَتِه..)[1].

إنَ لمفردة العدالة ومفهومها موقعًا متميّزًا في حياة أمير المؤمنين عليه السلام وشخصيته، وبالرغم من اجتماع العديد من الخصال فيه، إلاّ أنّ من أبرزها ـ وهي التي لازمته على الدوام ـ هي العدالة التي تنطوي على مفاهيم متعددة، وتتشعّب إلى شعب شتّى، اجتمعت كلها في وجود أمير المؤمنين عليه السلام، فهو مظهر العدل الإلهي.

لقد اقتضى العدل ـ الذي هو من أصول الدين ـ أن يختار اللّه سبحانه شخصًا كأمير المؤمنين عليه السلام لإمامة الأمة وقيادتها؛ وهذا ما فعله الباري جلّت قدرته؛ فوجود أمير المؤمنين عليه السلام وشخصيته وتربيته وعظمته وبالتالي تنصيبه للخلافة كلّها كانت مظاهر للعدل الإلهي، ولقد تجسّدت العدالة بمعناها الإنساني بأكمل صورها في كيانه عليه السلام.

أهمية وخطورة منصب القضاء:

لا يخفى على أحد ما لهذه المؤسسة من أهمية بالغة تمسّ حياة الناس وتؤثّر أيّما تأثير على إشاعة العدل وإنصاف المظلوم، دونما تفريق بين الناس على أساس الدين أو العرق أو الجنس أو...، وهي فوارق ما أنزل اللّه بها من سلطان؛ إذ الأصل هي الإنسانية لا غير.

من هنا كانت العناية الإلهية بهذا المنصب عناية كبيرة وواضحة، ونلاحظ ذلك في عدة آيات شريفة تحدّثت عن أهمية وخطورة القضاء، منها:

(يا داوُدُ إنَّا جَعَلْناكَ خَليفَةً في الأَرْض فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاس بالْحَقِّ وَلا تَتَّبع الْهَوَى فَيُضلَّكَ عَنْ سَبيلِ اللهِ) (ص: ٢٦).

(وَأَقْسطُوا إنَّ اللهَ يُحبُّ الْمُقْسطينَ) (الحجرات: ٩).

(وَإذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بالْعَدْلِ) (النساء: ٥٨).

وفي السنّة الشريفة، ورد عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله قوله: (إنّ أهون الخلق على اللّه، من ولي أمر المسلمين فلم يعدل لهم) [٢].

وقال صلى الله عليه وآله: (جور ساعة في حكم، أشد وأعظم عند اللّه من معاصي تسعين سنة)[٣].

وقال صلى الله عليه وآله: (اتقوا الظلم، فإنه ظلمات يوم القيامة)[٤].

وقال صلى الله عليه وآله: (من خاف القصاص، كف عن ظلم الناس)[٥].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: لشريح القاضي: (يا شريح قد جلست مجلسًا ما جلسه إلاّ نبيّ أو وصيّ نبيّ أو شقيّ)[٦].

ممّا تقدّم نلحظ ـ وبكل وضوح ـ العناية الإلهية واهتمام النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين بهذه المؤسسة والحرص على أنّ من يتولّاها يجب أن يتحلّى بعدّة مؤهلات وشروط، وهذا ما سنتعرض له.

صفات ومؤهلات القاضي:

لعظمة وأهمية منصب القضاء نذكر هنا رواية للإمام الصادق عليه السلام قال: (إيَّاكُمْ أَنْ يُحَاكِمَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا إلَى أَهْلِ الْجَوْرِ ولَكن انْظُرُوا إلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ يَعْلَمُ شَيْئًا مِنْ قَضَائِنَا فَاجْعَلُوه بَيْنَكُمْ فَإنِّي قَدْ جَعَلْتُه قَاضيًا فَتَحَاكَمُوا إلَيْه)[٧].

وهذه أهم الشروط والصفات التي يجب أن يتمتع بها القاضي، وهي:[٨]

١.البلوغ ٢.العقل ٣.الإيمان ٤.العدالة ٥.طهارة المولد ٦.العلم ٧.الذكورة ٨.الضبط.

وتضاف لها: الحرية والبصر والعلم بالكتابة، وإذن الإمام أو من نصبه.

ولا تتوافر هذه الشروط والمؤهلات في كلّ شخص، بل يصعب تحصيلها إلّا لمن عقد العزم على تحصيلها وأفرغ جهده للوصول إليها، وهي إن دلّت على شيء فإنّما تدل على خطورة هذا المنصب؛ ولأن الشارع الإسلامي قد سدّ الباب أمام كلّ من هبّ ودبّ للوصول إلى هذا المنصب؛ وذلك لأنّ فساد القاضي يعني فساد المجتمع وجرّ الويلات على أبناء الأُمّة.

وكم لاحظنا من قضاة فسقة لا يحكمون بما أنزل اللّه سبحانه، بل صاروا عبدة للمال والهوى، وقادهم طمعهم إلى الإساءة إلى هذا المنصب الخطير، ونلحظ في التاريخ الإسلامي أمثلة لهذا النوع الفاسد من القضاة، فبدلا من أن يقيموا شرع اللّه سبحانه في أرضه، أصبحوا أداةً للشيطان يتلاعب بهم كيف يشاء!!

وتعدّ الحالة النفسية للقاضي أمرًا في غاية الأهمية ولها تأثيراتها في قيادة الجلسة القضائية، فكلما كان القاضي يحظى بأجواء نفسية هادئة ومستقرة كان ذلك أفضل لتحقيق الهدف المنشود في إحقاق الحق وإبطال الباطل. ومن وصايا الإمام علي عليه السلام في هذا الجانب ما وجّه به شريح القاضي بقوله: (يا شريح لا تسارّ أحدًا في مجلس وإذا غضبت فقم ولا تقض وأنت غضبان)[٩].

وأوصاه أيضًا: (إيّاك أن تجلس في مجلس القضاء حتّى تطعم شيئًا...)[١٠].

فصل الجهاز القضائي عن الأجهزة الأُخرى:

قبل أكثر من ١٤٠٠عام نادى الإسلام بضرورة فصل القضاء عن غيره من السلطات. ولقد سعى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى إرساء هذا الركن الهام، حيث فصل الجهاز القضائي عن السلطة الحاكمة، وقام عليه السلام بتأمين الحصانة الكاملة للقاضي بحيث لا يتأثر بشيء ولا تؤثّر عليه أي جهة كانت.

وهذا ـ بالضرورة ـ يعطي للقضاء صفة النزاهة والموضوعية في الأحكام الصادرة من ذلك الجهاز، ويكون موضع اطمئنان لسائر الناس، حيث يؤمّن للمجتمع حقوقه المدنية كاملة.

قبل أن يُبايع الإمام علي عليه السلام بالخلافة، لم يكن القضاء مستقلًا عن السلطة، فنلاحظ القاضي يراعي في قضائه رغبة السلطة القائمة.

وحينما بويع عليه السلام، قام بفصل هذه المؤسسة وأعطاها كلّ الاستقلالية عن السلطة التنفيذية، كي يكسب القضاة حصانة ويؤمنهم من عقاب السلطة.

وهذا ما نلاحظه جليًا في عهده التاريخي لعامله على مصر مالك الأشتر رضي الله عنه حيث يقول عليه السلام:

(وأَعْطه ـ القاضي ـ مِنَ الْمَنْزِلَة لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فيه غَيْرُه مِنْ خَاصَّتكَ لِيَأْمَنَ بِذَلكَ اغْتيَالَ الرِّجَال لَه عِنْدَكَ فَانْظُرْ فِي ذَلكَ نَظَرًا بَليغًا)[11].

وبهذا يكون الإمام أول المؤسسين للدولة المدنية الحديثة التي تكون فيها الحريات مكفولة للجميع، وهم متساوون أمام القانون نظرًا لعدالة القضاء.

فالفكر البشري وبعد (١٤٠٠ سنة) وبعد كل هذا الكم الهائل من الخبرات المتراكمة، توصّل إلى ضرورة فصل السلطات، وهذا المبدأ كما ذكرنا آنفًا عمل به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في دولته المباركة أيام خلافته.

إذًا، الإمام علي عليه السلام دعا إلى حماية الإنسان من الجهاز التنفيذي والتشريعي من خلال ما قدّمه للإنسان من ضمانة قضائية يلجأ لها أفراد المجتمع إذا ما تعرّضوا لأي نوع من أنواع الظلم، سواءً ظلم الرعية بعضهم لبعض، أو ظلم السلطتين التنفيذية أو التشريعية، وهكذا يكون (التاريخ والحقيقة يشهدان أنه الضمير العملاق الشهيد أبو الشهداء وشخصية الشرق الخالدة، وماذا عليك يا دنيا لو حشدت قواك فأعطيت في كل زمن عليًّا بعقله وقلبه ولسانه وذي فقاره)[12].

وأبرز مصداق لفصل القضاء عن باقي السلطات، نرى الإمام عليًا عليه السلام وهو رئيس السلطة التنفيذية وقائد الدولة الإسلامية، نراه يقف أمام القضاء وبكل تواضع، بوصفه متهمًا من قبل بعض الرعية!!

وللقارئ الكريم أن يتصوّر كم أشاع ذلك الوقوف المبارك من أمن وأمان بين الرعية وهم يرون إمامهم وقائد دولتهم يقف موقف المتهم المدافع عن نفسه أمام المؤسسة القضائية!

فأمير المؤمنين عليه السلام قرن النظرية بالتطبيق، ووصل الأقوال بالأفعال، وهذا هو سبب خلوده وعظمته عليه السلام، وإلّا فما قيمة النظرية من دون تطبيق في الواقع؟!

والقرآن الكريم ينادي: (**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ**) (الصف:٢).

هذا مع العلم أنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله قد قال: (عليٌّ أقضاكم)[13]، ومع هذا وقف

الإمام عليه السلام كأي فرد من أفراد المجتمع.

من هنا اكتسب القضاء في زمن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قداسةً واحترامًا ومصداقية؛ لأنّ الناس وثقوا بهذه المؤسسة بعدما رأوا أنّ رئيس هذه الدولة يقف أمامها ويمتثل أوامرها ويقبل بما تصدره من أحكام.

صفات القاضي في عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى مالك الأشتر:

ذكر الإمام عليه السلام صفات القاضي وما ينبغي أن يكون عليه، وذلك في عهده العظيم إلى واليه على مصر مالك الأشتر النخعي رضي الله عنه، وقد ذكر الإمام أربع عشرة صفة من صفات القاضي، وأوصى واليه مالك الأشتر بالنظر البليغ في تلك الصفات، يقول عليه السلام:

(ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ وَلَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ وَلَا يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ وَلَا يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ وَآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّمًا بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الْأُمُورِ وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ مِمَّنْ لَا يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ وَأُولَئِكَ قَلِيلٌ ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ وَافْسَحْ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ وَأَعْطِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظَرًا بَلِيغًا فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى وَتُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا) [١٤].

في الفقرات السابقة ذكر الإمام عليه السلام أهمّ الصفات الواجب توافرها في القاضي، ووصفه عليه السلام بأنه (أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ) وممن (لَا يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ) وألا يكون صاحب طمع، وأن يقف عند الشبهات ويتحقق حتّى تنجلي له مشتبهات الأُمور، وأن لا يتبرّم ولا يضجر، بل يصبر حتّى تتكشف له الأمور، وحينما تتضح يكون شديدًا صارمًا في تنفيذ شرع الله سبحانه، وأن يكون ممن لا يفرح بإطراء الناس ومدحهم له، ولا تستميله الإغراءات.

ويوصي الإمام عليه السلام واليه مالك الأشتر بأن يتعاهد القاضي دائمًا وينظر في قضائه، كما يؤكد الإمام عليه السلام على أنّ راتب القاضي يجب أن يكون مجزيًا كي لا يطمع ولا يخدع وكي لا يحتاج الناس.

هذه الصفات التي ذكرها الإمام عليه السلام هي بمثابة دستور عمل لأيّ مؤسسة قضائية تريد النهوض بواقعها القضائي.

لقد تبين في المطالب السابقة الأثر الريادي للإمام علي عليه السلام ووضعه الأسس والضوابط التي تسير عليها هذه المؤسسة■

---

١) نهج البلاغة/ تحقيق صبحي الصالح/ ص٤١٩.
٢) بحار الأنوار، المجلسي: ٣٥٢/٧٢.
٣) جامع السعادات/النراقي/ج ٢ص١٦٩.
٤) ن.م.
٥) ن.م.
٦) المقنع/الشيخ الصدوق/ص٣٩٥.
٧) الكافي/للكليني/ج٧ ص٤١٢.
٨) إرشاد الأذهان/المحقق الحلي/ج ٢ص١٣٨.
٩) من لا يحضره الفقيه/الشيخ الصدوق: ج٣ ص١٤.
١٠) ن.م/ص١٦.
١١) نهج البلاغة/تحقيق صبحي الصالح/ص٤٣٥.
١٢) الإمام علي عليه السلام صوت العدالة الإنسانية/ج١ ص٣٧.
١٣) الكافي/للكليني /ج٧ ص٤٢٩.
١٤) نهج البلاغة/تحقيق صبحي الصالح/ص٤٣٤.

روايات في فضل الحج

* عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: إِنَّ الْحَاجَّ إِذَا أَخَذَ فِي جَهَازِه لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً فِي شَيْءٍ مِنْ جَهَازِه إِلَّا كَتَبَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ لَه عَشْرَ حَسَنَاتٍ ومحَا عَنْه عَشْرَ سَيِّئَاتٍ ورَفَعَ لَه عَشْرَ دَرَجَاتٍ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ جَهَازِه مَتَى مَا فَرَغَ فَإِذَا اسْتَقْبَلَتْ بِه رَاحِلَتُه لَمْ تَضَعْ خُفّاً ولَمْ تَرْفَعْه إِلَّا كَتَبَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ لَه مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى يَقْضِيَ نُسُكَه.

* عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: الْحَاجُّ لَا يَزَالُ عَلَيْه نُورُ الْحَجِّ مَا لَمْ يُلِمَّ بِذَنْبٍ.

* عنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: الْحَاجُّ والْمُعْتَمِرُ وَفْدُ الله إِنْ سَأَلُوه أَعْطَاهُمْ وإِنْ دَعَوْه أَجَابَهُمْ وإِنْ شَفَعُوا شَفَّعَهُمْ وإِنْ سَكَتُوا ابْتَدَأَهُمْ ويُعَوَّضُونَ بِالدِّرْهَمِ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ.

* عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: الْحَاجُّ والْمُعْتَمِرُ فِي ضَمَانِ الله، فَإِنْ مَاتَ مُتَوَجِّهًا غَفَرَ اللهُ لَه ذُنُوبَه، وإِنْ مَاتَ مُحْرِمًا بَعَثَه اللهُ مُلَبِّيًا، وإِنْ مَاتَ بِأَحَدِ الْحَرَمَيْنِ بَعَثَه اللهُ مِنَ الآمِنِينَ، وإِنْ مَاتَ مُنْصَرِفًا غَفَرَ اللهُ لَه جَمِيعَ ذُنُوبِه.

* قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: إِذَا أَخَذَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ بِمِنًى نَادَى مُنَادٍ يَا مِنَى قَدْ جَاءَ أَهْلُكِ فَاتَّسِعِي فِي فِجَاجِكِ واتْرَعِي فِي مَثَابِكِ ومُنَادٍ يُنَادِي لَوْ تَدْرُونَ بِمَنْ حَلَلْتُمْ لأَيْقَنْتُمْ بِالْخَلَفِ بَعْدَ الْمَغْفِرَةِ.

* عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: إِنَّ أَدْنَى مَا يَرْجِعُ بِه الْحَاجُّ الَّذِي لَا يُقْبَلُ مِنْه أَنْ يُحْفَظَ فِي أَهْلِه ومَالِه قَالَ فَقُلْتُ بِأَيِّ شَيْءٍ يُحْفَظُ فِيهِمْ قَالَ لَا يَحْدُثُ فِيهِمْ إِلَّا مَا كَانَ يَحْدُثُ فِيهِمْ وهُوَ مُقِيمٌ مَعَهُمْ.

* قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: حَجَّةٌ خَيْرٌ مِنْ بَيْتٍ مَمْلُوءٍ ذَهَبًا يُتَصَدَّقُ بِه حَتَّى يَفْنَى.

* عنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: الْحَجُّ والْعُمْرَةُ سُوقَانِ مِنْ أَسْوَاقِ الآخِرَةِ، والْعَامِلُ بِهِمَا فِي جِوَارِ الله إِنْ أَدْرَكَ مَا يَأْمُلُ غَفَرَ اللهُ لَه، وإِنْ قَصُرَ بِه أَجَلُه وَقَعَ أَجْرُه عَلَى الله.

* عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الباقر عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله الْحَاجُّ ثَلَاثَةٌ فَأَفْضَلُهُمْ نَصِيبًا رَجُلٌ غُفِرَ لَه ذَنْبُه مَا تَقَدَّمَ مِنْه ومَا تَأَخَّرَ ووَقَاه الله عَذَابَ الْقَبْرِ، وأَمَّا الَّذِي يَلِيه فَرَجُلٌ غُفِرَ لَه ذَنْبُه مَا تَقَدَّمَ مِنْه ويَسْتَأْنِفُ الْعَمَلَ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِه، وأَمَّا الَّذِي يَلِيه فَرَجُلٌ حُفِظَ فِي أَهْلِه ومَالِه.

(الكافي/ للكليني/ ج٤/ باب فضل الحج والعمرة وثوابهما)

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

س شخص عنده ما يكفيه للحج وعليه دين مستوعب لما عنده ولكنه مؤجل بعيد كأربعين سنة يدفعه اقساطًا خلالها، فهل يعدّ مستطيعًا ويجب عليه الحج أم لا؟

ج **إذا كان لديه مال يوفيه في وقته فالظاهر وجوب الحج، إلّا إذا كان المال الذي عنده بنفسه قد استدانه فالأحوط وجوبًا له الحج حينئذٍ.**

س إذا ملك الإنسان مالًا يكفيه للحج ولكنه كان مريضًا، فهل يجب عليه أن يعالج نفسه ليتمكن من أداء الحج بنفسه؟

ج **إذا كانت المعالجة لا توجب ضررًا بدنيًا ولا حرجًا فالأحوط وجوبًا الإقدام عليها.**

س الحج الاستحبابي هل مشروط بالاستطاعة أو لا يكون مشروعًا، وعلى فرض الشرطية، فهل يصح الحج الاستحبابي مع علم المكلف بعجزه عن الهدي؟

ج **لا يشترط الحج الاستحبابي بالاستطاعة ويصح مع العجز عن الهدي، لكن عليه بدله الصوم في حج التمتع.**

س شخص يريد الذهاب للحج وهو لا يملك المؤنة، لكنه يتمكن من الاقتراض من بنك أهلي في بلد إسلامي أو غير إسلامي أو بنك حكومي في بلد إسلامي أو غير إسلامي، وبإمكانه التسديد التدريجي خلال عدة سنوات من دون حرج عليه هل يجزيه الحج عن حجة الإسلام؟ يرجى بيان الجواب على كل واحد من تلك الفروض.

ج **لا يجب عليه الاقتراض للحج في جميع الفروض. لكن لو اقترض فإن كان الاقتراض من بنك حكومي وأجرى على المال وظيفة مجهول المالك وملكه وجب الحج وأجزأ. وإن اقترض من بنك أهلي فالأحوط وجوبًا الحج به، وفي الاجتزاء به إشكال، إلا إذا ملكه لغيره وبذل ذلك الغير المال للحج فإنه يجزي حينئذ. وكذا إذا صار مستطيعًا عند الوصول للميقات بدفع نفقات الحج قبل ذلك وتعذر استرجاعها، كما يتعارف في بذل نفقات الحج للحملدارية.**

س إذا كان عليه حق شرعي، كالخمس، لكنه كان مصممًا على عدم الدفع، فهل يجب عليه الحج بما عنده من المال، ولو حج به في هذه الحال، فهل يجزيه؟

ج **نعم يجب عليه الحج ويجزيه إذا كان الباقي عنده بعد استثناء الحق محققًا للاستطاعة.**

س امرأة كبيرة في السن لديها كمية من الذهب غير محتاجة إليه، أيهما أولى أن تبيع ذهبها لتحج بثمنه أم أن تبيعه لتزوج ولدها البالغ؟

ج **يجب عليها الحج أولًا.**

س أحد المؤمنين المقتدرين يرغب بإنفاق تكاليف الحج على الفقراء والمساكين في الوقت الحاضر، فهل يكون عمله مستوفياً لحجه؟

ج **إن ذلك من أعظم القربات، لكنه لا يجزي عن الحج ولا يقوم مقامه، بل إذا كان الحج واجباً عليه فاللازم المبادرة له مع القدرة ولا يجوز له تركه والاكتفاء بالإنفاق المذكور.**

س هل يجب الفحص عن تحقق الاستطاعة للحج، وكذا عن تحقق الربح وتحديد كمية الربح الذي يجب فيه الخمس؟

ج **لا يجب الفحص عن تحقق الاستطاعة، وكذا عن تحقق الربح من أجل الخمس. نعم إذا علم بتحقق الربح وشك في استيفاء المؤنة له، لجهله بقدرها فاللازم الفحص.**

س إذا استطاع الشخص ماليًا وسعى بدون تأخير للذهاب إلى الحج واشترك في القرعة، ولكن لم تصب القرعة باسمه ولم يمكنه الذهاب، لم يكن مستطيعًا ولم يجب عليه الحج. ولكنه إذا تسامح وتأخر في تسجيل اسمه في القرعة وبعد سنوات اشترك في القرعة استقر الحج في ذمته حتى إذا لم تصب القرعة باسمه فما هو نظركم؟

ج **نعم نوافق على الفتوى المذكورة.**

س شخص عنده بستان لم يعط ثمارًا وحاصلًا لعدة سنوات لكنه إذا باع البستان يستطيع الذهاب للحج وهو مطمئن بأن البستان حينما يعطي ثمرًا فلن يستطيع الذهاب للحج وهو يعتمد في معيشته على وارد البستان، فهل هو مستطيع؟

ج **إذا كان يمكنه العيش بدون حرج بعد بيعها والسفر إلى الحج وجب عليه ذلك وإلّا فلا.**

س شخص عنده أربعة أبناء متزوجين وعنده مؤونة سنته وليس مديونًا يعمل هو وأبنائه في محل واحد ودخلهم واحد ايضًا ويستطيع تأمين نفقات شخصين للحج، فهل يجب الحج، وإذا وجب، فهل يجب عليه بمفرده. أم يجب على الابن أيضًا؟ وفي حالة الوجوب على الابن، فلمن الأولوية من بين أبنائه؟

ج **إذا كان مالك المال شرعًا هو الأب جاز له اختيار من شاء للحج ويكون من يختاره منهم مستطيعًا دون غيره، وأما إذا كان المال مشتركًا بينهم شرعًا فيحسب لكل منهم استطاعة مستقلة فمن كان مستطيعًا منهم وجب عليه الحج ولا أولوية لأحدهم على الآخر.**

س زوجة شهيد عندها طفلان يبلغان من العمر أربع سنوات وهي قيّمة عليهما أصابت القرعة باسمها بعنوان عائلة شهيد للذهاب للحج، فهل يمكنها التصرف بأموال أطفالها لتهيئة نفقات الحج؟

ج **إذا كانت لا تملك الاستطاعة المالية إلّا بالتصرف بأموال أطفالها القاصرين لم تكن مستطيعة، بل لا يجوز لها التصرف بأموالهم.**

س شخص مستطيع للحج غير مستطيع للهدي، فهل يجب عليه الحج؟

ج **لا يجب عليه الحج.**

س شخص توفي والده بعد أن أوصاه بالحج نيابة عنه، وتحققت الاستطاعة بالنسبة للابن، فهل يجب على الابن تقديم حجه على حج والده؟ وهل يكون حجه صحيحًا حينئذ؟

ج **يجب أن يحج عن نفسه، ويستحب له أن يحج عن أبيه فيما بعد.**

س شخص بسبب الكهولة وكبر السن ومرض السكر وأمراض أخرى لا يستطيع أداء الحج، فهل يستطيع الاستنابة؟

ج **إذا تعلق الحج في ذمته ولم يحج وجب عليه الاستنابة. وأما إذا استطاع للحج ماليًا ولم يكن قادرًا على أدائه حينئذ لمرض ونحوه فلا تجب عليه الاستنابة.**

س شخص اشترطت عليه زوجته في عقد الزواج الحج فكيف يكون الأداء وبأي شكل؟

ج **يجب عليه بذل قيمة سفر الحج بالمقدار المتعارف.**

س شخص أدّى فريضة الحج ولكن معاشه ومصارفه من الوجوه الشرعية وأمثالها ولم يكن ملتفتًا إلى عدم تحقق الاستطاعة في حق شخص من هذا القبيل فتصور أنّه أدّى الحج الواجب، وبعد ذلك تحققت الاستطاعة القطعية فأدّى حجًا نيابيًا، فهل يصح حجه النيابي أم لابد من أداء الحج الواجب وتكرار النيابي؟

ج **لا يجب عليه إعادة حجه النيابي، بل إن حجه صحيح عن نفسه، ويجزي عن حجة الإسلام إذا كان سفره من الحقوق في محله شرعًا.**

س شخص عنده ٧٥٠ ألف تومان من أصل الملك والبيت الذي ورثه من والده مع منزله السكني، توفي هذا الشخص وترك زوجة وطفلين صغيرين ومعاش عائلته المذكورة من وارد أملاكه المذكورة، فهل هذا الشخص يعتبر مستطيعًا أو لا؟ وفي حالة وجوب الحج عليه هل يجب الحج البلدي أم يكفي الميقاتي؟ وهل يمكن تأمين نفقات الحج النيابي من كل التركة؟

ج **إذا كان قادرًا على أداء الحج ولم يؤده فهو مستطيع ويجب الحج عنه ولا يجب في الحجة النيابية أن تكون من البلد بل تكفي الميقاتية مطلقًا.. وإن كان الأفضل كونها من البلد.**

س أحد الأشخاص المستطيعين تسامح في أمر الحج حتى فاتته النوبة ولا يستطيع السفر حسب المقررات الرسمية، فهل يستطيع من خلال الوساطات أو صرف مبالغ طائلة في بلده أو غير بلده لتيسير الذهاب للحج علمًا أنه يخاف من عدم تمكنه مستقبلًا من ذلك؟

ج **نعم يجب عليه سلوك الطرق المذكورة لأداء الحج.**

س بعض الأشخاص مستطيعون ماليًا وبإمكانهم تسجيل أسمائهم للحج والتسجيل مفتوح من قبل الدولة إلى خمس سنين، فهل يجب عليهم تسجيل أسمائهم؟ وعلى فرض الوجوب إذا تساهلوا وبعد خمس سنين توفوا أو انتفت استطاعتهم، فهل تركوا واجبًا فقط أم استقر الحج في ذمتهم؟

ج **نعم يجب عليهم ذلك.**

س بعض الحكومات الشيوعية تفرض على المؤمنين الذين يريدون أداء الحج دفع ضريبة مالية لأجل السفر علمًا أن هذه المبالغ المدفوعة توجب تقوية هذه الأنظمة مع انحصار الطريق للسفر بهذا الشكل، فهل يجب الحج في هذا الفرض وهل يجزي عن حجة الإسلام؟

ج **لا يحرم دفع المال المذكور فيجب الحج ويصح بلا إشكال.**

س في عقود الزواج الرسمية الحالية تكتب مبالغ طائلة كمهر للزوجة، فهل تعتبر المرأة التي تريد الزواج مستطيعة للحج الواجب؟

ج **إذا كان يمكنها تحصيل المبلغ المذكور من دون حرج فيجب عليها الحج.**

س شخص يريد الذهاب إلى سوريا للزيارة وهو يمتلك فعلًا ما يكفيه وهذا المقدار يكفي لأداء الحج، فهل يجب عليه الذهاب إلى الحج أو يمكنه الذهاب إلى سوريا؟

ج **إذا كان يمكنه الذهاب إلى الحج في تلك السنة لم يجز له التفريط بالاستطاعة أو صرفها في عمل مستحب.**

س شخص يتصور عدم استطاعته ولذا يحرم ويعتمر عمرة التمتع بنية الاستحباب ثم يلتفت بعد ذلك إلى كونه مستطيعًا، فهل يجب تجديد النية للوجوب والإحرام مرة أخرى أو لا؟

ج **تصح أعماله السابقة وينوي الوجوب في الأعمال اللاحقة.**

س شخص يتصور حصول الاستطاعة في حقه، أحرم لعمرة التمتع ثم أدى جميع أعمال الحج كذلك وبعد إتمام الأعمال تبين أنه لم يكن مستطيعًا، فما هو حكم أعماله السابقة وبالنسبة للمستقبل إذا حصلت الاستطاعة، فهل يجب عليه حجة الإسلام؟

ج **تصح عمرته وأعماله السابقة وإذا تحققت له الاستطاعة في الميقات بنحو ما سبق بيانه في السؤال السابق أجزأ حجه عن حجة الإسلام.**

س في الوقت الحاضر يتم الذهاب إلى مكة وأداء الحج من خلال نظام القرعة وتسجيل الأسماء مسبقاً وقد لا تصل النوبة لعدة سنوات، لذا أقدم أحد الأشخاص قبل وصول نوبته على الاقتراض والسفر إلى مكة عن طريق آخر غير الطريق الرسمي، فهل تجزيه عن حجة الإسلام؟

ج **إذا كان الشخص المذكور قادرًا على أداء الحج عند وصوله إلى الميقات ـ ولو بسبب تملكه للخدمات اللازمة للحاج ـ بسبب ارتباطه بالحملة وغير قادر على وفاء دينه بذلك كان مستطيعًا وأجزأ حجه عن حجة الإسلام.**

س شخص يحتمل فساد حجه الذي قام به قبل عدة سنين، أو أنه لم يكن مستطيعًا وهو فعلًا مستطيع ويريد الاحتياط فما هي النية المطلوبة في حجته الاحتياطية؟

ج **يجوز له الحج بنية الأمر المتوجه، كما في غيره من العبادات.**

س إذا حصلت الاستطاعة المالية من خلال الحقوق الشرعية كسهم الإمام عليه السلام والسادات، فهل تجزي حجته بهذا الشكل عن حجة الإسلام؟

ج **يجب الحج إذا كان استحصاله للحقوق الشرعية موافقًا للميزان الشرعي في سهم السادة وسهم الإمام عليه السلام ونحوها من الحقوق المالية.**

س شخص عنده رأس مال أو أدوات وآلات عمل يستطيع أن يبيع بعضها فيعيش بالباقي بدون حرج ويذهب للحج بالزائد، فهل يعتبر مستطيعًا؟

ج **نعم هو مستطيع.**

س إذا كان الزوج متمكنًا ولم يكن في مطالبة الزوجة حرج أو محذور فهل تجب عليها المطالبة والسفر إلى الحج؟

ج **نعم في هذا الفرض يجب عليها المطالبة والسفر إلى الحج.**

في النفس والمجتمع

الخصومة

فارس رزاق علوان الحريزي
كاتب وباحث إسلامي

ينابيع

(مَنْ بَالَغَ في الْخُصُومَة أَثِمَ ومَنْ قَصَّرَ فيهَا ظُلِمَ ولَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللّه مَنْ خَاصَمَ)[1]. الإمام علي عليه السلام.

بعد أن كثرت الخصومة البغيضة وانتشر داؤها، وعمّت في بعض المجتمعات وازداد خطرها، نرى من الضروري التطرق لها آملين الاستفادة من ذلك وحجب انتشارها وردم أفعالها في المهد لينعم المجتمع الإسلامي الأمثل في علاقاته الاجتماعية بالأخلاق الحميدة، وإحياء قيم العبودية للّه تعالى، والتأكيد على دور هذه الممارسات الحميدة في بناء الحضارة الإسلامية المنشودة والترابط المنهجي بين الإيمان والفكر، والانسجام بين السلوك الفردي والاجتماعي.

الخصومة: خَصَمَ: يخصم خصمًا غلبه في الخصومة، تخاصم واختصم القوم تنازعوا، والمخاصم: المنازع، والخصوم: المجادل[2].

ومما يزيد من لؤم حاملي الخصومة والبهتان إخفاؤهم الجميل وإظهارهم القبيح، وامتيازهم بالبغض. ولو قارنا

بين الخصومة والبغض لنتج أن الخصومة تتضمن البغض، وليس كل بغض خصومة، فالأولى تتصف بالعلانية، والثانية سماتها السرية.

تحدث القرآن الكريم عن ظاهرتي الخصومة والبغض وأولاهما حيزًا كبيرًا وبأمثلة حيّة تطرق عن بعضها بآيات واضحة، أو بدلالة إشارة يلتفت إليها ويعلمها أصحاب العلم والمعرفة. ومن ذلك: **(يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)** (التوبة: ٣٢).

شبهت الآية تعاليم الإسلام بالنور الذي هو أساس الحياة والحركة ومنشأ كل جمال إذ أن الإسلام دين يحرك كل مجتمع إنساني نحو التكامل، وهو أساس كل خير وبركة ويدعو دائمًا إلى بناء الشخصية التي ينبغي أن تعتمد عليها عناصر معدة ذات قيم إنسانية ليتمكن الفرد أن يتحمل العبء الإصلاحي الثقيل للمجتمع، وهذا الأمر بحاجة ملحة إلى الارتقاء الفكري والعملي والاستعداد الروحي، فالتحجر وضيق النظر والبغض والحسد والاختلافات الصبيانية لا تنسجم مع هذه الروح. وكذلك: **(وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ)** (الشورى: ٣٧). فهؤلاء الذين غسل الله قلوبهم من الحقد والنفاق بواسطة مياه العفو والغفران، وبديهي لا يتحقق ذلك إلا بالإيمان الحقيقي والتحزم بالحق والتوكل عليه، إذ أنهم لا يلوثون أنفسهم بالذنب عند الغضب والخصومة، بل وعند تراكم البغض بل هم بكل بساطة يعفون ويغفرون وللعفو الإلهي ينتظرون.

إذن البغض من السلوكيات المقيتة والأعمال الشنيعة وهو نقيض الحب وضده، وقد يتعدى الشخص ببغضه من الإنسان ووضعه المعهود إلى الصفة والفعل. قال تعالى: **(قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ)** (الشعراء:١٦٨) وتدل الآية أن نبي الله لوط عليه السلام والجماعة الذين كانوا معه يرفضون الأعمال القبيحة ويعترضون عليها وينقدونها رغم المنحرفين الذي أخرجوهم من قريتهم آخر الأمر. فكلمة (القالين) من مادة (قلى) و(قلى) على وزن حلق وشرك ومعناها العداوة الشديدة التي تترك أثرها في قلب الإنسان أي المبغضين، لذا وجب الابتعاد عن الخصومة والبغض لكونهما يجلبان الهلاك ويقويان الانشقاق فتنتعش الفرقة ويزيد التشرذم والاختلاف، وحادثة قابيل بقتله هابيل أو قصة يوسف ومشهد إخوته المرضى نتيجة البغض والحساسية.

فعن الرسول صلى الله عليه وآله قال: (ثَلَاثٌ مَنْ لَقِيَ اللهَ عَزَّ وجَلَّ بِهِنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ بَابٍ شَاءَ مَنْ حَسُنَ خُلُقُه وخَشِيَ اللهَ فِي الْمَغِيبِ والْمَحْضَرِ وتَرَكَ الْمِرَاءَ وإِنْ كَانَ مُحِقّاً)[٣].

وعن الإمام علي عليه السلام: (إِيَّاكُمْ والْمِرَاءَ والْخُصُومَةَ فَإِنَّهُمَا يُمْرِضَانِ الْقُلُوبَ عَلَى الإِخْوَانِ ويَنْبُتُ عَلَيْهِمَا النِّفَاقُ)[٤] فيريد بالقحم المهالك لأنها تقحم أصحابها فيها، وعن الإمام الصادق عليه السلام: (إِيَّاكُمْ والْخُصُومَةَ فَإِنَّهَا تَشْغَلُ الْقَلْبَ وتُورِثُ النِّفَاقَ وتَكْسِبُ الضَّغَائِنَ)[٥]، وقد نهى العلماء عن الجدل والخصومة في الفقه والكلام وقالوا: إنهما مظنة المباهاة والغلبة، والمجادل يكره أن يقهره خصمه فلا يستطيع أن يتقي الله. وأما الخصومة في غير العلم مثل منازعة الناس بعضهم بعضًا في الأمور الدنيوية فقد جاء في ذمها والنهي عنها الشيء الكثير، وقد قيل الغالب في الشر مغلوب، وما تساب اثنان إلا غلب ألأمهما.

وبما أن آيات القرآن والروايات وأهل الخير وأعالي الدرجات تؤكد على النهي عن المراء والجدل والخصومة إذ أن ذلك يوصل إلى التباغض والمباينة، فحسن المآب يدعو إلى إنكار هذه المزايا والابتعاد عنها للحصول على مكان سامق وحصد الإحسان، وهذا يعني ترك نزاع الخصومة وخلافها والجدل المصاحب لها الذي يسبب إشعال القلب بالحقد والغضب، وانتشار الخلافات والقطيعة والابتعاد عن طريق الهدى والسداد مما ينتج عنه تصغير حاملها وتلكؤ دوره ومنزلته في المجتمع إذ أنها تردي به إلى المهالك، وتبدأ عادة بالإلحاح في الكلام الطاعن لأجل تحقير الغير والاشتفاء به بحقد مقصود فيكون تارة ابتداءً وتارة أخرى يكون اعتراضاً، لذا ينبغي التعامل الصحيح مع الآخرين وإبعاد الريبة وقلق النفس مما يدفع إلى القربة بالطاعة والعبادة ويزجي إلى نفع الخلق والمجتمعات، قال تعالى: (**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**) (البقرة:٨٣) أي كلاماً فيه حسن ومعاملة جميلة. وقد قال رسول الله ﷺ: (يمكّنكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام)[٦]، وقال كذلك: (أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الأَلَدُّ الخَصِمُ)[٧]، وقال بعض الحكماء: (الكلام اللّين يغسل الضغائن المستكنّة في الجوارح، وهذا كلّه في فضل الكلام الطيب وتضادّه الخصومة والمراء واللّجاج والجدال فإنّه الكلام المستنكر الموحش المؤذي للقلب المنغّص للعيش، المهيّج للغضب، الموغر للصدر)[٨].

لذا ينبغي الانتباه والحذر منها وتجنب صروف الدهر المهلكة، والفوز بالخير والصلاح والرحمة في خضم الحقّ والصواب، لعلنا نحصل على جائزة أولي الألباب الذين لا يهتمون بالقشور والظواهر وإنما بالحقائق التي تكشف الظواهر عنها واستنباط الأفضل منها، وهذا عين الإيثار للحقّ في المعتقد والصدق بالقول والخير بالفعل. ولنستحضر بيت الشعر الذي خاطب به أحمد بن الحسين صديقه مسكويه مخاطبة العبد لسيده إذ يقول:

امتط خدي وانتعل ناظري
وصد بكفي حمة العقرب[٩]

وبديهي أن المرض إذا عم يصبح شغل الجميع وبالنتيجة يؤدي ذلك إلى خلق بوابة التفرقة والاختلاف وكشف ما يكنه الخصيم لخصمه بعيداً عن المحبة والتعاطف.

أسباب المرض:

لمرض الخصومة والبغض أسباب منها:

١ـ أزمة الثقافة حتى لو كان المؤمن يشترك مع آخر في العقيدة، إلا أن سلوكه وممارسته مخالفة، فتتقلص العلاقة مع الإثنين، ونتيجة التسرع والانفعال وابتعاد قاعدة حسن الظن بالمؤمن، سرعان ما يوقعنا بالمأساة. وخلاصة القول إن الجهل المتعمد يُدفع بالتعامل معه بالحسنى كتحصيل حاصل لأن الأمزجة متهيئة للأسوأ. ولا ريب إذا ما قال الشاعر:

إذا جاءني من يطلب الجهل عامداً
فإني سأعطيه الذي هو سائل

٢ـ مرض سوء الظن أحد الأسباب الذاتية التي تولد البغض والكراهية بين المؤمنين، وأفراد المجتمع أجمعين، ويصير بسببه الجميع ماكثين، ثقيلي الأوزار، لا يحملون ولو قليلاً من شمائل الأبرار، تخزيهم موبقات آثامهم فأنى يؤفكون.

٣ـ حب الظهور يؤدي بحامليه إلى بغض من ينافسهم، ويزيد من المنغصات

والعقبات في طريقهم مبعدًا إياهم عن التكليف الإسلامي إذا صار هؤلاء يحادّون بعضهم بعضًا بألدّ الأعمال متجاوزين الحدّ المسموح به في العناد، غير وجلين من النتائج المرّة مهرولين إلى مواقع الرئاسة والسلطة، لأجل إرضاء أمراضهم المستشرية وشهواتهم المتدنية.

٤ـ حب المال يسبب مرض البغض بين الناس لا سيما المتدنين، فكل منهم يبحث عن الذوق الراقي إلّا أن التاجر وصاحب المال هو الفائز الأول لكونه صاحب العقلية الممولة.

٥ـ العدوى الاجتماعية: إذ دأب البعض أنه من جماعة فلان ويعتقد بفكره. أو تحريف قول فلان عن معناه الحقيقي، والمقصد بذلك افتراء عليه وفتنة مرسومة، وبدون الفحص والتدقيق أو الاستفسار المباشر وتلك قصود لا يعلمها إلا الله.

٦ـ الاختلافات العقائدية: إذ لو قلبنا التأريخ بإمعان لوجدناه متخماً بهذه الاختلافات مثل حركة الاعتزال أو الأشاعرة أو الخوارج، وتأريخ اليوم مفعم بذلك كالحركة الوهابية المقيتة (الدواعش) فهم لفيف خطر على المجتمع والأمة فمنحاهم عدائي بامتياز بعيداً عن أولي الألباب ولا يهتدون إلى الصواب ولا يعرفون غير سبيل القتل والدمار، بصائرهم قتل الشيعة (الروافض) فوجلت منهم القلوب، وأوجست النفوس منهم خيفة وقد انجلت سفاهتهم للجميع.

٧ـ المعادلات السياسية وفرز أبناء المجتمع وتصنيفهم على أساس التقسيم الجغرافي، فالتحيز إلى هذا الطرف، والاصطفاف مع ذاك، الأمر الذي يستهلك القوى ويحدد الطاقات بشكل مريب، وما نشاهده اليوم في مجتمعاتنا لخير دليل على ذلك، بأن فلان يسكن في الشمال أو الجنوب أو الذي يسكن في المدينة أفضل من أهل الريف، والعجيب في الأمر أن هذا المرض متفشٍ حتى عند من يدعي الدين والتقوى، فنرى الأغلب للشر نافشاً وللخير ضاوياً إذ أحاق بهم الحقد، وغزى أغلب عقولهم البغض.

٨ـ التحصيل العلمي زاد من انتشار الأحقاد الشديدة بين أفراد المجتمع، فصاحب الشهادة يرى أن العلاقات الاجتماعية الحقة تقلل من هيبته، والعزلة في نظره أمثل إلا الالتقاء مع ثلته ذات رزايا الغلظة والاستعلاء ولو كان بعضهم كالدمية فارغاً من الرأفة والرحمة، متجاوزًا الحدَّ في العناد، سنخيَّتهم بعيدة عن الخير المحض والمودة والمحبة. وصدق الشاعر:

وما من يد إلّا يد الله فوقها
ولا ظالمٌ إلّا سيُبلى بظالم

وينبغي أن لا ننسى مثل البئر الذيَ تردى فيه الأعمى والبصير فيكونان في الهلكة سواء إلا أن الأعمى أعذر.

٩ـ عدم الاعتراف بالخطأ والتمسك بالمواقف، فعلاقات المخاصم المبغض تبقى مع خصمه على المعاندة والاختلاف، وبهذا النعت تكون كاشفة عن البغض النفسي الباطني الذي يضمره الخصيم لخصمه ولا يتراجع نتيجة اللؤم والكيد، فالسفاهة في عقولهم منتشرة والحكمة غائبة إلى أن يصطاد المخاصم ضالته ويرديه قتيلاً. في الوقت الذي يؤكد فيه القرآن الكريم على الرابطة الإسلامية بين الأفراد، قال تعالى: (**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**...) (التوبة: ٧١)،

فلقد اختفت هذه الوليجة من بعضهم وانتشر نزغ الشيطان، لذا صار المبغض لا يأبى أن يرتكب حوباً كبيراً أو بهتاناً عظيمًا. فمن لم ينكر هذا الظواهر بشدة وينزع من عقله السلوكية المستبدة فهو ميت. قال الإمام علي عليه السلام: (من ترك إنكار المنكر بقلبه ويده ولسانه فهو ميت بين الأحياء)[١٠].

أجل يظل هؤلاء يختلقون لأنفسهم المعاذير والتزامهم باللسان فقط. وقد أشار جالينوس إلى تطابق السيرة ولو بالأخطاء فقال: (إنَّ الخبثاء الذين سيرتهم أسوأ السيرة وأردؤها إذا وجد إنساناً هذا رأيه ومذهبه نصروه ونوهوا به ودعوا إليه ليوهموا بذلك أنهم غير منفردين بهذه الطريقة)[١١]. وينطبق هذا على جميع الأسباب أعلاه.

المعالجة:

من خلال التمعن المستبصر في أسباب الخصومة والبغض يمكن استنباط المعالجة بسهولة وكالآتي:

١ـ ترك الاستهزاء واللجاج والمراء والالتزام بتأكيد الشريعة الإسلامية المقدسة على العقل والفكر والتدبر والتأمل وتجنب الإثارة وسرعة التهيج والانفعال الحاد والتوتر العصبي.

٢ـ الإيمان بالعدل الذي يناقض البغض والحسد لأنهما اعتراض على المخطط الحكيم، والبحث عن عناصر القوة لدى أخيه المؤمن لتكون مدعاة لمحبته وإيجاد علاقة طيبة معه للوصول به إلى سبيل الرشد وجادة الصواب والولوج في دوحته المحمودة.

قال الإمام علي عليه السلام: (اتَّقُوا ظُنُونَ الْمُؤْمنينَ فَإنَّ اللّه تَعَالَى جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ)[١٢]. وفي هذا ينتشر الإيثار والنبل والمواساة والسماحة والمسامحة.

٣ـ تجسيد القيم وحل النزاعات على أساسها: إنَّ التزام الكل بالرجوع إلى القيم وأفعال الخير الجماعية يؤدي إلى إزالة الخصومات، والقضاء على البغي، والرجوع إلى الحكمة والصواب. قال رسول ا للّه صلى الله عليه وآله: (أيها الناس إنما هما نجدان، نجد خير ونجد شر، فلا يكن نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير)[١٣] وباتباع نجد الخير يفنى البغض ويزول الحقد ونحصد حسن المآب.

٤ـ حسن الظن وطرد الوساوس ومحاولة السبق نحو الخيرات مما يعزز السير نحو التكامل وارتقاء النفس إلى الفضيلة. قال تعالى: (**ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**...) (النحل: ١٢٥).

فتبين الآية الأسس الأخلاقية وكيفية العفو والعقاب فهي تشير إلى أهمية العلم والمنطق مما يدعو إلى منع الإنسان من الفساد والانحراف، ووفق المنطق السليم وإيقاظ العقل مما يؤدي إلى تحريك الوجدان الإنساني، إذ للموعظة الحسنة أثر دقيق وفاعل في توجيه مختلف طبقات الناس نحو الحقّ، وينبغي ذكر دور الابتعاد عن الغضب في جميع التصرفات الآنية مما يعطي الكرم الجميل والإحسان الكثير.

وقيل:

وترى الكريم إذا تصرَّم وصله
يخفي القبيح ويظهر الإحسانا
وترى اللئيم إذا تفضّى وصله
يخفي الجميل ويظهر البهتانا

فالعزائم الطيبة تزجي إلى السحاب وتوصلها إلى الأرض القاحلة، والطريق الواضح سهل السلوك وهو بعيد عن

الاعوجاج، فإغداق الليونة والعطف تبعدان الخصومة والبغض وننال بهما الذرى والاطمئنان■

١) نهج البلاغة/ تحقيق صبحي الصالح/ ص٥٢٨ الحكمة: ٢٩٨.
٢) المنجد، ص١٨٢، مادة يختصم.
٣) الكافي: ج٢/ص٣٠٠.
٤) م.ن.
٥) م.ن/ص٣٠١.
٦) جامع السعادات/النراقي: ج٢/ص٢٢٠.
٧) شرح أصول الكافي/المازندراني/ج٥/ص٩٤.
٨) المحجة البيضاء/الفيض الكاشاني/ج٥/ص٢١٢.
٩) معجم الأدباء:١٤.
١٠) تهذيب الأحكام/الشيخ الطوسي/ج٦/ص١٨١.
١١) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مِسكويه: ص٦١.
١٢) نهج البلاغة/تحقيق صبحي الصالح/ص٥٢٩، الحكمة:٣٠٩.
١٣) بحار الأنوار: ج٧٥ ص٣٢٤.

من نوادر التاريخ (العلويون وآل طاهر)

ظهر يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين الشهيد عليه السلام، بالكوفة سنة ٢٥٠هـ واجتمع عليه الناس، وتولاه العامة، وقتل في آخر معركة، فجلس أمير بغداد محمد بن عبد الله بن طاهر، للتهنئة، فدخل عليه أبو هاشم الجعفري، فقال: أيها الأمير، إنك لتهنأ بقتل رجل، لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله حيًا، لعزي به. يقول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ـ أخو أمير بغداد ـ، بعد مديدة، دخلت إليه بعد ذلك يومًا سحرًا، وهو كئيب مطأطئ الرأس، في أمر عظيم، كأنّه قد عرض على السيف، وبعض جواريه قيام لا يتجاسرن على مسألته، وأخته واقفة. فلم أقدم على خطابه، فأومأت إليها، ما له؟ قالت: رأى رؤيا هالته. فتقدمت إليه، وقلت: أيّها الأمير، روي عن النبي صلى الله عليه وآله، إنّه قال: إذا رأى أحدكم في منامه ما يكره، فليتحوّل من جانبه إلى الآخر، وليقل ثلاثًا، أستغفر الله، ويلعن إبليس، ويستعيذ بالله، ثم ينام.

فرفع رأسه، وقال: يا أخي، فكيف إذا كانت الطامّة من جهة رسول الله صلى الله عليه وآله. فقلت: أعوذ بالله. فقال لي أخي محمد بن عبد الله: إنّي رأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي، كأنّه يقول لي: يا محمد، نكثتم؟ فانتبهت فزعًا، وتحوّلت، واستغفرت الله تعالى، وتعوّذت من إبليس، ولعنته، واستغفرت الله تعالى، ونمت. فرأيته صلى الله عليه وآله ثانية، وهو يقول: يا محمد، نكثتم؟ ففعلت كما فعلت في الأوّلة .فرأيته صلى الله عليه وآله وهو يقول: نكثتم وقتلتم أولادي؟ والله، لا تفلحون بعدها أبدا. فانتبهت، وأنا على هذه الحال، وهذه الصورة، منذ نصف الليل ما نمتَ.

قال: واندفع يبكي، وبكيت معه. فما مضت على ذلك إلّا مديدة، حتى مات محمد، ونكبنا بأسرنا أقبح نكبة، وصرفنا عن ولاياتنا، ولم يزل أمرنا يخمل، حتى لم يبق لنا اسم على منبر، ولا علم في جيش، ولا إمارة. وحصلنا إلى الآن تحت المحن .

(نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة/ القاضي التنوخي/ ج٢ص٢٤٠)

قراءات

قراءة في مفهوم الإرهاب بين الاستعمال اللغوي والقرآني

أ . م . د . مرتضى عبد النبي الشاوي
كلية التربية/ القرنة / جامعة البصرة

ينابيع

تُعدّ كلمة (الإرهاب) من المصطلحات المعاصرة التي تعتبر من أساسيات مبادئ الأمن القومي والدولي، وقد استغلت لتهديد الشعوب المسالمة ولتمرير مخططات الأنظمة الاستعمارية في البلدان الفقيرة والنامية أو التي ترفض الاستبداد.

إنّ دلالة مفردة الإرهاب بمعناها العام تدل على الخوف والفزع والرجفة، وقد ورد في أساس البلاغة (وأرهبته ورهبته واسترهبته: أزعجت نفسه بالإخافة. وتقول: يقشعرّ الإهاب، إذا وقع منه الإرهاب)[١].

((رهب) رَهِبَ بالكسر يَرْهَبُ رَهْبَةً ورُهْباً بالضم ورَهَباً بالتحريك أي خافَ ورَهِبَ الشيءَ رَهْباً ورَهَباً ورَهْبةً خافَه... وأرْهَبَه ورَهَّبَه واستَرْهَبَه أخافَه وفَزَّعه.... واسْتَرْهَبَه اسْتَدْعَى رَهْبَتَه حتى رَهِبَه الناسُ وبذلك فسرّ قوله عزّ وجلّ: (**وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ**) (الأعراف: ١٦٤)، أي أَرْهَبُوهم)[٢].

وكذلك جاء في المعجم الوسيط (رهبه: رهباً، ورهبة، ورهاباً: خافه، ويقال: رَهِب فلان، ... استرهبه: رهّبه...، (والإرهابيون: وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب، لتحقيق أهدافهم السياسية)[٣].

وقد أشار القرآن الكريم إلى مفردة الإرهاب بمعانيها المختلفة، على الرغم من أن (لم يرد لفظ (الإرهاب) بصيغته التركيبية هذه، وإنّما وردت بعض الصيغ المختلفة من الأصل الذي اشتق منها، وهي :فارهبون، إسترهبوهم، يرهبون، ترهبون، فارهبون، رهباً، الرهب، رهبة)[٤]

إذ نبتدء بذكر الآيات القرآنية التي وردت فيها مفردة الإرهاب والمعنى الذي جاء به القرآن الكريم، بأن تلك المفردة، قد وردت بعدة آيات قرآنية وبمعان مختلفة، (**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**) (البقرة: ٤٠، وقد جاءت هنا بمعنى الخوف من الباري، أي: فخافون[٥].

كما جاءت بمعنى الهيبة والإخافة[٦] في

قوله تعالى: (**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**) (الأنفال: ٦٠).

وكذلك في قوله تعالى: (**قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ**) (الأعراف: ١١٦)، أي: حملوهم على أن يرهبوا[٧].

ثم ذكر بأنّ الإسلام قد حارب الاختطاف: (**وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**) (الأنفال: ٢٦) وعدّه من ملامح الإرهاب الشديد لكونه ينطوي على ترويع وتخويف الآخرين.

كما حارب الإسلام ظاهرة قطاع الطرق وعدها (إرهاباً) وترويعاً للبشر: (**قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**) (المائدة: ٢٣).

وقد حرم الله قتل النفس إلا بالحق: (**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ**) (الإسراء: ٣٣).

وكذلك قوله تعالى: (**وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ**) (الاعراف / ٧).

وكذلك قوله تعالى: (**وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**) (النحل: ٥١)

وكذلك قوله تعالى: (**قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ**) (الأعراف: ١١٦).

وجاءت الرهبة والرهب بمعنى: مخافة مع تحرز واضطراب كقوله تعالى: (**لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ**) (الحشر: ١٣)،

وكذلك قوله تعالى: (**لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ**) (الانبياء/٩٠)، وكذلك قوله تعالى: (**وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ**) (القصص:٣٢).

وقد تكون الرهبة طويل الخوف في استمراره مع العلم به يقع على شريطة كذا وإن لم تكن تلك الشريطة لم تقع[٨].

وقد جاء في المعجم الفلسفي أنّ: (الخوف انفعال نفساني يعرض عن تصور شر قريب الوقوع... وللخوف درجات متفاوتة الشدة أدناها الخشية (crainte)، وأعلاها الذعر (panique)، وشدة الخوف تكون في العادة متناسبة مع عظم المكروه المتوقع)[٩].

أما في الشعر العربي فقد جاء في لسان العرب لابن منظور قول الشاعر[١٠]:

وكَيْفَ أَرْهَبُ أَمراً أو أُراعُ لَه
وقد زَكَأْتُ إلى بِشْر بْن مَرْوانِ
ونِعْمَ مَزْكَأُ مَن ضاقَتْ مَذاهِبُه
ونِعْمَ مَنْ هُو في سِرٍّ وإعْلانِ

وقال طَرفة بن العبد [١١]

لا كَبيرٌ دالفٌ من هَرَم
أَرْهَبُ الناسَ ولا أَكْبُو لضُرّ

فالنظرة المعاصرة لمفردة الإرهاب من الناحية السياسية والاجتماعية تراد بأن (الإرهاب: ذلك النهج القاسي الذي كان ولا يزال يمارس ضد الإنسانية وينتهك حرماتها... [و] الإرهاب أو الرعب أو التخويف، منظومة ألفاظ قد تتغاير في الصور لكنها تتحد في الجوهر والهدف في عالمنا اليوم، وتدلنا على ما في حياتنا من تراجع وانحدار وانسلاخ عن الإنسانية وابتعاد عن قيم الحق والعدالة... [وهو] أخطر سلاح أسسته السياسة ومارسته الدول ضد شعوبها عبر التاريخ البشري وقامت في ظله حكومات وتأسست أنظمة ولازال أخطر سلاح تشهره الدول العظمى لتصفية حساباتها مع بعضها أو مع خصومها من الدول الضعيفة أو الشعوب المستضعفة..)[١٢].

فالإرهاب بوصفه مصطلحاً لغوياً جاء في القرآن الكريم بقوله تعالى: (**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**) (الأنفال: ٦٠)،.ويراد به التخويف، وهو من مستلزمات المجتمع الإسلامي، وهو بمعنى استعداد القوة الإسلامية لدحر أي عدوان على المجتمع الإسلامي أو على الدولة الإسلامية.

أما التداول الحديث لكلمة الإرهاب فحسب الرؤية الغربية أو قانون الأمن الدولي فتعتبره خروجاً عن القانون[١٣].

وفي هذا المفهوم يكون الإرهاب كلمة شاملة لا تقتصر على العنف المحض فحسب، وإنما تشمل الكثير من الميادين، فنقول أحياناً الإرهاب الفكري والإرهاب الفردي وإرهاب الدولة والإرهاب الجنسي (بين الجنسين).

إذ هو العمل المادي العنيف أو الفكري الضاغط الذي يحمل عنفاً معنويًا يدفع فرداً أو طبقة أو مجتمعاً ما إلى القيام بعمل لتحقيق مبرراته محددة لمصلحة ذلك الفرد أو الطبقة أو المجتمع[١٤].

والإرهاب هو مشكلة العالم في وقتنا المعاصر[١٥]، وهو بمفهومه العام والمعاصر

وهو عملية قد تقوم بها دولة أو تقوم بها عدة دول وقد تشارك مع هذه الدولة مجموعة دول تشترك مجتمعة بارتكاب عمليات إرهابية معينة[١٦].

فضلاً عن ذلك فإن هذه الكلمة استعملت كسيف ذي حدين[١٧]؛ لإطلاق الكلمة على الذين يدافعون عن حقوقهم الشرعية في البلاد العربية والإسلامية فأصبح المظلوم في نظر الاستكبار العالمي ظالمًا وهو الذي يؤجج الإرهاب والفتن ويدعو إلى العنف على الرغم من حقه المشروع في الدفاع عن نفسه وأرضه وعرضه■

---

١) أساس البلاغة (رهب)، الزمخشري : ٣٥١

٢) لسان العرب (رهب)، ابن منظور الأفريقي المصري: ١ / ٤٣٦ ، وينظر: القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم، د. خالد اسماعيل علي: ٢١٢ - ٢١٣.

٣) المعجم الوسيط (رهب)، لجنة من المؤلفين: ١ / ٣٧٦.

٤) مجتمع اللّاعنف – دراسة في واقع الأمة الإسلامية، حسن السيد عز الدين بحر العلوم،: ٢٠٩.

٥) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (رهب)، الراغب الأصفهاني: ٣٦٧

٦) ينظر: المصدر السابق: ٣٦٧

٧) ينظر: المصدر السابق: ٣٦٧

٨) ينظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: ٢٧١

٩) المعجم الفلسفي،د. جميل صليبا، سليمان زاده، الطبعة الاولى، ١٣٨٥ هـ، (الخوف) ١: ٥٤٥.

١٠) لسان العرب (زكا) :١ / ٩٠

١١) المصدر السابق (دلف): ٩ / ١٠٦

١٢) ظاهرة العنف والإرهاب.. أسبابها وحلولها، فاضل الصفار، مجلة النبأ، ع٦٨، و٦٩، ٢٠٠٢ م: nba٦٧-annabaa.org/٦٨thahira.htm

١٣) ينظر: الارهاب في أكثر من اتجاه، د عبد المحسن يوسف جمال ضمن كتاب الأمن الإسلامي ومستقبل الأمة :٣٧٧

١٣) المصدر السابق: ٣٧٧.

١٤) ينظر: الارهاب تعريفاً وتحديداً، عبد الرحمن النعيمي ضمن كتاب الأمن الإسلامي ومستقبل الأمة: ٣٨٢

١٥) ينظر: صانعو الإرهاب، محمد مهدي الآصفي ضمن كتاب الأمن الإسلامي ومستقبل الأمة: ٣٨٧.

١٦) ينظر: مفاهيم الإرهاب، د. ناصر صرخود، ضمن كتاب الأمن الإسلامي ومستقبل الأمة: ٣٨٩.

١٧) ينظر: الأمن الإسلامي ومستقبل الأمة، مؤسسة الإمام الخميني، حميد حلمي زادة : ٣٤٧

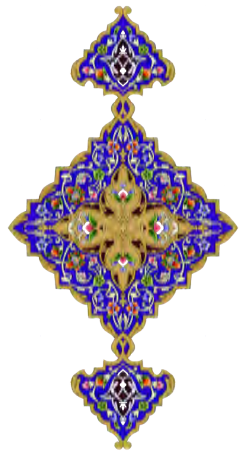

شكيم علي الفردي

حكاية مستبصر

جزائري ـ مالكي

مولده ونشأته: ولد عام ١٩٧٦م بمدينة (قسنطينة) في الجزائر، نشأ في أوساط عائلة تعتنق المذهب المالكي، فشب مالكيًا تبعًا لأسرته.

بداية التعرف على التشيع: يقول الأخ شكيم: لم يكن لي أي إلمام أو معرفة بمذهب التشيّع! وفي يوم من الأيام دار حديث بيني وبين أحد أصدقائي ـ الذي عرفت بعد ذلك أنّه من أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام ـ حول وضع المسلمين وانتماءاتهم لشتى الفرق والطوائف، واختلافهم في الأحكام الشرعية والأمور العقائدية ـ لاسيما الفرعية ـ ثم استعرضنا بعض معتقدات كل طائفة، حتى طرق سمعي اسم الشيعة، وبدأ صديقي يحدثني، عن أسس هذا المذهب وبداية نشوئه والمراحل التي مر بها منذ البداية، فذكر في حديثه جملة من القضايا التاريخية التي تعرض فيها أهل البيت عليهم السلام لجور من تولى شؤون الخلافة الإسلامية، وكيفية تنحية هؤلاء الحكّام لأهل البيت عليهم السلام، عن مقامهم الطبيعي الذي أراده الله تعالى لهم، ثم ذكر لي معتقدات هذه الطائفة وأحكامها العبادية، والتراث الفكري الضخم الذي كتبه علماء الشيعة في الفقه والتفسير والتاريخ والحديث والفلسفة والأدب وغير ذلك، فأدهشني حديثه! فطلبت منه المزيد وجعلت أقارن بين ما عند الشيعة وما عندنا أبناء العامة.

بدعة صلاة التراويح: واستمر الحديث فيما بيننا حتى ذكر صديقي أمرًا لفت انتباهي بشدّة، وذلك حينما قال: إنّ بعض الطقوس التي يمارسها أبناء العامة ما أنزل الله بها من سلطان، وأنّ مصدر تشريعها محض رغبة شخصية لا أكثر، كصلاة التراويح التي يقيمونها في شهر رمضان، فهي بدعة ليست من الدين في شيء، إذ لم ينزل بها قرآن ولم يقمها رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يصلها أبوبكر طيلة خلافته، ولا عمر في أول خلافته، بل سنّها بعد ذلك بفترة بلا دليل ولا مجوز شرعي من الكتاب أو السنة!.

ومن الواضح أنّ الإسلام قد شدّد في أمر البدعة، واعتبرها ضلالة مؤدية إلى

النار، لأنّ المبتدع غير قانع بما شرع الله، فهو بمنزلة المستدرك على ربّه ـ كما إنّه عندما يعطى لنفسه حقًا للتشريع يكون بمثابة من نزل نفسه بمنزلة الند لله جلّ وعلا ـ في حين أنّ الله تعالى حسم أمر الرسالة بقوله الكريم: (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**).

وتضافرت الروايات الشريفة بهذا الخصوص: فورد عن جابر: أنّه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهل له، ثم قال: أما بعد، فإنّ أصدق الحديث كتاب الله، وإنّ أفضل الهدي هدي محمّد، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة .... وعن حذيفة أنّه قال: يا رسول الله: هل بعد هذا الخير شر؟، قال: نعم ... قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي ....

مسألة زيارة القبور: ويقول الأخ شكيم: وتطرقنا في الحديث لمسألة زيارة القبور، وكان قد طرق سمعي من قبل أنّ هناك فرقة تحسب نفسها على الإسلام ولكنّها تكفر أهل القبلة لزيارتهم قبر النبيّ ﷺ وقبور الأولياء والصالحين، فتأملت في الأمر فتبيّن لي أنّ هذه الرؤية جامدة ومحدودة، لا يقول بها أحد يعرف معنى التذكرة والاعتبار.

فقد ذكر القرآن الكريم جملة من الآيات الدالّة على جواز القيام على القبور واتخاذ المساجد حول مقامات وقبور الأنبياء والصالحين، فقال تعالى: (**وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**)، وقال تعالى بخصوص أصحاب الكهف: (**قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا**).

كما ذكرت كتب الحديث والسيرة والتفسير روايات عديدة تجوّز هذا الأمر: فقد جاء في صحيح مسلم والنسائي وابن ماجة والترمذي، عن بريدة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، وفي آخر الحديث على: ما في سنن أبي داود: فإنّ زيارتها تذكرة، وفي سنن ابن ماجة، عن ابن مسعود: ... فإنها تزهّد في الدنيا وتذكّر في الآخرة.

قول الأعلام في زيارة القبور:

قد أفتى الكثير من علماء المذاهب الأربعة بجواز زيارة قبر النبيّ ﷺ واستحبابه، ومنهم: أبو عبد الله الجرجاني الشافعي، أبو الحسن الماوردي، القاضي عياض المالكي، أبو الفرج بن الجوزي، ابن هبيرة في كتاب (اتفاق الأئمة): اتفق مالك والشافعي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل على أنّ زيارة النبيّ ﷺ مستحبة. وكذلك أبو زكريّا يحيى بن شرف النووي، قال: في زيارة قبره ﷺ: إنّها من أعظم القربات، وأفضل المساعي والطلبات، وإذا انتهى إلى قبره وقف قبالة وجهه ويتشفّع به إلى

ربّه...، هذا فضلاً، عن كلمات العشرات منهم. كما ذكر عدد منهم استحباب زيارة البقيع: فقال الغزالي: يستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع، وكذا قال النووي والفاخوري، وزاد الأخير: ...يأتي المشاهد والمزارات فيزور العباس ومعه الحسن بن عليّ، وزين العابدين، وابنه محمّد الباقر، وابنه جعفر الصادق، بل أكثر من هذا فإنّ المعاصرين من علماء العامة يرون أنّ زيارة القبور مندوبة للاتعاظ وتذكرة بالآخرة.

الوصول إلى جادّة الأمان: يقول الأخ شكيم الفردي: وجدت أنّ كلمات الأعلام وأهل الاختصاص تجوّز زيارة القبور ـ مع التزام الزائر بالأمور الشرعية التي ترضي الله تعالى وتنفع الميت ـ وقد لمست خلال زيارتي لقبر السيدة زينب ابنة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في سوريا، الجوّ المعنوي المفعم بالروحانيّة، فأثّر ذلك المشهد في نفسي أثراً كبيراً، بحيث دفعني للبحث والمطالعة حول مكانة ومنزلة أهل البيت عليهم السلام عند الله سبحانه وتعالى، حتى عرفت بعد ذلك مكانتهم، وعرفت أنّهم عدل الكتاب، وسفينة نوح، ونجوم الهداية، فقلت: لا أحيد عنهم ولا أختار إلاّ طريقتهم، إذ لا يسع المؤمن الاعتصام من الضلال إلاّ بالتمسّك بهم والانضواء تحت لوائهم، فاعتنقت مذهبهم عام ٢٠٠١م.

(نقل بتصرف من: موسوعة من حياة المستبصرين/ج١ص٣٠٣)

مواقف خالدة

عبد الله بن عباس مع معاوية

مرَّ معاوية بحلقة من قريش، فلما رأوه قاموا غير عبد الله بن عباس، فقال له: يا ابن عباس، ما منعك من القيام كما قام أصحابك إلا لموجدة أني قاتلتكم بصفين ! فلا تجد من ذلك يا ابن عباس....فإنا قد كتبنا في الآفاق ننهى عن ذكر مناقب علي وأهل بيته عليهم السلام فكفَّ لسانك . فقال: يا معاوية ! أتنهانا عن قراءة القرآن؟ قال: لا، قال: أفتنهانا عن تأويله؟ قال: نعم . قال: فنقرأه ولا نسأل عما عنى الله به ! ثم قال: فأيهما أوجب علينا قراءته أو العمل به؟ قال: العمل به . قال :كيف نعمل به ولا نعلم ما عنى الله؟ قال: سل عن ذلك من يتأوله على غير ما تتأوله

أنت وأهل بيتك . قال: إنما أنزل القرآن على أهل بيتي أنسأل عنه آل أبي سفيان؟ يا معاوية أتنهانا أن نعبد الله بالقرآن بما فيه من حلال وحرام؟ فإن لم تسأل الأمة عن ذلك حتى تعلم تهلك وتختلف ! قال اقرؤوا القرآن وتأولوه، ولا تروا شيئًا مما أنزل الله فيكم واروا ما سوى ذلك . قال: فإن الله يقول في القرآن: (**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**). قال: يا ابن عباس ! أربع على نفسك وكف لسانك، وإن كنت لا بد فاعلًا فليكن ذلك سرًا لا يسمعه أحد علانية . ثم رجع إلى بيته فبعث إليه بمائة ألف درهم .

* لما أتى معاوية نعي الإمام الحسن بن علي عليه السلام بعث إلى ابن عباس رضي الله عنه وهو لا يعلم الخبر، فقال له: هل عندك خبر من المدينة؟ قال: لا، قال أتانا نعي الحسن، وأظهر سرورًا !

فقال ابن عباس: إذًا لا ينسأ في أجلك ولا تسد حفرتك . قال: أحسبه قد ترك صبيته صغارًا، قال: كلنا كان صغيرًا وكبر . قال: وأحسبه قد كان بلغ سنًا، قال: مثل مولده لا يُجهل . قال معاوية: وقال قائل: إنك أصبحت سيد قومك، قال: وأما أبو عبد الله الحسين بن علي حي فلا.

(مواقف الشيعة/ الأحمدي الميانجي/ ج١ ص٨٣)

قصيدة في رثاء مسلم بن عقيل عليه السلام

السيد رضا الهندي

لو أن دموعي استهلت دمًا ... لما أنصفت بالبُكا مسلما
قتيل أذاب الصفا رزؤه ... وأحزن تذكاره زمزما
وأورى الحجون بنار الشجون ... وأبكى المقام وأشجى الحمى
أتى أرض كوفان في دعوة ... لها الأرض خاضعة والسما
فلبوا دعاه وأموا هداه ... لينقذهم من غشاء العمى
وأعطوه من عهدهم ما يكاد ... إلى السهل يستدرج الأعصما
وما كان يحسب وهو الوفي ... أن ينقضوا عهده المبرما
فديتك من مفرد أسلموه ... لحكم الدعي فما استسلما
والجأه غدرهم أن يحل ... في دار طوعة مستسلما
فمذ تحموا منه في دارها ... عرينا أبى الليث أن يقحما
أبان لهم كيف يضرى الشجاع ... ويشتد بأسًا إذا أسلما

* * *

وكيف تهب أسود الشرى ... إذا رأت الوحش حول الحمى
وكيف تفرق شهب البزاة ... بغاثا تطيف بها حوما
ولما رأوا بأسه لا يطاق ... وماضيه لا يرتوي بالدما

أطلــوا على شـرفات السطـوح يرمـونه الحــطب المضـــرما
ولــولا خديعـتهـم بالأمـــان لمــا أوثقــوا ذلــك الضيغـما
وكيـف يحــس بمكــر الأثيــم مـن ليــس يقـترف المــأثــما
لئن ينسني الدهر كل الخطـوب لم ينســني يــومـك الأيــوما
أتوقــف بين يـــدي فاجـــر دعــي إلــى شـــرهم منتــمى
ويـشــتـم أسـرتك الطاهريـن وقــد كــان أولـى بـأن يشــتما
وتقـتل صــبرًا ولا طـالـــبٍ بثــارك يســقيهــم العـلقـما
وترمى إلــى الأرض من شـاهق ولم تـرم أعـداك شـهب السـما

* * *

فـإن يحطموا منك ركـن الحطيم وهــدوا مـن البيت مـا استحكما
فلست سوى المسك يذكو شذاه ويـــزداد طيبـًا إذا حــطـمــا
فـإن تخــل كـوفـان مـن نادب عليك يقيم لك بالطف تبكي دما
زهــا منـهـم النـقــع في أنجم أعـــادت صبـاح الـعـدى مظلما
على كـوفة الجنــد عـرج وقف ويمـم بهــا المســجد الأعظما
وقـف خاضعـًا خاشعـًا باكيـًا وصـلِّ وسـلِّم وَصِـلْ مُسـلِما

(ديوان السيد رضا الهندي،ص٥٥)

في الذاكرة

شهر ذو القعدة

١ ولادة السيدة فاطمة المعصومة سنة ١٧٣ هـ .

١ صلح الحديبية بين النبي صلى الله عليه وآله ومشركي مكة سنة ٦هـ .

٥ وفاة السيد ابن طاووس سنة ٦٦٤هـ .

٨ فرض هذا اليوم الحج على المسلمين سنة ٨هـ .

٩ إرسال مسلم بن عقيل عليه السلام كتابًا إلى الإمام الحسين عليه السلام يخبره عن أحوال الكوفة وأهلها سنة ٦٠هـ.

١١ ولادة الإمام الرضا عليه السلام في المدينة المنورة سنة ١٤٨ هـ .

١١ ولادة الشيخ المفيد قدس سره سنة ٣٣٦هـ .

١٧ وفاة الشيخ عبد الكريم الحائري، مؤسس الحوزة العلمية في قم المقدسة سنة ١٣٥٥ هـ .

١٨ وفاة الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء بعد صلاة الفجر سنة ١٣٧٣هـ.

٢٣ غزوة بني قريظة سنة ٥هـ.

٢٣ توجه الإمام الرضا عليه السلام من المدينة إلى طوس سنة ٢٠٠هـ.

٢٥ يوم دحو الأرض.

٢٦ خروج النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه إلى حجة الوداع سنة ١٠هـ.

١٥ آخر ذي القعدة استشهاد الإمام الجواد عليه السلام مسمومًا سنة ٢٢٠ هـ .

في الذاكرة

شهر ذو الحجة

١ زفاف فاطمة الزهراء عليها السلام لأمير المؤمنين عليه السلام سنة ٢هـ.

١ عزل أبي بكر عن تبليغ سورة براءة سنة ٩هـ ،وتولية الإمام علي عليه السلام بها.

٣ دخول النبي صلى الله عليه وآله مكة لحجة الوداع سنة ١٠ هـ.

٤ سجن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام سنة ١٧٩هـ.

٥ غزوة ذات السويق بعد اثنين وعشرين شهرًا من الهجرة.

٧ شهادة الإمام محمد الباقر عليه السلام سنة ١١٤هـ على يد الحاكم الأموي هشام بن عبد الملك .

٨ خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة إلى العراق يوم التروية سنة ٦٠هـ .

٨ خروج مسلم بن عقيل بالكوفة داعيًا إلى أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

٩ إغلاق النبي صلى الله عليه وآله أبواب المسجد إلا باب علي بن أبي طالب عليه السلام.

٩ شهادة مسلم بن عقيل وهاني بن عروة سنة ٦٠هـ.

٩ شهادة عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام مع جمع

من إخوته وأبناء عمومته في سجن المنصور العباسي سنة١٤٥هـ في منطقة الهاشمية قرب الحلة.

١٠ عيد الأضحى المبارك.

١٣ وفاة المحقق الشيخ آغا بزرك الطهراني سنة ١٣٨٩هـ.

١٥ ولادة الإمام علي الهادي عليه السلام سنة ٢١٢هـ على رواية.

١٨ عيد الغدير الأغر، يوم الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام سنة١٠هـ .

٢١ وفاة المحقق الشيخ كاظم الخراساني الشهير بالآخوند قدس سره سنة ١٣٢٩هـ .

٢٢ شهادة ميثم التمار رضي الله عنه في الكوفة سنة ٦٠هـ..

٢٣ استشهاد أولاد مسلم بن عقيل على يد جلاوزة بني أمية سنة ٦١هـ على رواية.

٢٣ وفاة المحدث الشيخ عباس القمي مؤلف كتاب (مفاتيح الجنان) في النجف الأشرف سنة ١٣٥٩هـ..

٢٤ يوم المباهلة ونزول جبريل بآية التطهير.

٢٤ تصدق الإمام علي عليه السلام بالخاتم سنة١٠هـ.

٢٥ نزول سورة هل أتى (الدهر) في شأن أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام .

٢٥ أول صلاة جمعة لأمير المؤمنين عليه السلام بعد بيعة الناس له سنة٣٥هـ..

٢٧ مقتل مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية سنة١٣٢هـ..

٢٨ يوم واقعة الحرة سنة ٦٣هـ، والغارة على المدينة المنورة من قبل جيش يزيد بن معاوية بقيادة (مسلم) مسرف بن عقبة وقتل أكثر من ٢٠٠٠ مسلمٍ.

وقفة مع الذكرى

ولادة فاطمة المعصومة

غرة شهر ذي القعدة

ولدت فاطمة بنت موسى بن جعفر عليهما السلام في المدينة المنوّرة غرّة ذي القعدة الحرام سنة ١٧٣ هـ وفي رواية: أنّ ولادتها كانت سنة ١٧٩ هـ . وقيل سنة ١٨٣هـ بعد الهجرة النبوية الشريفة.

وقد كان الإمام الرضا عليه السلام وأخوه القاسم عليه السلام المدفون قرب مدينة الحلة، وأخته فاطمة المعصومة في قم، أولاد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام من أم واحدة اسمها تكتم[1]، وقيل سكن وقيل أروى وقيل نجمة. عاشت سلام الله عليها في بيت الإمامة في المدينة المنورة وفي كنف أبيها وإخوتها.

سبب خروجها من المدينة ووفاتها:

لمّا أخرج المأمون الرضا عليه السلام من المدينة إلى مرو لولاية العهد في سنة ٢٠٠هـ من الهجرة، خرجت فاطمة أُخته تقصده في سنة ٢٠١ هـ، فلمّا وصلت إلى ساوة مرضت، فسألت: كم بينها وبين قم؟ قالوا: عشرة فراسخ، فقالت: احملوني

إليها، فلمّا وصل خبرها إلى قم، استقبلها أشراف قم، وتقدّمهم موسى بن خزرج، فلمّا وصل إليها أخذ بزمام ناقتها وجرّها إلى منزله، وكانت في داره سبعة عشر يومًا.

ثمّ توفّيت سلام الله عليها في ١٢ من ربيع الثاني سنة ٢٠١هـ، فأمر موسى بتغسيلها وتكفينها وصلى عليها ودفنها في أرض كانت له، وهي الآن روضتها، وبنى عليها سقيفةً من البواري، إلى أن بَنَتْ زينب بنت الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام عليها قبّة[٣].

ومن آثارها سلام الله عليها في مدينة قم المقدسة المحراب الذي كانت تصلي فيه، وهو موجود إلى الآن في دار موسى بن خزرج ويزوره الناس للصلاة والدعاء والتبرّك، وهو الآن في مسجد عامر في مدينة قم المقدسة.

مشهدها سلام الله عليها :

يعدّ مشهد السيّدة فاطمة المعصومة سلام الله عليها في مدينة قم اليوم من المشاهد المشهورة في عالمنا الإسلامي، وهو مبنيّ على طراز إسلامي رائع، ويقصده محبّو أهل البيت عليهم السلام من مختلف ديار الإسلام للزيارة والتوسّل والدعاء، وببركة السيّدة فاطمة المعصومة سلام الله عليها تعجّ المدينة المقدّسة قم بأعداد غفيرة من طلبة العلم، يختلفون إلى عشرات المدارس الدينية وفي مراحل مختلفة ومن أقطار شتّى، فهي اليوم جامعة علمية ودينية يتخرّج منها آلاف الطلبة كلّ عام، حتّى أصبحت مدينة قم مدينة العلم والاجتهاد.

فضل زيارتها سلام الله عليها:

* عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: إنّ لله حرماً وهو مكّة، وإنّ للرسول صلى الله عليه وآله حرماً وهو المدينة، وإنّ لأمير المؤمنين عليه السلام حرماً وهو الكوفة، وإنّ لنا حرماً وهو بلدة قم، وستُدفن فيها امرأة من أولادي تسمّى فاطمة، فمن زارها وجبت له الجنّة[٣].

* عن الإمام الرضا عليه السلام: من زارها عارفاً بحقّها فله الجنّة[٤].

* عن الإمام الجواد عليه السلام، قال: من زار قبر عمتي بقم، فله الجنة[٥].

١) عيون الأخبار/الصدوق/ ج١ص٢٥.

٢) بحار الأنوار/المجلسي/ ج٤٨ص٢٩٠.

٣) ن.م/ص٣١٧.

٤) ن.م.

٥) كامل الزيارات /ص٥٣٦.

للفضيلة نجومها

سلمان المحمدي رضي الله عنه وسابقته إلى الإسلام

د. حسين لفته حافظ
مركز دراسات الكوفة

ينابيع

المطلع على سيرة وحياة الصحابي الجليل سلمان المحمدي رضي الله عنه يلاحظ أنها كانت مليئة بالعطاء الذي شمل البشرية أجمعين كيف لا وقد أوسمه رسول ربّ العالمين: (سلمان منا أهل البيت)[1]، ولم ينسبها لأحد من أصحابه من الأولين والآخرين. فكان مصداقًا لقوله تعالى : (**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**) (**الحجرات:١٣**) ،فصار محمديًا وعلويًا بعد أن كان فارسيًا وأعجميًا، فقد روى الشيخ المفيد في الاختصاص/ص٣٤١: (أن سلمان الفارسي رضي الله عنه دخل مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم فعظموه وقدموه وصدروه إجلالًا لحقه وإعظامًا لشيبته واختصاصه بالمصطفى وآله، فدخل عمر فنظر إليه فقال: من هذا العجمي المتصدر فيما بين العرب، فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر فخطب فقال: إن الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط، لا فضل للعربي على العجمي ولا للأحمر على الأسود إلا بالتقوى، سلمان بحر لا ينزف، وكنز لا ينفد، سلمان منا أهل البيت، سلسل يمنح الحكمة ويؤتى البرهان).

حيث شاءت قدرته تعالى ومن عظيم حكمته وبديع تدبيره أن يهيئ لرسوله المصطفى يوم كان وحيدًا فريدًا طريدًا من قومه شريدًا في أرضه حرصًا على تحمل أمانته الرسالية وعقيدته الربانية في ذلك المجتمع الضحل العنيد في عصبيته الغارق في جاهليته المطبق على صنميته والرافض لمعرفة ربه وعبوديته، فإذا باليد الخفية أن يمد رسوله صلى الله عليه وآله ويهيئ له الصحبة الأوفياء الذين ما عاشوا وما دامت أعمارهم إلّا بالتفاني والإخلاص في إيمانهم من أجل قيام الدعوة المباركة ومواجهة التحديات الصعبة يوم كانوا هم المبادرين السابقين في طاعة نبيهم صلى الله عليه وآله يشكلون أداة الربط الوثيقة بين المؤمنين بجمع شتاتهم وشدّ عزائمهم وتوحيد صفوفهم يضربون المثل الأعلى في أرقى القيم وأروع المواقف التي تنشرها الأرض في الإيمان الحقيقي فيما هم عليه بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر بكل ما انطوت عليه هذه الكل، من المضامين الرفيعة تهافتت عندها جميع الحواجز المادية والنزاعات القبلية والعنصرية عندما تلاحمت أفكارهم وتوحدت رؤواهم في سوح العدل والجهاد لم يفرقوا بين الأسود والأبيض والعربي وغيره والقريب منهم والبعيد حيث مجدتهم سماء المعمورة كما ورد في قوله تعالى حقيقة ما هم عليه قولًا وفعلًا: (**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ**

مرقد الصحابي الجليل
سلمان المحمدي

كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ..) (المجادلة: ٢٢)، ذلك ما يعني تنافسهم وسباقهم نحو المكارم ورضى الله تعالى وطاعة من له حق الطاعة قولًا وفعلًا مناشدين اخوانهم وعشائرهم بالاقتداء بهم إلى سبيل النجاة. وصدق علي عليه السلام حيث قال: (السبّاق خمسة: فأنا سابق العرب وسلمان سابق فارس وصهيب سابق الروم وبلال سابق الحبش وخباب سابق النبط)[٢]، فسلمان الصحابي الجليل رضي الله عنه هو أحد المجسدين الموضوعيين للصحبة في الله ومع رسوله الكريم والمؤمنين فكان حقًا علينا أن نستعرض للأجيال الآتية ما به من مآثر وماله من مناقب وكرامات متصلة بعالم التدين.. عندما بدأ رحلته موحدًا ومهاجرًا يبحث عن حقيقة ما يصبو إليه حتى أوصلته عزيمته وصدق إرادته إلى مبتغاه حيث جنح بين أحضان النبي صلى الله عليه وآله ملبيًا دعوة الحق مجاهدًا تقيًا شهد له البعيد والقريب.

إذًا سلمان رضي الله عنه لم ولن يكون ذلك المنتمي للإسلام متسترًا به أو متمصلحًا فيه أو معتاشًا على موائده، أبدًا إنما هو الذي جعل وجوده وكيانه وقواه بكل معطياتها من أجل أن يحيى الإسلام وينتشر في تعاليمه وأحكامه في الوسط البشري، وبموضوعية فإنه لم يدخل الإسلام من أجل ديمومة حياته إنما أوقف حياته من أجل أن يحيى الإسلام بدعوته التي كانت بأمسّ الحاجة إلى دعاة رساليين تضحويين على طول الخط يناصر بعضهم بعضًا طاعة لله ولرسوله، فما لم يقدُر لهؤلاء الدعاة أن يكونوا بهذه الدرجة من التعاطي الفعلي الرسالي مع قائدهم ورائدهم آنذاك لما وصلت إلينا هذه المعالم الربانية كأجيال متوالية في مسيرة التكوين، وغاية ما يراد لنا أن نستوضح هذه المعالم الرسالية في شخصية هذا الداعية جهادًا وتضحية، لابد لنا أن نجعلها قناديل منيرة في طريق ذات الشوكة، إذ ما قدرنا مسؤوليتنا أمام الله ورسوله وآل بيته الطاهرين هديًا لقوله تعالى: (**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ**) (الصافات :٢٤) نوجزها فيما يأتي:

أولًا: مَعْلَمَهُ الجهادي في معركة الخندق:

هناك اختلاف بين المؤرخين لم يحسم، هل اشترك سلمان بمعركتي بدر وأحد، أم لم يشترك بسبب الرقّ؟.. ولكن مالا يختلف عليه المؤرخون أنه اشترك في معركة الخندق، بل كان له باع طويل فيها.

ففي السنة الخامسة للهجرة عزم المشركون بأحزابهم المختلفة الهجوم على المدينة المنورة ليقاتلوا المسلمين في عقر دارهم، (فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، واستشار أصحابه ... فقال سلمان: يا رسول الله إن القليل لا يقاوم الكثير في المطاولة، قال صلى الله عليه وآله: فما نصنع؟ قال رضي الله عنه: نحفر خندقًا يكون بيننا وبينهم حجابًا، فيمكنك منعهم في المطاولة، ولا يمكنهم أن يأتونا من كل وجه، فإنا كنا معاشر العجم في بلاد فارس إذا دهمنا دهم من عدونا نحفر الخنادق فيكون الحرب من مواضع معروفة، فنزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أشار بصواب)[٣]، وقال آخرون غير ذلك، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله برأي سلمان .. (فخط الخندق وأمر بحفره،... فقطع لكل عشرة رجال أربعين ذراعا، وكان صلى الله عليه وآله كأحدهم يحفر بيده وينقل التراب مواساةً وتشجيعًا لهم، وكان المسلمون يعملون وينشدون الأشعار والأهازيج لحماسهم، .... وكان

سلمان الفارسي من أنشطهم وأخلصهم في واجبه وعمله رغم شيخوخته، ولما اشتد التنافس فيما بينهم، قال المهاجرون: سلمان منا، وقال الأنصار: سلمان منا، فتدخل الرسول صلى الله عليه وآله وفصل هذه المنافسة وقال: (بل سلمان منا أهل البيت)[٤].

فقد ميز صلى الله عليه وآله سلمان عن المهاجرين والأنصار، ورفعه مكانًا عليًا، وخصه دون سائر الصحابة بمنزلة سامية، حيث جعله في مصاف أهل بيت النبوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، وجعله بدرجة العصمة، لطهارة ذاته وما يتمتع به من عمق العبودية لله والإخلاص لرسوله الكريم ودينه الحنيف الإسلام.

وكيف ما كان فإن الموقف الذي رآه سلمان رضي الله عنه وأيده النبي صلى الله عليه وآله كان هو الأقوى في النصر الذي حققه الجيش الإسلامي المحمدي على جموع المشركين مضافًا إلى منازلة علي عليه السلام عمرو بن ود العامري وقتله أمام جيشه مما تخاذل جيشهم بأسرع ما يمكن وذلك ما يسجل تأريخيًا إلى مواقف سلمان وأحد معالمه الرسالية.

ثانيًا: خصائصه:

مما اشتهر به من بين الصحابة زهده وتقشفه الشديد، فكان يتصدق بعطائه، ويأكل من عمل يده ولم يكن له بيت يسكن فيه، إنما كان يستظل بالجدر والشجر، حتى أقنعه البعض بأن يبني له بيتاً، إن قام أصاب رأسه سقفه، وإن مدّ رجليه أصابهما الجدار. كان يحب الفقراء ويؤثرهم على أهل الثروة والعدد، وكان يسفّ الخوص، ويبيعه ويأكل منه، وهو أمير على المدائن. وقد وصفه البعض بأنه: كان خيراً فاضلاً، حبراً عالماً، زاهداً، متقشفاً[٥]. وهذا بعض مما روي بحقه:

* **قال صاحب الاستيعاب:** لقد روي عن رسول الله ﷺ من وجوه، أنه قال: لو كان الدين عند الثريا لناله سلمان. قال: وقد روينا عن عائشة، قالت: كان لسلمان مجلس من رسول الله ﷺ ينفرد به بالليل، حتى يكاد يغلبنا على رسول الله ﷺ[٦].

* روي أن سلمان الفارسي كان مُحدَّثًا، فسئل الصادق عليه السلام عن ذلك وقيل له من كان يحدثه فقال: رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام وإنما صار محدثًا دون غيره ممن كانا يحدثانه لأنهما كانا يحدثانه بما لا يحتمله غيره من مخزون علم الله ومكنونه[٧].

* دخل أعرابي ـ لمجلس رسول الله ﷺ، وكان سلمان جالسًا ـ فنحاه عن مكانه وجلس فيه، فغضب رسول الله ﷺ حتى درّ العرق بين عينيه واحمرتا، ثم قال: يا أعرابي أتتحي رجلًا يحبه الله تبارك وتعالى في السماء ويحبه رسوله في الأرض، يا أعرابي أتتحي رجلًا ما حضرني جبرئيل إلا أمرني عن ربي عز وجل أن أقرئه السلام، يا أعرابي إن سلمان مني، من جفاه فقد جفاني، ومن آذاه فقد آذاني، ومن باعده فقد باعدني ومن قربه فقد قربني، يا أعرابي لا تغلظن في سلمان فإن الله تبارك وتعالى قد أمرني أن اطلعه على علم المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب[٨].

* عن منصور بزرج، قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: ما أكثر ما أسمع منك يا سيدي ذكر سلمان الفارسي! فقال عليه السلام: لا تقل الفارسي، ولكن قل سلمان المحمدي، أتدري ما كثرة ذكري له؟ قلت: لا. قال عليه السلام: لثلاث خلال: أحدها: إيثاره هوى أمير المؤمنين عليه السلام على هوى نفسه، والثانية: حبه للفقراء واختياره إياهم على أهل الثروة والعدد، والثالثة: حبه للعلم والعلماء. إن سلمان كان عبدًا صالحًا حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين[٩].

ثالثًا: بعد رحيل رسول الله ﷺ:

كان سلمان (رحمه الله) أحد الذين بقوا على أمر رسول الله ﷺ بعد وفاته.

وكان رضي الله عنه من المعترضين على صرف الأمر عن علي أمير المؤمنين عليه السلام إلى غيره، وله احتجاجات على القوم في هذا المجال.

أما وفاته رضي الله عنه فقد توفي في المدائن ـ وكان واليًا عليها ـ أخر أيام خلافة عمر: روى في الخرائج/ج٢ ص٥٦٢: (أن علياً عليه السلام دخل المسجد بالمدينة غداة يوم وقال: رأيت في النوم رسول الله ﷺ البارحة، وقال لي: إن سلمان توفي، ووصاني بغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه، وها أنا خارج إلى المدائن لذلك. فخرج والناس معه إلى ظاهر المدينة، ثم خرج وانصرف الناس، فلما كان قبل الظهيرة رجع وقال: دفنته. وكان أكثر الناس لم يصدقوه، حتى كان بعد مدة ووصل من المدائن مكتوب: إن سلمان

توفي ليلة كذا، ودخل علينا أعرابي فغسله وكفنه وصلى عليه ودفنه، ثم انصرف! فتعجبوا كلهم). وقد أشار إلى هذه الحكاية أبو الفضل اليمنى في قوله:

سمعت منى يسيراً من عجائبه
وكل أمر عليٍّ لم يزل عجبا
دَرَيْتَ عن ليلة سار الوصيُّ بها
إلى المدائن لما أن لها طلبا
فألحدَ الطهرَ سلماناً وعاد إلى
عراص يثرب والإصباح ما قربا
كآصف قبل رَدِّ الطرف من سبأ
بعرش بلقيس وافى يخرق الحجبا
أراك في آصف لم تغل فيه بلى
بحيدر أنا غال أوردُ الكذبا!
إن كان أحمد خير المرسلين فذا
خير الوصيين أو كل الحديث هبا)[١٠]■

---

١) المستدرك/الحاكم النيسابوري/ج٣ص٥٩٨.
٢) الخصال/الشيخ الصدوق/ص٣١٢.
٣) بحار الأنوار/المجلسي/ج٢٠ص٢١٨.
٤) الأعلام من الصحابة والتابعين/الشاكري/ ج١ص٣٧.
٥) سفينة البحار ج ١ ص ٦٤٨.
٦) الاستيعاب (هامش الإصابة) ج ٢ ص ٥٩.
٧) علل الشرايع/الشيخ الصدوق/ج١ص١٨٣.
٨) الاختصاص/الشيخ المفيد/ص٢٢١.
٩) الأمالي/الشيخ الطوسي/ص١٣٣.
١٠) الدرجات الرفيعة/ص٢١٩.

للفضيلة نجومها

علي بن يقطين
دراسة في سيرته التاريخية

الباحثة : زهراء كاظم التميمي

ينابيع

اسمه ونسبه:

هو أبو الحسن[١]، علي بن يقطين بن موسى البغدادي، كوفي الأصل[٢]، مولى بني أسد[٣].

مولده ونشأته:

ولد علي بن يقطين في الكوفة(٤)، وقد اختلف المؤرخون في يوم ولادته فبين قائل[٥] أنه ولد سنة ١٢٠هـ، وبين قائل[٦] أنه ولد سنة ١٢٤هـ، لكن أدق ما قيل في تاريخ ولادته هو الرأي الأخير، لاسيما أن المصادر قد ذكرت أنه عاش من العمر ٥٧ سنة(٧) إذ توفى سنة (١٨٢هـ)[٨].

أما عن نشأته فقد نشأ بالكوفة، في أواخر دولة الأمويين، وهاجر إلى المدينة برفقة أمه وأخيه، بعد أن أراد مروان بن الحكم (لع) أن يقتل أباه يقطين، الذي كان رافضًا لظلم الأمويين وحكمهم. وبعد ذهاب دولة الأمويين ومجيء دولة العباسيين عادت أسرته من المدينة لتستقر في مدينة بغداد[٩]. وكان والده يتمتع بمنزله سامية عند خلفاء الدولة العباسية (أبو العباس السفاح، المنصور الدوانيقي، المهدي)[١٠] وبعد وفاته تولى علي بن يقطين الذي كان يعمل في تجارة التوابل[١١] منصبًا مهمًا عند الخليفة العباسي هارون إذ كانت له منزلة فوق تلك التي كانت لأبيه حيث اتخذه الرشيد وزيرًا له[١٢].

مكانته العلمية ومؤلفاته:

اشتهر علي بن يقطين بأنه كان جليل القدر، من عيون أهل

العلم، ومن فضلاء عصره، عبدًا لله مطيعًا لأهل بيت النبوة عليهم السلام[١٣]. ويعتبر علي بن يقطين وذريته من مؤلفي الكتب ومن رواة الحديث في القرن الثاني الهجري[١٤] وقد وقع في إسناده كثير من الروايات تبلغ زهاء ١٨٧موردًا[١٥]، وقد ذكر النجاشي[١٦] أن علي بن يقطين لم يروِ عن الصادق عليه السلام إلا حديثًا واحدًا، وروى عن موسى عليه السلام فأكثر، إلا أن السيد الخوئي أشكل على ذلك بقوله: (قد عرفت عن النجاشي أن علي بن يقطين لم يروِ عن الصادق عليه السلام إلا حديثًا واحدًا، وقد مرَّ عن الكشي روايته عن علي بن يقطين أنه رأى أبا عبد الله عليه السلام في الروضة، وعليه جبة خز سفرجلية، وقد يقال: أن هذا لا يجتمع مع ما ذكره الشيخ ـ الطوسي ـ من أن له كتاب ما سئل عنه الصادق عليه السلام من الملاحم، ولكنه واضح البطلان، فإن علي بن يقطين إنما جمع السؤالات ولم يكن هو السائل كما توهم القائل)[١٧]. وعلى ذلك فلا يتم ما ذكره النجاشي من أن علي بن يقطين لم يروِ عن الصادق عليه السلام إلا حديثًا واحدًا .

وقد قال السيد الخوئي أيضاً: (من الغريب ما صدر عن بعض الأفاضل في المقام، حيث قال ما ملخصه: أن علي بن يقطين ولد سنة ١٢٤هـ فهربت أمه به إلى المدينة ورجعت بعد ظهور الدولة العباسية، وبما أن ظهورها كان سنة ١٣٢هـ فكان عمر علي بن يقطين عند رجوعه من المدينة ثمان سنوات، فلم يكن قابلًا للرواية عن أبي عبد الله عليه السلام ووجه الغرابة أنه لا تنحصر رواية علي رضي الله عنه عن الصادق عليه السلام أن تكون بالمدينة قبل رجوعه منها، فيمكن أن تكون الرواية بعد ذلك، ولو كان في أيام تشرف علي بن يقطين للحج أو لزيارة قبر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله)[١٨].

ولعلي بن يقطين عدة مؤلفات[١٩] هي:

١- ما سئل عنه الصادق عليه السلام في الملاحم.

٢- مناظرة الشاك بحضرته.

٣- والمسائل التي أخذها عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

أولاده:

١ـ الحسن، قال النجاشي قدس سره فيه: (كان فقيهًا، متكلمًا، روى عن أبي الحسن والرضا عليهما السلام[٢٠].

٢ـ الحسين، وثقه الشيخ الطوسي والعلامة الحلي[٢١].

منزلته عند الإمام الكاظم عليه السلام:

عرف علي بن يقطين بوثاقته وجلالة قدره عند الإمام الكاظم عليه السلام، كما كان ذا مكانة عظيمة في الطائفة[٢٢]، وعد من خواص الإمام عليه السلام والمقربين منه، وقد كان عليه السلام يخصه بالدعاء بالجنّة وحُسن العاقبة، وهناك عدة روايات تؤكد على مكانته العظيمة عند الإمام عليه السلام منها:

١- قال الإمام الكاظم عليه السلام: (إني استوهبت علي بن يقطين من ربي (عز وجل) البارحة فوهبه لي، إن علي بن يقطين بذل ماله ومودته فكان ذلك منا مستوجبًا)[٢٣].

٢- وقال عليه السلام: (ضمنت لعلي بن يقطين ألّا تمسه النار)[٢٤].

٣- وقال الإمام الرضا عليه السلام: (أما أن علي بن يقطين مضى وصاحبه عنه راضٍ ـ يعني أبا الحسن الكاظم عليه السلام ـ[٢٥].

٤- عن داود الرقي قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام يوم النحر، فقال مبتدئًا: ما عرض في قلبي أحد وأنا على الموقف إلا علي بن يقطين، فإنه مازال معي وما فارقني حتى أفضت)[٢٦].

أقوال العلماء فيه:

١- قال الشيخ المفيد قدس سره: فممن روى النص على الرضا علي بن موسى عليهما السلام بالإمامة من أبيه.

والإشارة إليه منه بذلك، من خاصته وثقاته وأهل الورع والعلم والفقه من شيعته.....وعلي بن يقطين)[٢٧].

٢- قال الشيخ الطوسي قدس سره: (ثقة، جليل القدر، له منزلة عظيمة عند أبي الحسن موسى عليه السلام، وعظيم المكان في الطائفة)[٢٨].

٣- قال الشيخ ابن شهر أشوب قدس سره: ومن خواص أصحابه ـ أي أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ـ علي بن يقطين[٢٩].

الدور الديني لعلي بن يقطين رضي الله عنه:

إن المكانة التي أحرزها الشيعة في بغداد كان الفضل يعود فيه بشكل أساسي إلى رجال كانت لهم منزلة وشأن من أمثال علي بن يقطين الذي عمل مع العباسيين منذ بداية أمرهم، وكان له منصب ومكانة هامة لديهم[٣٠]، وقد حاول ابن يقطين رضي الله عنه أن يستغل هذه الفرصة فقد حاول إشراك الشيعة ولاسيما شيوخهم في مواسم الحج بدافع التعريف بالمذهب الشيعي والمناظرة مع الفرق الدينية الأخرى، وكان علي بن يقطين رضي الله عنه يرسل في كل عام عدة إلى الحج نيابة عنه فقد (أحصي لعلي بن يقطين بعض السنين ثلاث مائة مُلَبٍ، أو مائتان وخمسون ملبيًا، وإنه لم يكن يفوته من يحج عنه، وكان يعطي بعضهم عشرة آلآف في كل سنة للحج، مثل الكاهلي، وعبد الرحمن بن الحجاج وغيرهما، ويعطي أدناهم ألف درهم، وسمعت من يحكي في أدناهم خمسمائة درهم)[٣١].

الدور السياسي لعلي بن يقطين رضي الله عنه:

اتخذ علي بن يقطين من صلته ببني العباس ووجوده في أكثر المناصب حساسية وهي منصب الوزارة في حكومة الرشيد طريقًا للوقوف إلى جانب المظلومين من أتباع أهل البيت عليهم السلام، فوزارة علي بن يقطين عند الرشيد كانت من أمور الآخرة، ضمن بها قضاء حوائج الشيعة[٣٢]، وذلك بأمر من الإمام الكاظم عليه السلام فقد حاول علي بن يقطين رضي الله عنه مرارًا التخلص من منصبه لعدم طاقته الصبر على ما كان يراه من ظلم بني العباس للناس، إلا أن الإمام قد نهاه عن ذلك بكتابته له : لا تفعل فإن لنا بك أنسًا، ولإخوانك بك عزًا، وعسى الله أن يجبر بك عسرًا، أو يكسر بك نائرة المخالفين عن أوليائه. يا علي كفارة أعمالكم الإحسان لإخوانكم[٣٣].

يتبين وبوضوح أن علي بن يقطين كان من المؤمنين الورعين الذين لا يرغبون بالعمل مع السلطان الجائر خشية أن يحسب عليه فيكون مُعينًا له على ظلمه، ولم تغره السلطة بالرغم من مكانته لدى السلطان، ولم يفرح بذلك المنصب كونه وزيرًا، بل كان متحرجًا من وجوده في حكومة ظالمة، ويحاول التخلص منها بأي شكل من الأشكال. وكان الإمام عليه السلام ينهاه عن التخلي عن منصبه، لسبب سام لا يستطيع أحد القيام به إلا من كان منَ ضمن التشكيلة الحكومية، لدرء الظلم عن المؤمنين، والدفاع عنهم، ومساعدتهم في تيسير مصالحهم وأعمالهم، فكان توجيه الإمام عليه السلام له بمثابة خارطة طريق للمؤمنين العاملين في حكومات الظالمين في كل عصر وجيل وتبياناً عما هي واجباتهم لتبرئة

ذمتهم: (يا علي كفارة أعمالكم الإحسان لإخوانكم)، أو كما ورد في نفس السياق عن الامام الصادق عليه السلام: (كفارة العمل مع السلطان قضاء حاجات الإخوان).

وروي أنه لما قدم أبو ابراهيم موسى بن جعفر عليه السلام العراق، قال علي بن يقطين: أما ترى حالي وما أنا فيه؟ فقال عليه السلام: (يا علي إن لله تعالى أولياء مع أولياء الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه، وأنت منهم يا علي)[٣٤] وقد طلب منه الإمام أن يضمن له واحدة والإمام يضمن له ثلاث:(اضمن لي أن لا تلقى أحدًا من أوليائنا إلا قضيت حاجته وأكرمته، وأضمن لك ان لا يظلك سقف سجن أبدًا، ولا ينالك حد سيف أبدًا ولا يدخل الفقر بيتك أبدًا، يا علي من سر مؤمنًا فبالله بدأ، وبالنبي ثنّى، وبنا ثلّث)[٣٥].

فإن الإمام الكاظم عليه السلام يعلمنا من خلال هذه المحاورة أهمية خدمة المؤمنين وتكريمهم وقضاء حوائجهم وعظيم الثواب المترتب على ذلك، وذلك لما قد يتعرض له المؤمن من المسؤولية والخطر وهو يرفع الظلم والجور عن المؤمنين أو يعينهم في إنجاز مصالحهم.

وفي نفس الوقت كان الإمام حريصًا على سلامة ابن يقطين والاحتفاظ بموقعه وتوجيهه إلى تجنب أي عمل يسبب انكشافه أمام السلطات، فمرة (حمل الرشيد في بعض الأيام إلى علي بن يقطين ثيابا أكرمه بها، وكان في جملتها دراعة خز سوداء من لباس الملوك مثقلة بالذهب، فأنفذ علي بن يقطين جل تلك الثياب إلى موسى بن جعفر عليه السلام وأنفذ في جملتها تلك الدراعة، وأضاف إليها مالًا كان عنده على رسم له فيما يحمله إليه من خمس ماله .فلما وصل ذلك إلى أبي الحسن عليه السلام قبل المال والثياب، ورد الدراعة على يد الرسول إلى علي بن يقطين وكتب إليه: (احتفظ بها، ولا تخرجها عن يدك، فسيكون لك بها شأن تحتاج إليها معه)، فارتاب علي بن يقطين بردها عليه، ولم يدر ما سبب ذلك، واحتفظ بالدراعة. فلما كان بعد أيام تغير علي بن يقطين على غلام كان يختص به فصرفه عن خدمته، وكان الغلام يعرف ميل علي بن يقطين إلى أبي الحسن موسى عليه السلام، ويقف على ما يحمله إليه في كل وقت من مال وثياب وألطاف وغير ذلك، فسعى به إلى الرشيد فقال: إنه يقول بإمامة موسى بن جعفر، ويحمل إليه خمس ماله في كل سنة، وقد حمل إليه الدراعة التي

أكرمه بها أمير المؤمنين في وقت كذا وكذا. فاستشاط الرشيد لذلك وغضب غضبًا شديدًا، وقال: لأكشفن عن هذه الحال، فإن كان الأمر كما تقول أزهقت نفسه. وأنفذ في الوقت بإحضار علي بن يقطين، فلما مثل بين يديه قال له : ما فعلت بالدراعة التي كسوتك بها؟ قال: هي يا أمير المؤمنين عندي في سفط مختوم فيه طيب، قد احتفظت بها، فكلما أصبحت إلا وفتحت السفط ونظرت إليها تبركًا بها وقبلتها ورددتها إلى موضعها، وكلما أمسيت صنعت بها مثل ذلك.

فقال: أحضرها الساعة، قال: نعم يا أمير المؤمنين. واستدعى بعض خدمه فقال له: امض إلى البيت الفلاني من داري، فخذ مفتاحه من خازنتي وافتحه، ثم افتح الصندوق الفلاني فجئني بالسفط الذي فيه بختمه. فلم يلبث الغلام أن جاء بالسفط مختومًا، فوضع بين يدي الرشيد فأمر بكسر ختمه وفتحه. فلما فتح نظر إلى الدراعة فيه بحالها، مطوية مدفونة في الطيب، فسكن الرشيد من غضبه، ثم قال لعلي بن يقطين : اردها إلى مكانها وانصرف راشدًا، فلن أصدق عليك بعدها ساعيًا. وأمر أن يتبع بجائزة سنية، وتقدم بضرب الساعي به ألف سوط، فضرب نحو خمسمائة سوط فمات في ذلك) [٣٦]، وقد خرج علي بن يقطين من هذا الامتحان بفضل تسديد الإمام له، والدعاء له، ودفع الأخطار عنه في عدة مناسبات ووقائع، بما يتمتع به الإمام عليه السلام من علم غيبي وإحاطة شاملة بالأمور ولاسيما أن أمر تشيعه لم يكن خافيًا على الأذناب والعملاء، والذين يتقربون إلى السلطة بكل وسيلة .

هذه الحادثة في هذه الرواية تبين مدى حرص الإمام عليه السلام على حياة وكرامة فرد واحد من المؤمنين والاهتمام به، وعدم التخلي عن نصحه وتوجيهه، فلك أن تتصور مدى اهتمام الإمام عليه السلام بالمؤمنين وحرصه عليهم ورعايتهم!!!

وفاته ومرقده:

اختلف أصحاب الكتب الرجالية في تاريخ وفاة علي بن يقطين رضي الله عنه فقد ذهب النجاشي[٣٧] والشيخ الطوسي[٣٨] إلى أنه مات سنة (١٨٢هـ) وقد ذكر الشيخ الطوسي أنه قد مات وله من العمر(٥٧) عامًا، وقد ذهب الكشي[٣٩] إلى أن وفاته سنة (١٨٠هـ) لكن السيد الخوئي[٤٠] أشكل على ما ذكره الشيخ الطوسي من أنّ عُمر علي بن يقطين كان سبعًا وخمسين سنة لا يجتمع مع قوله: ولد سنة (١٢٤) وتوفى سنة (١٨٢)، نعم يجتمع ذلك مع ما ذكره الكشي من أن علي بن يقطين مات سنة (١٨٠)، ولكن لو حسبنا على ما استدل به السيد الخوئي، يصبح عمر علي بن يقطين رضي الله عنه (٥٦) سنة.

ويقع قبره اليوم في مركز مدينة البصرة القديمة شارع بشار مقابل الجامع الكبير وهناك رواية تشير إلى أن وفاته بمدينة بغداد، وأن الأمين العباسي ولي عهد هارون قد صلى على جنازته، حينما كان الإمام الكاظم عليه السلام في غياهب السجون[٤١]. رحم الله علي بن يقطين وأسكنه الجنة مع سادته ومواليه محمد وآل محمد■

---

١) رجال النجاشي/النجاشي (٢٧٣)
٢)خلاصة الأقوال/ الحلي (١٧٤)
٣)رجال الطوسي/ الطوسي (٣٤٠)
٤)أعيان الشيعة/ محسن الأمين (٣٧١/٨)
٥) إتقان المقال/ محمد طه نجف (٩٩)
٦)رجال النجاشي (٢٧٣)

٧)الفهرست/ الطوسي(١٥٤)، تحف العقول/ ابن شعبة (٤١٠).
٨)الفهرست (١٥٤).
٩)ينظر رجال النجاشي(٢٧٤)، رجال بن داود (١٤٢).
١٠)ينظر الرسائل العشر / الطوسي (١٩)
١١)اختيار معرفة الرجال / الطوسي (٢/ ٨٢٩)
١٢)أعيان الشيعة (٣٧١/٨)
١٣)خلاصة الأقوال (١٧٤)
١٤)ينظر الرسائل العشر (١٩)
(١٥)معجم رجال الحديث / الخوئي (١٣/ ٢٥٢)
(١٦)رجال النجاشي (٢٧٣)
(١٧)معجم رجال الحديث (١٣/ ٢٤٩)
(١٨)معجم رجال الحديث (١٣/ ٢٥٠)
(١٩)الفهرست(١٥٤)، تحف العقول/ الحراني (٤١٠)
(٢٠)رجال النجاشي (٤٥/ رقم ٩١)
(٢١)رجال الطوسي (٣٥٥/رقم ٥٢٥٩)، خلاصة الأقوال (١١٤)
(٢٢)الفهرست (١٥٤)
(٢٣)اختيار معرفة الرجال (٢/ ٨١٩/٧٣٢)
(٢٤)المصدر السابق (٧٢٩/رقم ٨٠٨)
(٢٥)المصدر السابق (٢/٧٣٠ رقم ٨٠٩)
(٢٦)المصدر السابق (٧٣١/٢ رقم ٨١٣)
(٢٧)الارشاد / المفيد (٢ / ٢٤٧)
(٢٨)الفهرست (١٥٤/ رقم ٣٨٨)
(٢٩)مناقب آل أبي طالب (٤٣٨/٣)
(٣٠)الرسائل العشر (١٩)
(٣١)اختيار معرفة الرجال/ج٢ ص٧٣٣.
(٣٢)عوالي اللئالي/ ابن أبي جمهور الاحسائي(٢٧/١)
(٣٣)الاحتجاج/ الطوسي(١٥٩/٢)، حقوق المؤمنين / ابن طاهر الصوري (٢٤)
(٣٤)الاحتجاج (١٥٩/٢)
(٣٥)حقوق المؤمنين (٢٤)
(٣٦)الإرشاد (٣١٣)
(٣٧)رجال النجاشي (٢٧٣)
(٣٨)الفهرست (١٥٤)
(٣٩)اختيار معرفة الرجال (٢/ ٧٢٩ رقم ٨٠٥).
(٤٠)معجم رجال الحديث (١٣/ ٢٥٢).
(٤١)تحف العقول (٤١٠).

طروحات عامة

المصاحف المنسوبة لأمير المؤمنين عليه السلام

د. علي عبد الزهرة الفحام

ينابيع

ذكرت كتب السيرة والحديث، وموسوعات التراجم والأنساب، ومصادر تاريخ القرآن الكريم والمصاحف، وكتب الببليوغرافيا والفهارس، أن ثمة نسخاً عديدة من المصاحف المنتشرة في البلاد الإسلامية تُنسب لأمير المؤمنين عليه السلام، قيل إن بعضها بخطه الشريف، والبعض الآخر إما بالرواية عنه، أو وفقاً لقراءته، ومن هذه المصاحف:

١. مصحف في القرن الثالث الهجري

زعم الهادي يحيى بن الحسين بن قاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام من أئمة الزيديّة، المتوفى سنة ٢٩٨ هـ، أنه رآه، فذكر في كتابه المسمى بـ(الأحكام) أنه وجد مصحف عليٍّ عليه السلام عند عجوز من آل الحسن عليه السلام فكان على ما في أيدي الناس[١]، ويبدو أن هذا المصحف هو الذي رآه ابن النديم عند أبي يعلى حمزة الحسني كما سنذكر قريباً.

٢. مصحف في القرن الخامس الهجري

ذكره ابن النديم البغدادي، قال: قال ابن المنادي: حدثني الحسن بن العباس، قال أخبرت عن عبد الرحمن بن أبي حماد، عن الحكم بن ظهير السدوسي، عن عبد خير، عن علي عليه السلام أنه رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله، فأقسم أنه لا يضع عن ظهره رداءه حتى يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القران، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن من قلبه، وكان المصحف عند أهل جعفر، ورأيتُ أنا[٢] في زماننا عند أبي يعلى حمزة الحسني رحمه

مصحف مخطوط ينسب خطه إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

الله مصحفاً قد سقط منه أوراق، بخط علي بن أبي طالب، يتوارثه بنو حسن على مر الزمان[٣].

١. مصحف في المشهد العلوي، كان موجوداً في النجف في القرن الثامن الهجري

ذكره النسابة ابن عنبة (ت٨٢٨هـ) قائلاً: (وقد كان بالمشهد الشريف الغروي مصحف في ثلاثة مجلدات بخط أمير المؤمنين علي عليه السلام احترق حين احترق المشهد سنة خمس وخمسين وسبعمائة، يقال إنه كان في آخره: وكتب علي بن أبو طالب. ولكن حدثني السيد النقيب السعيد تاج الدين أبو عبد الله محمد بن القاسم بن معية الحسنى النسابة، وجدي لأمي المولى الشيخ العلامة فخر الدين أبو جعفر محمد بن الحسين ابن حديد الأسدي رحمه الله: أن الذي كان في آخر ذلك المصحف علي بن أبي طالب، ولكن الياء مشتبهة بالواو في الخط الكوفي الذي كان يكتبه علي عليه السلام)[٤].

٢. مصحف في مرقد عبيد الله بن علي، كان موجوداً في القرن التاسع الهجري

وهذا المصحف رآه النسابة ابن عنبة (ت٨٢٨هـ) بعينه، قال: وقد رأيت أنا مصحفاً (بالمذار[٥] في مشهد عبيد الله بن علي بخط أمير المؤمنين عليه السلام في مجلد واحد في آخره بعد تمام كتابة القرآن المجيد: (بسم الله الرحمن الرحيم كتبه علي بن أبو طالب). ولكن الواو تشتبه بالياء في ذلك الخط كما حكياه لي عن المصحف بالمشهد الغروي، واتصل بي بعد ذلك أن مشهد عبيد الله احترق واحترق المصحف

الذي فيه)[٦].

٣. مصحف نصفه في المرقد العلوي، والآخر في المرقد الرضوي، كان موجوداً في القرن الثالث عشر الهجري.

ذكره العلامة المجلسي قائلاً: (وفي سنة ١٢٤٣هـ جعل السلطان فتح علي شاه القاجاري عليه مشبكا من الفضة الخالصة، ويوجد على قبره نصف قرآن بقطع البياض بالخط الكوفي الجيد على ورق من رق الغزال، ونصفه الآخر بذلك الخط في مكتبة الرضا عليه السلام وفي آخره: كتبه علي بن أبو طالب، فلذلك كان الاعتقاد بأنه خطه عليه السلام)[٧]، وقد علق المجلسي على مثل هذه المصاحف قائلاً:(وظني القوي أن القرآن بخط علي عليه السلام لا يوجد إلا عند الحجة عليه السلام وأن [كاتب] القرآن المدعى كونه بخطه عليه السلام هو علي بن أبي طالب المغربي، وكان معروفاً بحسن الخط الكوفي، ونظيرها هذا القرآن بذلك الرقم بعينه يوجد في مصر بمقام رأس الحسين عليه السلام كما ذكرنا أنه كان يوجد نظيره أيضاً في المرقد العلوي المرتضوي، وأنه احترق فيما احترق هذا، وربما ينقل عن بعض أن مشهد السيد أحمد المذكور في بلخ، والله العالم)[٨].

٤. مصاحف في القرن الرابع عشر الهجري

رآها السيد محسن الأمين صاحب أعيان الشيعة، وهي عدة مصاحف، قال عنها:

أ. (قرآن منسوب إلى شريف خط مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام موجود في الخزانة الشريفة الغروية رأيناه فيها في جمادى الثانية سنة ١٣٥٣هـ وفي آخره كتبه علي بن أبي طالب في سنة أربعين من الهجرة. وهي سنة شهادته)[٩].

ب. (جزء من القرآن المجيد منسوب إلى خطه الشريف أيضاً من أول سورة هود إلى آخر سورة الكهف بشكل ما نسميه سفينة ويسميه الفرس بياضاً أي أن أسفل كراريسه من جهة العرض لا من جهة الطول وكذلك باقي المصاحف التي رأيناها. رأيناه في خزانة الكتب الشريفة الرضوية في ١٢ربيع الثاني ١٣٥٣هـ عند تشرفنا بزيارة مشهد الرضا عليه السلام مكتوب على الجلد الرقيق الذي لا يفترق كثيراً عن الكاغد بخط كوفي غير منقط وعليه نقط بالحمرة مدورة هي علامات على الشكل والظاهر تأخرها عن كتابته، فللكسرة نقطة تحت الحرف، وللفتحة نقطة فوقه، وللضمة نقطة أمامه، وإذا كان في وسط الكلمة توضع النقطة بجانبه وللتنوين نقطتان، فوقه للمنصوب وتحته للمخفوض وأمامه للمرفوع، أما الحرف الساكن فليس عليه علامة. وقد كانت المصاحف أولاً غير منقطة لا للإعجام ولا للشكل وأول من نقطها للشكل أبو الأسود الدؤلي ... كان يقول للكاتب: إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه وإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف، ذكره ابن النديم في الفهرست وزاد ابن الأنباري في نزهة الألباء فإن اتبعت شيئاً من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين وهذا بعينه تنقيط المصاحف التي رأيناها وهو يؤيد أنها بخطوطهم عليهم السلام، وفي آخره في سطرين هكذا: كتبه علي بن أبي طالب، وجلده مذهب موضوع في صندوق مذهب كلاهما في غاية الإتقان

مكتوب على جلده وقف الشاه عباس الصفوي سنة ١٠٠٨ عدد أوراقه ٦٨ سطور كل صفحة ١٥ طوله ٣٤ سانتيماً عرضه ٢٣ سانتيما قطره ٣ سانتيمات وكتب الشيخ البهائي على ظهره بخط يده ما صورته: هذا الجزء من القرآن المجيد الذي هو بشريف خط سيد الأوصياء وحجة الله على أهل الأرض والسماء نفس الرسول وزوج البتول وأبي السبطين وإمام الثقلين والمخصوص باختصاص إنما وليكم الله المعزز بإعزاز من كنت مولاه فعلي مولاه: سلام من الرحمن نحو جنابه فإن سلامي لا يليق ببابه وقف على الحضرة المنورة المقدسة المطهرة الرضية الرضوية على ساكنها ألف صلاة وسلام وتحية والواقف هو تراب أعتابها والمفتخر بخدمة بابها أعني سيد سلاطين الزمان وأشرف خواقين[١٠] الدوران صاحب النسب الطاهر النبوي والحسب الظاهر العلوي أبو المظفر شاه عباس الحسيني الموسوي الصفوي خلد الله تعالى ملكه وأجرى في بحار النصر والتأييد فلكه بمحمد وآله الطاهرين، وكان ذلك في شهر جمادى الأولى سنة ١٠٠٨ من الهجرة. حرره تراب أقدام خدام العتبة المقدسة الرضوية بهاء الدين محمد العاملي عفي عنه)[١١].

أقول: هذا المصحف الشريف لا يزال موجوداً إلى اليوم، وقد يشكك البعض في نسبته للإمام أمير المؤمنين عليه السلام لأمرين: أولهما: وجود الأعداد في فواصل السور، وثانيهما إن كلمة (أكناناً) و (إسرائيل) كتبت بالألف، ولم تَعهد كتابة ألف المد في ذلك الزمان.

جـ. (جزء من المصحف المجيد منسوب إلى خط مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً هو كالجزء السابق بجميع مميزاته سوى أن سوره غير سوره وعليه نقط قليلة خضر من تحت وفوق وأقل منها زرق غير نقط الشكل الحمر لم نتحقق المراد منها، وفي آخره في سطرين هكذا: كتبه علي بن أبي طالب، عدد أوراقه ٩٢ سطور كل صفحة ٧ طوله ٢٧ سانتيماً عرضه ١٨ سانتيماً قطره ٣ سانتيماً، وكتب الشيخ البهائي على ورقة ملحقة بأوله نحو ما كتب الذي قبله بتاريخ رجب سنة ١٠٠٨هـ، ويوجد مصاحف أخر منسوبة إلى خط مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الخزانة الغروية وعلى ضريح الإمام الرضا عليه السلام)[١٢].

٥. مصاحف معاصرة موجودة في مناطق مختلفة

ثمة الكثير من المصاحف المنتشرة في مكتبات ومتاحف العالم اليوم، تُنسب كتابتها أو الأمر بكتابتها إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ومن هذه المصاحف:

أ. المصحف الذي يحتفظ به متحف طوب قابي بإسطنبول: كتب على الرق المبشور، أي رق استعمل من قبل ثم أزيلت الكتابة منه وكتب عليه مرة ثانية، وعدد أوراقه مائة وسبع وأربعون ورقة، ونجد في آخره: وكتبه علي بن أبي طالب، وفي الصفحة سبعة أسطر بدون نقط، إلا أنه مشكول بالأحمر والأخضر، ونقرأ فيه من سورة الفاتحة: (**وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّين**).

وفي صفحة أخرى منه: (**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**). كتبه علي بن أبي طالب، ويذكر بعض الباحثين أبعاده وصفته فيقول: (أبعاده: ٢٧،٥ x ٢٩،٥

سم؛ فيه ٤١٤ ورقة. قام الباحث (محمد بوينوقالين) بدراسته من أوله إلى آخره، وتبين أن فيه بعض الأخطاء الإملائية نتيجة سهو الكاتب)[١٣].

ب. مصحف آخر في متحف طوب قابي بإسطنبول: يُنسب إلى خط مولانا أمير المؤمنين عليه السلام مكتوب على الرق، فيه حركات الإعراب، وآخر الأدوات دوائر، كما حُليت أسماء السور كلها بالذهب.

ج. مصحف في مكتبة نور عثمانية في إسطنبول، وهو مصحف مكتوب بالذهب، وأحرفه مسورة بمداد أسود على رَق مستطيل الشكل، ونقرأ في هذا المصحف سورة الإخلاص، ونلاحظها وهي محفورةٍ بالذهب مسورة: (**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**).

د. مصحف المشهد الحسيني في القاهرة أبعاده: ١٩ x ١٤ سم؛ سمكه: ١٧ سم؛ فيه ٥٠٨ ورقة؛ في كل صفحة ١٤ سطراً مكتوب بالخط الكوفي.

هـ. مصحف تيام: أبعاده: ٢١ x ٣٠ سم؛ فيه ٢٨٣ ورقة؛ وفي آخر سورة الناس ذكر أنه كتبه علي بن أبي طالب؛ في كل صفحة ١٦ سطراً مكتوب بالخط الكوفي .

و. مصحف صنعاء

وهو من أشهر المصاحف المتداولة اليوم في الأوساط العلمية والثقافية، وأحدثها اكتشافاً، استخرج في سنة ١٩٦٥ م من مستودع الجامع الكبير في صنعاء، والمصحف ما زال موجوداً في مكتبة الجامع الكبير في صنعاء.

- أبعاده ٣٤ x ٣٦ سم.
- فيه ٢٠ سطراً في كل صفحة.
- ينسب إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام ويقال إنه كتب بقلمه، ففي أول المجلد الأول منه كتبت في مقابلته هذه العبارة: "النصف الأول من مصحف الشهيدين بقلم أبي السبطين رجب ١٣٩٥ هـ" والمقصود بالشهيدين ولدي والي اليمن عبيد الله بن عباس، الذين قتلهما والي معاوية على اليمن بسر بن أبي أرطأة.
- المصحف بحاجة إلى ترميم و ١٥ بالمائة منه مفقود.
- وتوجد أوراق قليلة مكتوبة من كتّاب آخرين.
- الآيات مفصولة ويوجد زخرفة بعد كل ١٠ آيات وأشكال أخرى بعد كل مائة آية، وبين السور فاصل بعرض سطر مزخرف، وهو لا يطابق بشكل كامل المصاحف العثمانية، ولكنه لا يخرج عنها في مجملها.
- بقطع النظر عن العبارة الموجودة في مقابلته والتي تزعم كتابة الإمام له، إلا أن نسبته إلى ابني عبيد الله بن عباس تحتم إرجاع تاريخه إلى النصف الأول من القرن الهجري الأول، لأنهما استشهدا في هذا التاريخ.
- الأستاذان محيي الدين سرين واليمني إسماعيل بن علي الأكوعي يرجعانه إلى القرن الهجري الثاني. ومع أن كاتب المصحف دقيق جداً كما يبدو، إلا أنه أسقط كلمة) آتنا (في سورة البقرة من قوله: (**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً**) وفي سورة الطور (واصبر (كتبها فصبر، ثم في وقت لاحق صحح الخطأ بكتابة واو وألف فوق الفاء، وفي سورة الواقعة (فمالئون منها) كتبت (منه (وقد ألحقت ألف فيما بعد على الكلمة [١٤].

في عام ٢٠١١م قام الباحث التركي الدكتور آلتي قولاج[١٥] بنشر نسخة طبق

الأصل للمصحف المنسوب إلى علي بن أبي طالب في صنعاء بعنوان: (المصحف الشريف المنسوب إلى علي بن أبي طالب عليه السلام: نسخة صنعاء). يحتوي هذا المصحف على ٨٦٪ من النص القرآني.

تعليق ختامي

لم يثبت بالأدلة العلمية، أو الأسانيد المتصلة، أن هذه المصاحف من خط أو تأليف أو إشراف أمير المؤمنين عليه السلام، فالتعويل عليها في المباحث التاريخية أمر يحتاج إلى تأمل، وإلى هذا أشار العلامة المجلسي قائلاً : (وظني القوي أن القرآن بخط علي عليه السلام لا يوجد إلا عند الحجة عليه السلام، وأن كاتب القرآن المدعى كونه بخطه عليه السلام هو علي بن أبي طالب المغربي، وكان معروفًا بحسن الخط الكوفي، ونظيرها هذا القرآن بذلك الرقم بعينه يوجد في مصر مقام رأس الحسين عليه السلام كما ذكرنا أنه كان يوجد نظيره أيضًا في المرقد العلوي المرتضوي، وأنه احترق فيما احترق هذا وربما ينقل عن بعض أن مشهد السيد أحمد المذكور في بلخ، والله العالم)[١٦].

هامش:

١) فتح البيان/ مصطفى الحسيني الطباطبائي، نسخة الكترونية، ص٢٥؛ ولعل المقصود هنا الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢) الكلام هنا لابن النديم؛ والمقصود بـ(جعفر)؛ إما جعفر الطيار؛ أو جعفر الصادق عليه السلام .

٣) فهرست ابن النديم، ص٣٠.

٤) عمدة الطالب/ابن عنبة الحسيني، ص٢٠.

٥) قال الحموي في معجم البلدان ٥\٨٨: (المَذار: بالفتح؛ وآخره راء؛ وهي عجمية ولها مخرج في العربية أن يكون اسم مكان من قولهم ذره وهو يذره ولا يقال وذرته؛ أماتت العرب ماضيه؛ أي دعه وهو يدعه؛ فميمه على هذا زائدة؛ ويجوز أن تكون الميم أصلية فيكون من مذرت البيضة إذا فسدت؛ ومذرت نفسه أي خبثت وغثت؛ والمذار: في ميسان بين واسط والبصرة وهي قصبة ميسان؛ وبها مشهد عامر كبير؛ وهو قبر عبد الله بن علي بن أبي طالب؛ وأهلها كلهم شيعة ...)

٦) عمدة الطالب، ص٢٠.

٧) بحار الأنوار/محمد باقر المجلسي، ٤٨\٣٠٩.

٨) المصدر نفسه ٤٨\٣٠٩.

٩) أعيان الشيعة/محسن الأمين، ١\٨٩.

١٠) لعل المقصود بها الملوك.

١١) أعيان الشيعة، ١\٨٩-٩٠.

١٢) المصدر نفسه ١\٨٩-٩٠.

١٣) آلتي كولانج، المصاحف المنسوبة إلى عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ص١٥.

١٤) المصدر نفسه ص١٥.

١٥) باحث ومحقق مخطوطات تركي؛ ولد عام ١٩٣٨م – هو من أبرز العلماء الرائدين في حقل الدراسات القرآنية ودراسة وتحقيق المصاحف القديمة خاصة.

١٦) بحار الأنوار، مصدر سابق ٤٨\٣٠٩.

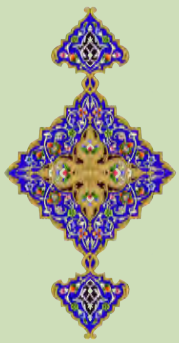

طروحات عامة

السبق الحضاري ورسالة الخاتم ﷺ

السيد معد البطاط – أستراليا

ينابيع

جوانب كثيرة شرعها وأسسها الرسول الأكرم ﷺ تبين عظمته بوصفه مبعوثًا من قبل الله تعالى، جاء برسالة منحت البشرية خطوات كبيرة في الرقي والعدل لم يتوصل إلى بعضها إلا في العصر الحديث، نشير إلى بعضها باختصار مع الأخذ بنظر الاعتبار الوضع الذي نشأ به النبي ﷺ في أمة جاهلية ليس فيها مدنية أو تحضر، إنما عبارة عن قبائل متناحرة دون وعي تعيش على الظلم والغزو والسلب والاعتداء والهمجية والعصبية.

ومعروف أن من ينشأ ويترعرع في مكان ما وبيئة مجتمعية ما سيكتسب طبائعها، فإن حاول أن يخالف بعضها فإنه لا يستطيع بسهولة أن يتمرد على الكثير منها، فضلًا عن أنه ليس بالضرورة أن من يغير بعض ما نشأ عليه يكون قد حصل على النتائج الفضلى.

النبي الأعظم ﷺ غيّر الكثير الكثير، وكل التغيير أضحى الأفضل، بل إنه ﷺ كان له السبق في أمور غيرت مجرى حياة الإنسانية، وللمثال نتأمل النقاط الآتية:

أ ـ الاهتمام بالنظافة:

كان العرب في الجزيرة العربية ينقصهم الماء، فليس هناك أنهار، ومن الطبيعي أن لا يهتموا بالنظافة لقلة الماء، ولكن النبي ﷺ حث على النظافة في مسائل مهمة منها:

١-النظافة العامة: أمر بالنظافة بصورة عامة لكل شيء، وجعلها سنة يحتذى بها، وقد روي عنه قوله ﷺ: (تنظفوا فإن الإسلام نظيف ولا يدخل الجنة إلا نظيف)[1].

٢- الأغسال: وتضم عددًا كبيرًا من الأغسال الواجبة كغسل الجنابة، غسل

الحيض، غسل النفاس، غسل الميت، غسل مس الميت، وغسل الوجه واليدين كل يوم للصلاة عدة مرات، والأغسال المندوبة كغسل الجمعة، غسل أول الشهر القمري، غسل الفطر والأضحى، وغسل من أراد الإحرام للحج أو العمرة، غسل الزيارة، وغيرها الكثير، وقد ذكرت في الرسائل العملية للعلماء.

٣- تنظيف الأسنان: أمر ﷺ بالسواك لتنظيف الفم وهو عود يفترش مثل الفرشاة اليوم وفيه مادة ثبت علميًا أنها جيدة للتنظيف.

٤- تنظيف الثياب والشعر: روى الطباطبائي صاحب الميزان أن النبي ﷺ قال لعائشة: يا عائشة اغسلي هذين البردين، فقالت: يا رسول الله بالأمس غسلتهما، فقال لها أما علمت أن الثوب يسبّح فإذا اتسخ انقطع تسبيحه[٢]. وروي أنه ﷺ رأى رجلًا شعثًا قد تفرق شعره، فقال: أما كان يجد هذا ما يسكن به رأسه؟ ورأى رجلًا عليه ثياب وسخة، فقال: أما كان يجد هذا ما يغسل به ثيابه؟[٣] وروي أنه أمر بتعاهد الشعر وتنظيفه وتنظيمه وإلاّ حلقه.

٥- التطيب والتعطر: حث الرسول الأكرم ﷺ على التطيب والتعطر حتى روي أنه كان ينفق على الطيب أكثر مما ينفق على الأكل.

ب ـ الاهتمام بالأطفال:

اهتم رسول الله ﷺ بالأطفال ماديًا ونفسيًا، إذ كانت النظرة الجاهلية، التي ولد في أجوائها النبي ﷺ، للأطفال سيئة فكانوا يقتلون أطفالهم خوفًا من الفقر، ويدفنون البنت حية (وأد البنات) لأنهم

يعتبرونها عارًا، ولكن الرسالة التي جاء بها النبي ﷺ حرمت ذلك أشد التحريم، وأكرمت الأبناء، وأمرت برحمتهم وأوجبت نفقتهم على الأب حتى يبلغوا، أما البنات فتبقى نفقتها عليه حتى بعد البلوغ، وجعل لتربية الأطفال أسسًا راقية مبنية على الرحمة ومداراة ما يحتاجه الطفل في الجانب الجسدي والنفسي، وللمثال (كان رسول الله يُقبّل الحسن والحسين ـ فقال أحدهم ـ: إنَ لي عشرة ما قبلت واحدًا منهم قط، فقال ﷺ: من لا يَرحم لا يُرحم، وفي رواية: غضب رسول الله ﷺ حتى التمع لونه، وقال للرجل: إن كان قد نزع الرحمة من قبلك فما أصنع بك، من لم يرحم صغيرنا ويعزز كبيرنا فليس منا) (ينظر: مناقب آل أبي طالب/ابن شهرآشوب/ج٣ص١٥٥). وروي أن النبي ﷺ راعى مشاعر الأطفال وحالتهم النفسية. روي عن أم الفضل قالت: (أخذ مني رسول الله ﷺ حسينًا أيام رضاعه، فحمله فأراق ماء على ثوبه، فأخذته بعنف حتى بكى، فقال: (مهلًا يا أم الفضل إن هذه الإراقة الماء يطهرها، فأي شيء يزيل هذا الغبار عن قلب الحسين عليه السلام)[٤].

ت ـ النظرة إلى المرأة:

كانت الجاهلية، بل والعالم كله بصورة عامة ينظر للمرأة نظرة سلبية فقد جاء في شرائع الهند: (إن الوباء والموت والجحيم والسم والأفاعي والنار خير من المرأة)[٥] وفي شريعة منو في الهند لم تكن المرأة تعرف حقًا مستقلًا، وكان الواجب أن تموت بموت زوجها وتحرق معه، وكانت شريعة حمورابي تعدها من المتاع الذي يمتلكه الرجل، وكان اليونان الأقدمون يضعون النساء في منازل بعيدة عن الطرق قليلة النوافذ محروسة الأبواب[٦].

وعدّ الرومان المرأة حيوانًا لا روح له ولا خلود وواجب عليها خدمة الرجل، وفي فرنسا سنة ٥٨٦م عقد اجتماع دار فيه البحث عن المرأة أتعد إنسانًا؟ وقرر أخيرًا إنها إنسان ولكنها مخلوقة لخدمة الرجل. أما في إنكلترا فقد أصدر الملك هنري الثامن أمرًا بتحريم مطالعة الكتاب المقدس على النساء، والقانون الانكليزي حوالي سنة ١٨٥٠م لا يعد المرأة من المواطنين، وليس لها حقوق شخصية[٧]، أما في الجزيرة العربية التي جاء بها الإسلام فيكفينا قوله تعالى في تصوير الحالة المأساوية: (**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**) (النحل:٥٩). لكنّه – جلّ شأنه - جعل خطابه متساويًا للرجل مع المرأة: (**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**) (البقرة:٢٢٨)، وأمر النبي ﷺ بإكرامهن فقد روي عنه قوله: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي، ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم)[٨]، وجعلها متساوية مع الرجل في الثواب والعقاب والواجبات والحقوق إلا ما يختلف لاختلاف تركيبة المرأة كإسقاط النفقة على أطفالها فلم يوجب عليها كسب المال لإعاشتهم بل أوجب على الرجل توفير المال لها ولأطفالها، ونهى عن قتال النساء والولدان في دار الحرب إلا أن يقاتلوا فإن قاتلت أيضًا فأمسك عنها ما أمكنك.

ث ـ الرفق بالحيوان:

ظهر في العصر الحديث مصطلح حقوق الحيوان والاهتمام بذلك، بيد أن هذا الأمر كان النبي ﷺ قد وضعه في

وقته: عن النبي ﷺ: (يجب للدابة على صاحبها ست خصال، يبدأ بعلفها إذا نزل، ويعرض عليها الماء إذا مر به، ولا يضربها إلا على حق، ولا يحملها ما لا تطيق عليه، ولا يكلفها من السير ما لا تقدر عليه، ولا يقف عليها فواقا)[٩]. الفواق: كناية عن الوقت الذي ليس بطويل، وعنه ﷺ: (اركبوا هذه الدواب سالمة ودعوها سالمة، ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق، فرب مركوبة خير من راكبها وأكثر ذكرا لله تبارك وتعالى منه)[١٠].

ونهى النبي ﷺ عن إخصاء الحيوانات والتحريش بينها، أي يثيرها لتتقاتل، وقد كانت طرق قتل الحيوان ضربًا أو الإلقاء من شاهق وغير ذلك، ولكن النبي ﷺ غيَّر ذلك وأمر بالذبح وجعل له آداباً مثل أن يُحد السكين جيدًا، وأن يسقى الحيوان ماءً، وألا يذبح أمام الحيوانات الأخرى، وألا يذبحه من رباه بيده، إلى غير ذلك من آداب راقية في إنسانيتها وطبيعتها في الرفق.

ج ـ حقوق البيئة:

اهتم النبي ﷺ بالحفاظ على البيئة وعدم تلويثها بل أمر بتطويرها، وإنمائها وعدم استنزاف ثرواتها فمن ذلك: أنه ﷺ أمر بالاقتصاد وهو الأخذ قدر الحاجة وعدم هدر المواد التي وهبها الله لنا في الارض، وحرم الإسراف والتبذير وهدر الأشياء، وإن كان هناك فائض. فقد روي أن النبي ﷺ (مر على سعد وهو يتوضأ، فقال ما هذا السرف يا سعد؟ فقال: أفي الوضوء سرف؟ قال ﷺ: نعم وان كنت على نهر جار)[١١]. فرغم كثرة ماء النهر لكن النبي ﷺ نهى أن يسرف فيه.

وكان ﷺ يوصي الجيش ألّا يقطعوا الأشجار ولا يحرقوا الزرع، ونهى ﷺ أن يلقى السم في بلاد المشركين. ونهى أن يبول الإنسان في الماء ولاسيما الراكد منه أو أن يقضي حاجته تحت شجرة مثمرة.

ونهى عن قتل الحيوانات دون ضرورة. فقد روي عنه ﷺ أنه قال: (من قتل عصفورا عبثا جاء يوم القيامة وله صراخ حول العرش يقول: رب سل هذا فيم قتلني من غير منفعة)[١٢]، ونهى عن قتل النحل. وقبال ذلك أمر بالإصلاح وعدم الفساد في الأرض فقد روي عنه ﷺ: (من أحيا أرضًا ميتة فهي له)[١٣]، وروي عنه ﷺ: (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها)[١٤].

ح ـ التعايش السلمي:

بدأ النبي ﷺ دعوته في مكة، فآمن به بعض قومه، لكن عموم مجتمعه اضطهدوه وحاصروه وعذبوا وقتلوا بعض أصحابه وهجروا بعضهم حتى خططوا للغدر به فأنجاه الله تعالى منهم فهاجر إلى المدينة بعد أن آمن أهلها بدعوته، ومع ما يوجد فيها من يهود لم يقسرهم النبي ﷺ على اتباعه، بل تكاتب معهم للتعايش سلميًا، وبالرغم مما كابده من عناد قريش، وبعد أن دارت الحروب الطويلة بينه وبينهم بقي النبي ﷺ يحرص على السلم حتى تصالح معهم وتكاتب وفق شروط فيها نوع من التنازل الوقتي الذي لم يقبله بعض أصحابه وقتئذ، بيد أنهم وبعد أن غدروا به دخل مكة منتصرًا ومع ذلك عفا عن هؤلاء المجرمين.

إنّ من أرقى الدلالات على تقبل الرأي الآخر نجدها في قوله تعالى على لسان النبي ﷺ: (...**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**) (سبأ: ٢٤)، فهذا الأدب

الذي جاء به حال النقاش مع الآخر لا أن يقول إن الحق معي ويتزمت برأيه بل لابد أن يتساهل ويحتمل وجود الحق عند الآخر أو مع الطرف الآخر ـ رغم علمه يقيناً بأن الحق معه، وهذا هو الإنصاف وقبول الرأي الآخر، وإن غاية البحث الوصول إلى الحقيقة بعيدًا عن الجدل السلبي أو المراء الذي يؤدي إلى الخلاف ولا يوصل إلى نتيجة إيجابية.

خ - التواضع والبساطة:

بالرغم من أنّ أصحاب النبي ﷺ كانوا يعظمونه إلى درجة تفوق احترام الملوك، لكنه ﷺ كان لا يرتضي أن يميز نفسه عنهم، بل كان يجلس على الأرض كما يجلسون ويأكل الطعام البسيط كأكل الفقراء فلا يشبع، وكان يصلح نعله بيده ويرقع ثوبه، وأنه لم يبنِ قصرًا أو بيتًا متميزًا، ولم يلبس الثمين ولم يهتم بالأكل بل ذم ذلك، وكان يشدد على الاهتمام بالعلم، وأمر بطلبه أين ما كان ومن أي شخص كان، وأمر بالتفكر والتدبر. روي عنه ﷺ إنه قال: (خمس لا أدعهن حتى الممات: الأكل على الحضيض مع العبيد، وركوبي الحمار مؤكفا، وحلبي العنز بيدي، ولبس الصوف، والتسليم على الصبيان لتكون سنة من بعدي)[١٥].

هامش:

١) المجروحين/ابن حبان/ج٣ص٥٧.
٢) تاريخ بغداد/الخطيب البغدادي/ج٩س٢٤٥.
٣) ينظر: مسند أحمد / أحمد بن حنبل ٣٥٧/٣.
٤) مستدرك الوسائل / ميرزا حسين النوري الطبرسي ٥٥٧/٢.
٥) مقارنة الأديان، الإسلام /د.أحمد الشلبي ٢٠٨.
٦) م.ن.
٧) ينظر: المصدر نفسه ٢١٠ وما بعدها.
٨) الجامع الصغير/جلال الدين السيوطي/ ج١ص٦٣٢.
٩) دعائم الاسلام/القاضي المغربي/ج١ص٣٤٧.
١٠) كنز العمال/المتقي الهندي/ج٩ص٦٣.
١١) زبدة البيان في أحكام القرآن/ المحقق الأردبيلي ٤٨٩.
١٢) البحار/المجلسي/ج٦١ص٢٧٠.
١٣) المبسوط / الشيخ الطوسي ٢٦٨/٣.
١٤) كنز العمال/المتقي الهندي/ج٣ص٨٩٢.
١٥) الأمالي / الشيخ الصدوق ١٣٠.

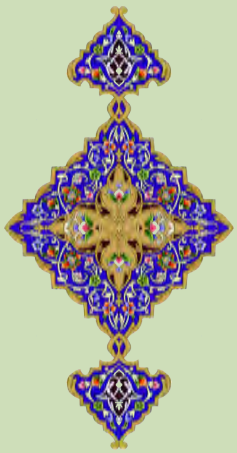

مدن إسلامية

فتح بور سيكري .. مدينة الهند الملكية

(فتح بور سيكري) هي واحدة من أهم المدن الملكية المسورة التي أنشأها أباطرة دولة المغول المسلمين في الهند، وتعد من المجمعات التي احتفظت بمعالمها الرئيسة على مر الزمن. فقد أمر السلطان (جلال الدين أكبر) الذي كان متشيعاً من أتباع أهل البيت عليهم السلام بتشييد هذه المدينة احتفالًا بانتصاراته الحاسمة على ملوك الهندوس، وبدأ العمل فيها عام ٩٧٧هـ / ١٥٦٩م، وبعد عامين من العمل قرر (أكبر) نقل عاصمة دولته من مدينة أجرا (أكرا أو أغرا) إلى موقع تلك المدينة التي عرفت أولًا باسم فتح أباد، ثم اشتهرت باسم (فتح بور سيكري)، تعتبر مدينة فتح بور سيكري من أعظم مدن العالم جمالًا من حيث التنسيق وطراز العمارة الباذخ وأسلوب تشييد الحدائق والبساتين. وهي مربعة مسورة من ثلاث جهات تخترقها ثلاث بوابات، ورابعها شاطئ جميل يتربع على أعلى رابية عليها القصر الإمبراطوري والمسجد الجامع.

تشكل مباني فتح بور سيكري خليطًا متناسقًا من التقاليد المعمارية الإسلامية والهندية بسبب استخدام بنائين من أقاليم إسلامية وهندية مختلفة. وتعد فتح بور سيكري اليوم مزارًا سياحيًا مهمًا بالهند، خاصة بعد إجراء حفائر أثرية في محيطها، كشفت عن أنقاض مدينة هندية قديمة، واستمرار أهل سيكري في إنتاج التحف التقليدية التي تلقى رواجًا تجاريًا كبيرًا.

واحة الأدب

تداخل الأساليب في دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام

أ.م.د. هاشم جعفر الموسوي
جامعة بابل / كلية التربية

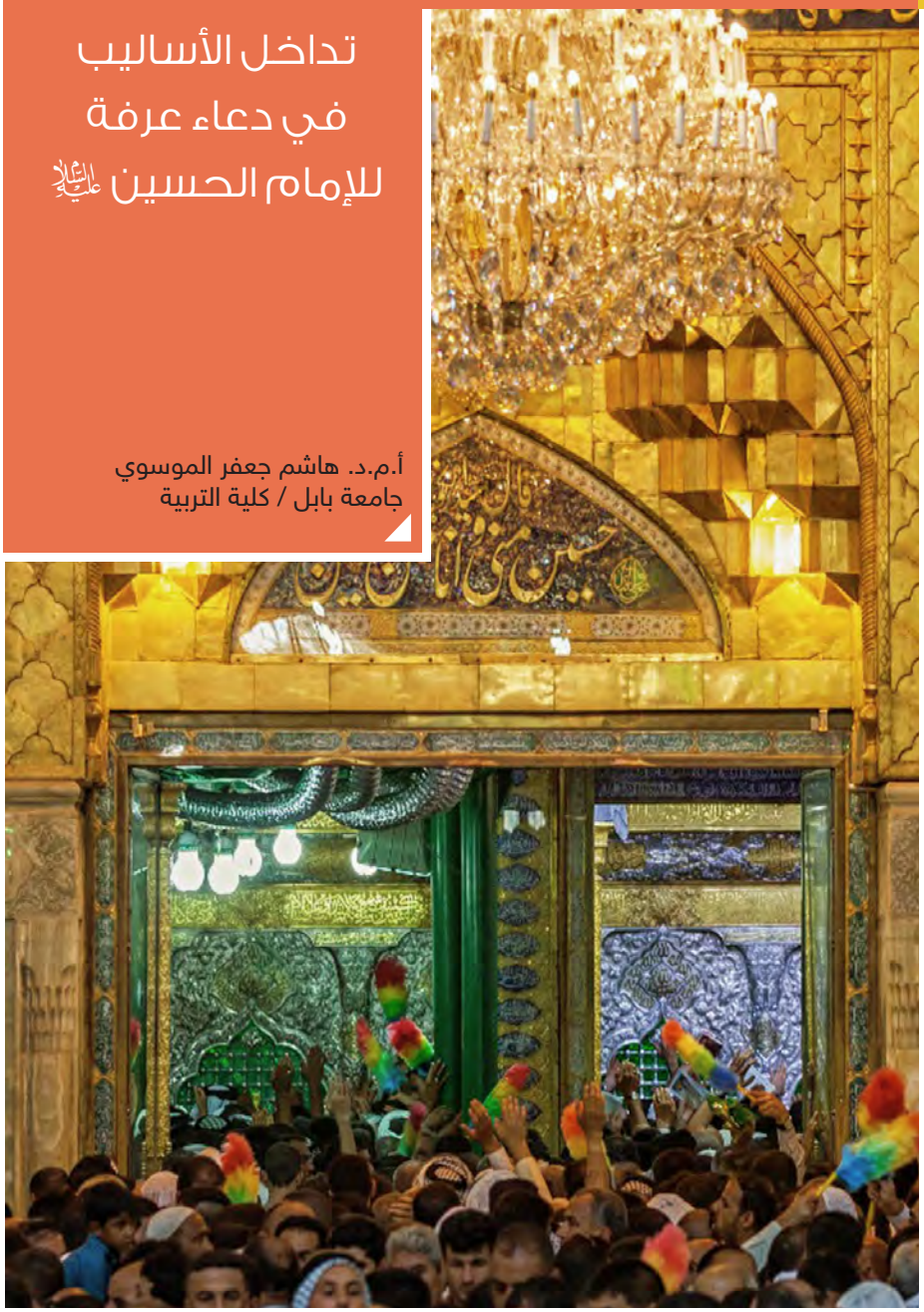

ينابيع

من المعلوم أنّ الدعاءَ وعاءُ المشاعر الصادقة، ومحلُّ الكلم الطيِّب والأنفاس المعطرة بعطر الألفاظ الربانية. ومن المعلوم أنّ الداعي منسجمٌ مع ذاته، متوافقٌ مع طاقاته الشعورية التي يبثُّها في أثناء الدعاء، وهذه المشاعر وهذه الطاقات المُعبَّر عنها بما يصدر من كلام، يُسمّى بالدعاء، لا بُدّ أن تكون لها مزايا مستقلّة وطرائق في التعبير مميزة، ويمكن أن نجمل عامتها، بأنّ الدعاء يتخذ من أساليب كلامية نشطة بين نصوصه، وسيلةً للوصول إلى غايات الداعي المتنوعة، إذ إن الداعي - بلا شك – به حاجة إلى إقبال المدعو عليه، فهو الطلب الرئيس له والغاية المقصودة من وراء دعائه، لذا نرى أسلوب النداء يشغل حيزاً مهماً في الدعاء، ثم إن الداعي يخاطب قوة عظمى غائبة عن مداركه الحسية، في محاولة منه للتواصل معها بإقامة حوار مباشر بين العبد وربه، لذا هو محتاج إلى الاستفهام الحقيقي ليُظهرَ عجزه عن إدراك ما يجهله، ولكي يقرر ذلك العجز أيضاً قد يلجأ إلى الاستفهام المجازي أحياناً . ثم هو في سعيه لتحقيق غايته في استجابة دعائه قد يستعمل صوراً من أسلوب الشرط متنوعة يضمن بها إنجاز ما طلبَ.

إنّ ما ذُكر آنفاً يمثل مزايا عامة لأساليب الدعاء، ويبقى للاستقصاء والتفصيل موارد شتّى تُلحظ بالدراسات المتخصصة بفنون الدعاء، غير أننا نلحظ مزيّة أخرى في دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام، ذلك أن الدعاء تتداخل فيه الأساليب الكلامية بكثرة كاثرة، وأن هذا التداخل يتكرر مرات متعددة، ومعه يمكن أن تبرز سمة أسلوبية جليّة تستحق أن يُنبَّه عليها وعلى الدلالات المترتبة على ذلك التداخل .

إن دعاء عرفة من أشهر الأدعية المروية عن آل البيت عليهم السلام، وإن أول من ذكره هو السيد ابن طاووس، وأهمية الدعاء تكمن في أنه دعاء وارد على لسانٍ مباشرٍ للإمام المعصوم، وهو بعدُ موسوعةٌ استدلالية لإثبات كليّات مسائل العقيدة الإسلامية، فمن قرأه بإنعام نظرٍ يجد استدلالات الإمام استدلالاتَ معمّقة لإثبات أصول الدين، من : توحيد، وعدل، ونبوة، وإمامة، ومعاد، فضلاً عن الاستدلال على الغاية الأصلية لكل دعاء، وهي وجوب شكر نعمة الباري (عزّ وجلّ).

وبعد هذه المقدمة الموجزة حريّ بنا أن نعرض لنماذج من نصوص الدعاء تداخلت فيها الأساليب، وتنوعت، وتكاملت، لإنتاج دلالة مقصودة من مجموع تلك الأساليب، ويمكن أن ندرسها على النحو الآتي :

أولاً: تداخل أسلوبَيّ الاستفهام والنداء

المعروف أن الاستفهام طلب الإخبار والفهم، وأن النداء طلب إقبال المدعو والذي يتبادر إلى الذهن أن يطلب الداعي إقبال المدعو عليه ثم يستفهم منه عن حاجته. لكن الوارد في الدعاء، المكرر في نصوصه، ورود الاستفهام متداخلاً مع النداء، ومن ذلك قوله عليه السلام : (فأيُّ نعَمكَ يا إلهي أُحصي عَدَداً وذِكراً، أم أيُّ عطَاياكَ أقومُ بها شُكراً)[1].

إن المتأمل في النص الكريم يجد أن الاستفهام فيه لم يكن لغرض طلب الإجابة، فالإمام عليه السلام لا ينتظر الجواب لأنه عارف به، إنما كان الغرض من الاستفهام أمرين، أولهما: نفي القدرة عن إحصاء

النعم الإلهية، وعليه يكون الاستفهام هنا خرج مجازاً إلى النفي. والآخر: الإشارة إلى كثرة هذه النعم وترادفها بحيث لا يستطيع العبد إحصاءها، فيستلزم ذلك منه استلزاماً واجباً أن يُفرغ طاقته في الدعاء لشكرها، ويعضد ذلك ما قيل في أن الاستفهام يستلزم فراغاً زمنياً بين السؤال والجواب، وقد وظّفه الإمام هنا ليمنح فسحة لمتلقي الدعاء أن يتأملوا فيه ويتدبروا ويتذكروا، فيتراكم عندهم الشعور بوجوب شكر النعمة.

إذن: هذا الاستفهام وجّهه الإمام عليه السلام وهو عالمٌ بالإجابة، ثم أتبعه بالنداء (يا إلهي)، وبنية الدعاء هذه المكونة من (حرف نداء مظهر والمنادى المُعَظَّم - إلهي - المشتمل على الإضافة التشريفية إلى ذاته المقدسة بياء المتكلم) فيه الدلالة على إرادة إظهار عظمة المنادى وجلاله، فقد وقف الطالب عند هذا الموقف معترفاً بالعجز عن شكر النعم، ذلك أنه لا يستطيع أن يعدّها ويحصيها، فكيف يؤدي حقّ شكرها، فكان الطلب الآخر أن يلتفت إليه المنعم سبحانه بعين الرحمة فيسجل اعترافه بالعجز ويجازيه على ذلك الاعتراف، فمن الثابت أن إظهار العجز في ساحة الرحمة من أشدّ النعم المستوجبة لثناء الباري (جلّ جلاله) وعطائه الجزيل.

ثم نجد تكرار هذا التداخل مرة أخرى في النص بالنمط نفسه، إذ يكمل الإمام قوله: (أم أيُّ عطاياكَ أقومُ بها شُكراً) فيُسوّي بين العبارتين تحقيقاً لوحدة السياق.

ثانياً: تداخل أسلوبي الشرط والنداء

بنية الشرط تستلزم فعل شرط وجوابه، وهما مبنيان على قاعدة الاقتضاء، وهو إما أن يكون اقتضاء وجوبياً كما في السبب والنتيجة المترتبة عليه، أو اقتضاء استلزامياً قد لا يستدعي الوجوب . وقد تداخل هذا الأسلوب في نصوص دعاء عرفة بأسلوبي النداء والاستفهام في مواضع منه ليحقق قيمة دلالية ناتجة من اختلاط تلك الأساليب، ومن أمثلة تداخل أسلوبي الشرط والنداء قول الإمام عليه السلام: (فإنْ تُعذبْني يا إلهي فَبذُنوبي بعدَ حُجّتكَ عَليَّ وإنْ تَعْفُ عنّي فَبِحِلْمِكَ وجُودِكَ وكرمِكَ)[٢]

نلحظ في الدعاء أن أسلوب الشرط ورد على نمطه الأصلي(أي: أداة الشرط والشرط ثم جوابه)، ليؤذن باقتضاء الشرط للجواب، إذا ما تحقق متعلّق الشرط، فعلى وفق الأحكام الجزائية يكون ارتكاب الذنب بعد إقامة الحجة على وجوب تركه مقتضياً للعذاب، غير أنا نلحظ أن كلام الإمام وارد في معرض الرجاء وطلب العفو من الحليم الجواد، وهو مطلب أقرب إلى التحقق من استحقاق العذاب، يشهد لذلك أن جزءاً من جواب الشرط قد حُذف، إذ التقدير (فإن تعذبني فبذنوبي تعذبني) فحذف (تعذبني) من الجزاء تخفيفاً على النفس وتهويناً لها، إذ هي إلى نيل العفو أرجى.

ثم يتداخل أسلوب الشرط مع أسلوب النداء (يا إلهي) المشعر بعظمة المخاطب، فهو الإله الذي بيده مقادير كل شيء ومنها العذاب والعفو، وفي الإضافة إلى ياء المتكلم ما يُنبئ بمقام استشعار اللطف الإلهي والرحمة المقتدرة، ممّا يطمئن معه العبد إلى تحقّق مطلبه، يسند ذلك قوله عليه السلام: (وإنْ تَعْفُ عنّي فَبِحلْمِكَ وجُودِكَ وكرمِكَ)، فتكرار صفات الجمال (حلمك وجودك

وكرمك) ممّا يستعطف به لإنجاز الطلب.

ثالثاً: تداخل أساليب الشرط والنداء والاستفهام

نجد في نصوص دعاء عرفة أيضاً تداخل أكثر من أسلوب في النص الواحد ومن أمثلة ذلك ما ورد في قول الإمام عليه السلام: (وما عسى الجحودُ ولو جَحَدْتُ يا مولايَ يَنفعُني كيف وأنّى ذلك وجوارحي كلُّها شاهدةٌ عَلَيّ بما قَدْ عَمِلْتُ)[٢].

يستعمل الإمام في هذا النص بنية الشرط (بأداة الشرط لو الممتنعة جواباً لامتناع تحقق الشرط)، ونلحظ أن أركان الشرط في هذا الاستعمال مُحوّلةٌ عن نمطها الأصلي، منفتحةٌ على بنيات تركيبية أخرى تسمح للكلام بفسحة في الدلالات التي يستقيها المتلقي من الجمل الكبرى المؤتلفة في هذا النص، إذ إن المعنى المتحقق من أسلوب الشرط (أنّ الجحود لا ينفعني ولو جحدتُ)، ولكنا نرى تلك الملكة المتمكنة والذائقة المتفردة التي يتمتع بها أئمة الكلام عليهم السلام في ترتيب الألفاظ ضمن بنياتها الأسلوبية لتؤدي معانيها المطلوبة على أكمل صورة، فقد قطع الإمام من أول الكلام الطريقَ على الجاحد وخيّب رجاءه وسلبَ انتفاعه من الجحود .

ثم نلحظ تداخل هذا الأسلوب تداخلاً تركيبياً اعتراضياً مع أسلوب النداء (يا مولاي) الذي يُنبئ بالشرط والجزاء بين العبد والمولى، ثم يتداخل كل ذلك مع تكرار أداتي الاستفهام (كيف، وأنّى) رغبةً في تكثيف الاستفهام الخارج مجازاً إلى النفي وشدة إنكار الفعل والتعجب من الجحود، فقد أفادت (كيف) نكران الجحود على أية حال، وأفادت (أنّى) نكرانه في أيّ زمان ومكان، ومعه يثبت أنْ لا ملجأ للجاحد إلا الإقرار بما جحدَه، لأن الإنكار لا ينفعه البتّة.

١) مفاتيح الجنان: الشيخ عباس القمي ص ٣٢٩.
٢) المصدر نفسه ٣٣٥.
٣) المصدر نفسه ٣٣٥.

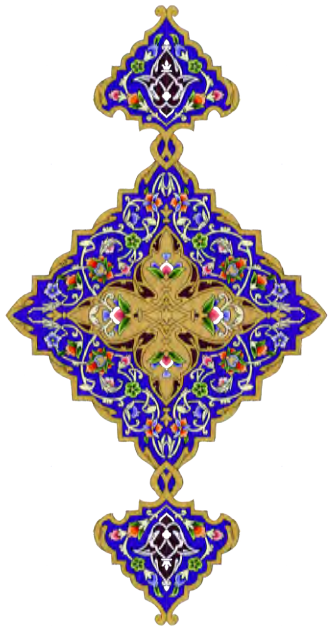

أجوبة مسابقة العدد (٦٩)
وأسماء الفائزين

السـؤال الأول: أ-عند حجر إسماعيل عليه السلام.

السـؤال الثاني: ب- الصادق عليه السلام/ الكاظم عليه السلام.

السـؤال الثالث: أ- ثلاث حوائج.

السـؤال الرابع: ج- صفية بنت عبد المطلب.

السؤال الخامس: أ- ٢٣ رجب.

السؤال السادس: ب- غزوة تبوك.

السـؤال السابع: ب- علي بن محمد السمري.

السـؤال الثامن: أ- أبو أيوب الأنصاري.

السـؤال التاسع: ج- ثلاثين سنة.

الفائز بالجائزة الأولى: تهاني سالم كاظم/ ديوانية/ مهناوية.

الفائز بالجائزة الثانية: جعفر عمران دهش/ الكوت / العزيزية.

الفائز بالجائزة الثالثة: محمود شاكر مرهون/ البصرة/ القرنة.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم
ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد.

مسابقة العدد (٧١)

١ (اللهم اغفر لي كل ذنبٍ اذنبته قط، فإن عدة فعد علي بالمغفرة، فإنك أنت الغفور الرحيم...) من أدعية الإمام أمير المؤمنين كان عليه السلام يدعو به إذا حضر موسم الحج ففي أي مكان كان يدعو بهذا الدعاء؟

أ- إذا صعد الصفا واستقبل القبلة.

ب- إذا وقف أزاء مقام إبراهيم عليه السلام.

ج- إذا سعى بين الصفا والمروة.

٢ (ما تقول في محرم قتل صيداً) من الأسئلة المشهورة التي وجهها قاضي المأمون يحيى بن اكثم للإمام الجواد عليه السلام، فقام الإمام عليه السلام بتفصيل المسألة وتفريعها وأجاب عن ذلك كله فكم كان عمره عليه السلام حينها؟

أ- تسع سنين وأشهر.

ب- ثمان سنين وأشهر.

ج- سبع سنين وأشهر.

٣ قالوا عنه : (ما جلس مجلساً إلا بهر جماله وحسنه من حضر) هو شقيق الإمام محمد الباقر عليه السلام لأمه وابيه تولى صدقات جده أمير المؤمنين، فمن هو؟

أ- زيد ب- عبد الله ج- الحسين الأصغر

٤ **يسقي ويشرب لا تلهيه سكرته**

عن النديم ولا يلهو عن الكاس

أطاعه سكره حتى تمكن من

فعل الصحاة فهذا أعظم الناس

أبيات قالها شخصٌ حينما اعترض أحد النواصب على كيفية شعور الإمام علي بالشخص الذي أعطاء الخاتم خلال صلاته حيث كان عليه السلام مشغولاً بالملكوت الأعلى عما يحس ويشعر في هذا العالم، فمن هذا الشخص؟

أ- ابن الجوزي ب- صفي الدين الحلي

ج- الفرزدق

كوبون المسابقة

ينابيع ٧١

الاسم الثلاثي: العنوان:

جواب السؤال الأول: أ ب ج

جواب السؤال الثاني: أ ب ج

جواب السؤال الثالث: أ ب ج

جواب السؤال الرابع: أ ب ج

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ٣٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه(مسابقة مجلة بنابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ صفر/١٤٣٨هـ

جواب السؤال السابع	جواب السؤال السادس	جواب السؤال الخامس
أ	أ	أ
ب	ب	ب
ج	ج	ج

جواب السؤال الثامن	جواب السؤال التاسع
أ	أ
ب	ب
ج	ج

٥ محمد بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ثار ضد المأمون سنة ١٩٩هـ فغلبه المأمون وجيء به أسيراً فعفى عنه وقد شهد محمد هذا دفن الإمام الرضا في خراسان إلا إنه لم يلبث قليلاً حتى مات، فأين توفي؟

أ- نيشابور ب- جرجان. ج- الري.

٦ أنشد الكميت في حضرة الإمام الباقر قصيدته والتي مطلعها (من لقلب متيم مستهام) فجزاه الإمام خيرا ولما وصل إلى البيت (أخلص الله لي هواي فما... أغرق نزعاً ولا تطيش سهامي) فاعترض الإمام على الشطر الثاني وقال له قل

أ- أغرق نزعاً ولا تطيش سهامي.

ب- أغرق رعباً ولا تصيب سهامي.

ج- أغرق خوفاً ولا تحيد سهامي.

٧ المجدد الشيرازي، السيد محمد حسن الحسيني من أعاظم علماء الطائفة، ازدهرت في عصره سامراء إذ انتقل إليها من النجف سنة ١٢٩١هـ فأصبحت ملاذاً لتلامذته ومريديه فأين ومتى توفي؟

أ- النجف الأشرف/ ١٣١٠هـ.

ب- بغداد/ ١٣١١هـ. ج- سامراء/ ١٣١٢هـ.

٨ غزوة أمّر النبي صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام على الجيش، فجاء الإمام بجيشه فقالوا له: ارجع كما رجع صاحبك، فقال: أنا لا أرجع، أنا علي بن أبي طالب. فما اسم هذه الغزوة؟

أ- غزوة خيبر. ب- غزوة وادي الرمل.

ج- غزوة بني النضير.

٩ قيل للإمام زين العابدين إن فلاناً يقول: ليس العجب ممن هلك، كيف هلك، إنما العجب ممن نجا، كيف نجا، فقال الإمام عليه السلام: أنا أقول ليس العجب ممن نجا كيف نجا إنما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله، فمن هو القائل؟

أ- محمد بن الحنفية. ب- الحسن البصري.

ج- أبو خالد الكابلي.

قناة المنهاج الفضائية

MINHAJ TV CHANNEL

للحقيقة نهجها

www.minhaj-tv.com

info@minhaj-tv.com

التردد: 11641 أفقي | معدل الترميز: 27500

صورة نادرة يظهر فيها من اليمين الشيخ حميد الصغير، الاستاذ الدكتور الشيخ محمد حسين الصغير، الشيخ محمد جواد آل الشيخ راضي، السيد مصطفى جمال الدين، السيد حسين بحر العلوم وآخرون